المجلة العربية

مجلة الثقافة العربية

479

ذكرى مرور أربعين عاماً

40



غاندي الثائر

مشانق الرجال

مومياء شادي

لا عرب في ديوان البشرية الجديد


رؤيـــة VISION
2030
المملكة العربية السعودية
KINGDOM OF SAUDI ARABIA

الدار السعودية للكتاب

لعل من أهم العلامات المضيئة في المسيرة الثقافية والأدبية في السعودية -دعماً ونشراً واحتضاناً للمواهب- الأندية الأدبية التي تتوزع على مناطق المملكة، والتي يعود تأسيس بعضها إلى قبل أربعين عاماً، وقد كانت خطوة رائدة وداعمة لمسيرة الحركة الأدبية. وقد عنيت هذه الأندية بنشر الكثير من الأعمال الرائدة والأعمال الإبداعية للشباب والشابات، وليس الحديث هنا عن الأندية ودورها وما حققته عبر مسيرتها، لكني أتحدث هنا عن دورها في نشر الأعمال والمؤلفات، وقد نشطت حركة النشر لديها خلال السنوات الماضية، بعد الدعم الذي وجدته من الحكومة، ورأيناها تشارك في أجنحة خاصة لها في معرض الرياض، لكنها تعاني من محدودية توزيع منتوجها الثقافي والأدبي عبر المعارض العربية، لذلك لجأت بعض الأندية إلى التعاقد مع دور نشر عربية، هي الأخرى تشترك في معارض محددة، بيروت والشارقة والرياض!

لذلك يأتي إعلان وزير الثقافة والإعلام عن تأسيس دار نشر سعودية، وهي شركة ستكون تابعة لهيئة الثقافة، بمثابة تعزيز وجود الكتاب السعودي في معارض الكتب العربية، مرحلة أولى، نؤمل أن يتلوها في مرحلة أخرى القيام بترجمة العديد من الأعمال الإبداعية والمؤلفات عن تاريخ المملكة وتراثها وفنونها وآدابها.

إنّ هذه الدار خطوة واعدة، من شأنها أن تتعاقد مع الأندية الأدبية ومع "المجلة العربية" ومع جمعية الثقافة والفنون ومع وكالة الوزارة بمطبوعاتها ومنشوراتها، لتكون جميع هذه المنشورات تحت مظلة واحدة، ولتكون هذه الدار هي الذراع التي تنقل الكتاب السعودي إلى الدول العربية كافة، ليس من خلال المشاركة في معارض الكتب فحسب، بل من خلال التعاقد مع منافذ بيع في الدول العربية، ليبقى الكتاب السعودي متوفراً لقارئه وللباحث عنه في العديد من الدول.

لقد تجاوزت منشورات "المجلة العربية" إلى الآن أكثر من 200 عنوان، ورغم مشاركة المجلة في معارض الرياض وجدة والدار البيضاء والقاهرة والشارقة، إلا أننا نطمح إلى المزيد من الحضور والانتشار، ولعل ذلك يتحقق من خلال هذه الدار، لتكون منشورات المجلة العربية إلى جانب منشورات الأندية الأدبية، ومنشورات الدار الخاصة بها، والتي ستُعنى –وفق حيث الوزير- بنشر الأعمال الإبداعية وإعادة نشر كتب الروّاد.

إن هذه الدار، الشركة الحكومية، حين تمتلك مطبعتها الخاصة، فستكون واحدة من أهم دور النشر العربية، وستكون هي بمثابة "الهيئة العامة للكتاب السعودي"، وسيتحقق للكتاب، في ظلها، ما لم يتحقق له من قبل، من حيث انتشاره وتوزيعه على أكبر نطاق.

محمد السيف

المجلة
العربية

العـــدد
479

ذو الحجة 1437هـ | سبتمبر 2016 م

رئيس التحرير
محمد بن عبدالله السيف

مدير التحرير
عبدالعزيز الصقعبي

سكرتيرا التحرير
عبدالرحمن الشايع
سعيد الدحية الزهراني

هيئة التحرير
عبدالعزيز المزيني
بدر عبدالله السند
محمد العميريني

www.arabicmagazine.com
لمراسلة المجلة على الإنترنت
info@arabicmagazine.com

الرياض: طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين)- شارع المنفلوطي
تليفون: 4767345-11-966 4777943-11-966
فاكس: 4766464-11-966
ص.ب 5973 الرياض 11432

صفحة المجلة العربية على facebook
@arabic_mag
arabic_mag

امتياز التوزيع



هاتف مباشر: 4871389 | هاتف: 4871414 فاكس: 4871460 | تلكس: 406725
كوندس إس جي | ص.ب: 84540 – الرياض 11671

الرياض 4871414	الباحة 7251869	الدمام 8112222
الزلفي 4222343	القصيم 3821942	القريات 6424512
أبها 2245984	الدوادمي 6423365	الطائف 7327711
الحوطة 5550777	المدينة 8361332	حفر الباطن 7222100
حائل 5323231	الجوف 6246733	تبوك 4230096
بيشة 6223073	مكة 5377730	جازان 3170381
جدة 6390333	ينبع 3223679	الأحساء 5922381
الخرج 5484020	نجران 5322654	عرعر 6625741

عبدالرحمن بن زيد السويداء

عبدالرحمن بن زيد السويداء، أديب ومؤرخ سعودي، حصل على جائزة ومنحة الملك سلمان بن عبدالعزيز لدراسات تاريخ الجزيرة العربية التقديرية للرواد، اهتم بتاريخ حائل الثقافي والتربوي وبتدوين الشعر الشعبي والقصص والمأثورات التاريخية. أصدر أكثر من 20 مؤلفاً، وهو أحد القلائل المعنيين بالبحث التاريخي في الفترات التي لم يدون تاريخها مثل كتابه (الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد).









كتاب العدد

يأتي هذا الكتاب ليعيد شغفنا بالقصة المصورة، التي نعرفها ونتذكرها، لنتعلم فن كتابتها وتفعيلها في الصفوف الدراسية، من خلال تسليط الضوء على: ماهية القصة المصورة (comics)؟ ومتى وكيف ظهرت؟ ومراحل تطورها وأنواعها، وما ترتكز عليه، ومقوماتها وخطوات إعدادها وكتابتها، والأهداف التي يمكن أن تحققها في الصفوف الدراسية، ومعايير اختيارها، ومميزاتها وعيوبها وفوائدها.

سعر العدد

السعودية 10 ريالات | الكويت دينار واحد | الإمارات 10 دراهم | قطر 10 ريالات | البحرين دينار واحد | عمان 800 بيسة | مصر 3 جنيهات | ليبيا 400 درهم
تونس ديناران | الجزائر 2 يورو | المغرب 10 دراهم | موريتانيا 40 أوقية | السودان 300 قرش | الصومال 100 شلن | سوريا 200 ليرة | لبنان 4000 ليرة
الأردن دينار ونصف | اليمن 100 ريال | بريطانيا 4 يورو | الاتحاد الأوروبي 4 يورو | أمريكا 4 دولار | كندا 4 دولار | أستراليا 4 دولار

الاشـــتراك الســـنوي: سعر الاشتراك الفردي (140) ريالاً سعودياً أو ما يعادلها سعر الاشتراك الحكومي (400) ريال سعودي.

بورتريه العدد بريشة: رضوان الرياحي



78
رسومات الحج عن الرحلة المقدسة

الإبداع

وكلاء توزيع المجلة العربية

مؤسسة الهلال للتوزيع - البحرين 0097317534559 | شركة الإمارات للتوزيع - الإمارات 0097143916501 | دار الشرق للتوزيع - قطر 009744557810 | مؤسسة العطاء للتوزيع - سلطنة عمان 0096824492936 | المجموعة الإعلامية العالمية - الكويت 009654826820 | الشركة العربية الإفريقية للتوزيع والنشر والصحافة - المغرب «الدار البيضاء» 341622/341621 مؤسسة الأهرام - مصر «القاهرة» 002025786100 | الشركة التونسية للصحافة - تونس: فاكس 332499 - 343004 | المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - سوريا «دمشق» 223772 الدار العربية للنشر والتوزيع - اليمن «صنعاء» فاكس: 331797 جوال: 00967711523996 | وكالة التوزيع الأردنية أرامكس ميديا - الأردن 0096265358855

رقم الإيداع 15/1881 ردمك ISSN: 101103460

خارج المملكة (250) ريالاً (أو ما يعادلها) للهيئات (120) ريالاً (أو ما يعادلها) للأفراد.

لا عرب في ديوان البشرية الجديد





فهد الحمود: الرياض

تشير الدراسات والإحصاءات المتعلقة بالبنية الرقمية والإلكترونية القائمة على منصة الإنترنت إلى ضعف المحتوى العربي، حيث لا تتجاوز نسبته 4 % من مجموع المحتوى العالمي.

وأسباب ذلك الضعف كثيرة ومتعددة حسب الخبراء والمختصين، فهناك من يرى أن الأمية التقنية تعد السبب الأول والتي تعد جزءاً من مشكلة الأمية التعليمية المرتفعة في العالم العربي، كما أن تقييد الحرية السياسية والفكرية في العالم العربي له نصيب من تلك الأسباب، إضافة لقلة المخزون الثقافي، وأمور تتعلق بالعادات والتقاليد، مثل القبلية والمذهبية والعرقية التي قلصت مساحة المشاركة، ودفعت البعض للجوء لمعرفات وهمية، بخلاف الظروف الراهنة التي يمر فيها العالم العربي من عدم استقرار سياسي وأمني، والذي انعكس على التعليم الذي يعد رافداً لإثراء الجانب المعرفي والمعلوماتي في العالم العربي، ونتج عن ذلك ضعف كبير بالمحتوى العربي، كما أن الابتعاد عن الافتخار باللغة الأم، وعدم التحدث فيها حتى بالدول العربية، واللجوء في نشر البحوث العلمية للجامعات العربية إلى لغات أخرى كاللغة الإنجليزية مثلاً؛ جعل اللغة العربية لدى العالم الآخر مجهولة وضعيفة في العالم الافتراضي.

ولحل تلك المعضلة وسد ذلك النقص يجب الاستفادة من تجارب الأمم المتقدمة كفرنسا التي يجيد شعبها عدة لغات، لكن لا يتحدثون في بلدهم إلا بلغتهم، وكذلك تركيا واليابان وإسرائيل، فالمبادرات يجب أن تبدأ من العملية التعليمية في المدارس لصغار السن وفي الجامعات، ويجب تغيير النظرة للغة العربية ومن ينطقها والاعتزاز بها لأنها لغة القرآن الكريم، ومن ثم تعزيز ذلك عبر وسائل الإعلام التي تعد الداعم الأول في تنمية المحتوى العربي.



الأحمد: العوامل الأساسية في ضعف المحتوى العربي هي الأمية التقنية وانعدام الحرية الفكرية والتخلص من بعض القيود التي تعد وهمية

اليوم نرى العديد من المبادرات الجميلة التي أطلقها نشطاء وكتاب ومراكز من دول عربية عبر مواقع التواصل الاجتماعي، ومن ذلك مبادرة الملك عبدالله لإثراء المحتوى العربي التي أطلقتها مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، وكذلك الاحتفال باليوم العالمي للغة العربية الذي يُحتفل به في 18 كانون الأول / ديسمبر من كل عام والذي يصادف اليوم الذي أصدرت فيه الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم 3190، والذي يقر بموجبه إدخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية ولغات العمل في الأمم المتحدة بعد اقتراح قدمته المملكة العربية السعودية والمملكة المغربية خلال انعقاد الدورة 190 للمجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو.

المجلة العربية استقرأت آراء نخبة من المتخصصين والمشتغلين في الحقل الثقافي والمعرفي والرقمي، فكانت هذه التصورات:

أمية تقنية

تعد «الأمية التقنية» السبب الرئيس لضعف المحتوى العربي على الإنترنت، حسب الدكتور محمد الأحمد من قسم الإعلام بجامعة الملك سعود، والذي يرى أن المحتوى العربي يجب أن لا يقاس بالمساحة أو الكمية؛ بل في نوعية الموضوعات التي تطرح، فالموضوعات التي تطرح مازالت للأسف الشديد ليست بذات المستوى من القوة، بالإضافة أن نسبة المدخلات العربية في الشبكة العنكبوتية ضعيفة والأسباب عديدة.

وقال د.الأحمد: لايزال مجتمعنا أمياً في مجال التقنية، وتعامله مع التقنية لا زال ضعيفاً نتيجة الأمية التقنية، والمجتمع العربي بشكل عام خلافاً للمملكة العربية السعودية ودول الخليج، تجد نسبة الأمية التعليمية وكذلك التقنية مرتفعة جداً، وذلك يعد من العوامل المهمة في ضعف المحتوى العربي، ومن الأسباب الأخرى أن الحرية الفكرية لم يتعود عليها الإنسان العربي حتى الآن، فتجد من يكتب ويدون عبر الإنترنت بأسماء وهمية من أجل مراعاة قضايا مهمة مثل القبلية والمذهبية والعرقية، فنجد الإنسان العربي عليه ضغوط من عدة جهات، سواء من داخل أسرته أو مجتمعة، بغض النظر عن الحرية السياسية، فنحن نتحدث عن حرية الفرد نفسه في أسرته ومجتمعه، وهو مكبل بالقيود القبلية والمذهبية والدينية، فتحد من قدرته على التعبير ويحتاج إلى وقت ليعبر عن رأيه.

وأضاف: لا أعتقد أننا سننافس الدول المتقدمة مثل أمريكا وأوروبا واليابان في مجال المحتوى ليس بسبب



الأمية التقنية فقط، بل أيضاً بسبب عدم الاستقرار السياسي في الدول العربية نتيجة أحداث الربيع العربي، فرغم أن الاستقرار السياسي لا يعد من العوامل الأساسية في عرقلة المحتوى العربي على الإنترنت، لكن العوامل الأساسية في ضعف المحتوى العربي هي الأمية التقنية وانعدام الحرية الفكرية والتخلص من بعض القيود التي تعد وهمية.

وتوقع د.الأحمد أن استقرار الأوضاع السياسية في العالم العربي سيساعد في تطوير المحتوى العربي، وأثنى على المبادرات التي أطلقتها بعض الجهات الرسمية في المملكة العربية السعودية لإثراء المحتوى العربي على الإنترنت مثل مبادرة الملك عبدالله لإثراء المحتوى الرقمي التي أطلقتها مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، وكذلك إنشاء الجامعة السعودية الإلكترونية. وفي سبيل تطوير وتنمية المحتوى العربي اقترح وضع جوائز للمحتويات الجيدة وبالذات للشباب والصغار بإشراف متخصصين في هذا المجال.

ضعف القيمة العلمية

الدكتور أبو المعاطي الرمادي، أستاذ الأدب والنقد المشارك بكلية الآداب جامعة الملك سعود، أوضح أن المقصود بالمحتوى العربي على الإنترنت، الصفحات والمواقع الإلكترونية المكتوبة باللغة العربية، في مجالات المعرفة كافة، ويدخل ضمنها مقاطع الفيديو، والمقاطع الموسيقية ذات الطابع العربي، وأشار إلى أن عدد مستخدمي الإنترنت في العالم العربي حسب الدراسات يبلغ قرابة 150 مليون مستخدم، وعدد الصفحات العربية قرابة 662 مليون صفحة، بنسبة حضور 3 % من حجم الوجود العالمي، وهو حضور ضئيل إذا ما قورن بعدد المستخدمين، وعدد الصفحات على الشبكة، التي تحتوي على 75 مليار صفحة.

وأضاف: لا يقف الأمر للأسف عند ضآلة المحتوى فقط، بل يتعداه إلى ضعف القيمة، فالمحتوى الضئيل يعاني من عدم دقة المعلومات، وضعف اللغة التي يختلط فيها الفصيح باللهجات المحلية، والافتقار للموضوعات الجادة ذات النظرة المستقبلية، وطغيان الطابع الترفيهي، بالإضافة إلى تكرار الموضوعات، فأكثر المواقع تعيد نشر موضوعات عن طريق النسخ من مواقع أخرى، لافتاً إلى أن هذا الضعف له آثاره السلبية على التعليم والثقافة والعادات والتقاليد، وحتى على التصرفات اليومية للأطفال والشباب، والعجيب أنه متناقض مع حجم استخدامنا للشبكة العنكبوتية، فاللغة العربية تحتل المكانة الرابعة بين أكثر اللغات وجوداً على مواقع البحث، وهي مكانة يُتوقع لها السمو في السنوات القادمة.

أبو المعاطي: الشبكة العنكبوتية عالم مواز للعالم الجغرافي الذي نعيش فيه ولابد أن يكون لنا وجود مؤثر في هذا العالم من أجل المحافظة على هويتنا العربية الأصيلة

وأكد د.الرمادي أن الشبكة العنكبوتية عالم موازٍ للعالم الجغرافي الذي نعيش فيه، ولابد أن يكون لنا حضور مؤثر في هذا العالم، ليس لأن ذلك ضرورة عصرية فحسب، بل من أجل المحافظة على هويتنا العربية الأصيلة، التي تتعرض لحرب شرسة مثل محاولات جوجل وميكروسوفت تفعيل الفرنكو آراب بديلاً للغة العربية. ودعا لاهتمام الحكومات العربية بدعم المواقع العربية وتطويرها، فالجهود الفردية لا تستطيع الصمود أمام التيار التغريبي الجارف، وإلى تشجيع المؤسسات العلمية والثقافية على رقمنة المصادر العربية، وتشجيع دور النشر العربية على نشر مطبوعاتها إلكترونياً، مع وضع ضوابط تضمن لها المحافظة على حقوقها، والتخلص من كتابة رد الفعل، والتوجه نحو الكتابات الفاعلة، والاستفادة من شبكات التواصل الاجتماعي، إذا أردنا أن تكون لنا بصمة في الحضارة الحديثة كالتي كانت لنا في الحضارات القديمة.

هوية وانتماء

من جانبه عبر د.أسامة حريري أستاذ الإعلام في جامعة أم القرى عن اعتقاده بأن ضعف المحتوى العربي على الإنترنت يعود لضعف الهوية العربية وضعف الانتماء والفكر بالذات العربية، حيث نجد الكثير من العرب يفضل تدوين ما يكتبه باللغة الإنجليزية، ولا شك أن ذلك مؤشر إلى ضعف الانتماء والهوية العربية وكذلك العزلة، ونسقط اللوم على الإعلام والتعليم، فلو استطاع الإعلام والتعليم أن يستثير الفخر والعزة في التراث العربي، كما يحصل في اليابان وتركيا والدول الغربية، حيث تجد أصحاب كل وطن يفتخرون بلغتهم بسبب التربية المنزلية، ولكن السبب الأساسي في ذلك المدرسة التي تعود إلى التعليم وكذلك الإعلام، ولو أن الإعلام والتعليم استطاعا تعزيز وإثارة النخوة والفخر في مجتمعنا لتطور المحتوى العربي.

وأضاف: كما أن الصورة الذهنية المنتشرة عن العرب حالياً هي أنهم إرهابيون متخلفون همجيون للأسف، لكن هذا الواقع لا يمثل كل الأمة العربية، ويجب أن نرى الموجود من الإنجازات العربية لنعرضه ونفتخر فيه عبر الإعلام، والبحث في تاريخنا عن أشياء نفتخر بها لعرضها كعرب، وللأسف تجد الكثير من العرب يرى أننا متخلفون وإرهابيون لذلك يهرب من اللغة العربية وتجده يدون باللغة الإنجليزية وهذا سبب رئيس في ضعفنا.

ودعا د.حريري للنظر إلى الأمم من حولنا مثل فرنسا



وتركيا واليابان، حيث تجدهم يتحدثون اللغة الإنجليزية، ولكن عندما تسألهم لا يجيبون إلا بلغتهم الأم، لأنهم يفتخرون فيها، وهذا المبدأ يعزز لغتهم ويجعل لها مكانة في العالم، وكذلك تجد لها مكانتها عبر المحتوى في عالم الإنترنت، والسبب أن الإعلام والتعليم هما ما يعززها في مجتمعهم، بعكس عالمنا العربي، فتجد كل تفكيرهم أننا متخلفون وثورات وعداوات، وكل ذلك يصنعها ويسوقها العالم الغربي ضدنا ويشارك في تعزيزها الإعلام العربي.

وأشار د.حريري إلى نقطة جديرة بالاهتمام قائلاً: «لو سألت أي شاب عربي بماذا تفتخر كعربي تجده لا يجيب»! داعياً في ذات الوقت إلى الاستفادة من النماذج الغربية الناجحة في التعليم وكيف استطاعت الأمم الغربية أن تجعل لنفسها تاريخاً وتستثير في شعوبها العزة والفخر، ونحن نعمل على ذلك، وأملنا في الملك سلمان في رؤيته العالمية.

وبخصوص المبادرات الهادفة لإثراء المحتوى العربي يرى د.حريري أنها نادرة ولا تتناسب مع حجم الأزمة، فمن خلال حجم الأزمة لا يستطيع أفراد معالجتها، وهي أزمة وطنية وقومية. وقال: لو افترضنا أن مسؤولية الدولة اليوم تتركز أكثر في الجوانب الأمنية فأين دور الإعلام والتعليم في ذلك، فيجب على التعليم خوض معركة اللغة العربية والعمل على انتشارها ودعم الهوية العربية لإثراء المحتوى العربي.

اللهجات العامية

أما د.محمد بن محمود فجَّال فيرى أن المحتوى العربي على الإنترنت لا يعد ثرياً من جهة الكمّ، فعلى سبيل المثال في موسوعة الويكيبيديا، احتلت اللغة العربية المرتبة (21) من بين اللغات التي كُتب بها محتوى الموسوعة، ويبلغ عددها (293) لغة، واللغة التي نالت المرتبة الأولى هي اللغة الإنجليزية، وتحتوي هذه الموسوعة على (40221254) مقالاً، نصيب اللغة العربية منها (426483)، وهذا مؤشر على ضعف كمية المحتوى أمام غيره من اللغات الأخرى، والجدير بالذكر أنَّ اللهجةَ المصريَّةَ أعدَّت لنفسها موسوعةً فرعيَّةً في (الويكيبيديا) احتلت المرتبة (114) بـ(14.286) مقالاً، ومن جهة المضمون نجد أن نوعية اللغة العربية التي يكتبُ بها المُدوِّنون في المنتديات والمدونات والمواقع الاجتماعية يغلب عليها استعمال اللهجات العامية ويندر استعمال اللغة الفصحى.

وقال: كما أن العامية المستعملة في تدوين الحوارات في المواقع الاجتماعية وبرامج المحادثة الإلكترونية، نجدها تُكتبُ بطريقة حديثة تختلف عن أي نوع من أنواع التدوين القديم، فيستعملون اللهجة العامية واللغات الأجنبية والفصحى والرموز والرسومات، ويتفنَّنون بطرائق الكتابة وتزيينها، لأهداف كثيرة توفر أجواءها وفرصها ظروف الحوار الكتابي، مما لا يتوافر في المحادثة الشفويَّة المباشرة، وقد رصدتُ في بحث أعددته بعنوان (ظواهر لغوية في تدوين المحادثات ببرامج الشبكة العالمية – دراسة تداولية) كثيراً من الظواهر اللغوية الواردة في كتابات المدوِّنين، وهذه الظواهر تأخذ طابعاً جديداً في التدوين، فهي محادثات كتابية سريعة، تجمع بين صفات الكلام الشفوي وصفات الكتابة التحريرية، فيحاول الكاتب تقريب عباراته وكلماته قدر الإمكان من أسلوب المحادثة، فيكرر الكاتب حرفاً في الكلمة دلالة على إرادة المدّ، ويكتب الفكرة بلهجة عامية دلالة على الاندماج الاجتماعي مع الآخر، ويجمع في التدوين بين الكلمات والرموز دلالةً على تبسمه وسروره أو حزنه أو غضبه أو غير ذلك من الانفعالات النفسية، وكأنه يحاول إيجاد موقف شبيهٍ جدًّا بموقف المحادثة الشفوية المباشرة، وهكذا.

ولا يرى د.فجال معضلةً في استعمال هذه الظواهر في حدود محصورة ومقامات مُقَدَّرة، لكن أنْ يَنْظُرَ لها أغلب الكُتَّاب على أنها لغةُ الإفهام والتفاهم، ولغة التحضر والرقي؛ فهذا ما لا تقبله أفهام ذوي الألباب، وإن استمر الحال على سريان هذه الظواهر في كتابات المثقفين تكون اللغة العربية الفصحى قد اختلطت بسيل جارف من الكلمات الإنجليزية والفرنسية والمغربية والإيرانية والهندية وغيرها، وتكون لغتنا العربية قد غُلِبَتْ في ألفاظها ورسمها، واندثر أصلها وجَوْهَرُها، ووصلنا إلى حالة عجز وانحطاط واستلاب للفكر والهُوية، وسيأتي يوم نصبح عرباً مستعربة، إن بقينا على هذه الحال.

ويرى د.فجال أن أهم ما يجب أن تركز عليه سبل ومبادرات إثراء المحتوى العربي على الإنترنت، هو نشر التدوين باللغة العربية الفصحى، وتوحيد الجهود بين المؤسسات التعليمية الحكومية والأهلية، والوزارات المعنية، والأفراد كذلك، لافتاً إلى اعتناء جامعة الملك سعود بإثراء المحتوى العربي عن طريق الترجمة، وهناك فريق من الطلاب الأكْفاء قد كرَّسوا جهودهم في إعداد النصوص المترجمة، لإثراء الموسوعة الويكيبيدية العربية، واعتنت جامعة الملك سعود بأن يكون لكل عضو هيئة تدريس موقع شخصي له، فيه مؤلفاته وبحوثه، وله مدونة ومنتدى يتحاور فيه مع طلابه وجمهوره في العالم أجمع، ولا ريب أنَّ لهذا أثراً عظيم الشأن في إثراء المحتوى العربي على الشبكة العالمية.

لماذا يجب أن نهتم بتنشيط المحتوى العربي على الإنترنت؟

مها بالي: مصر

تختلف نظرة المتحدث باللغة الإنجليزية للإنترنت تماماً عن رؤية بقية العالم. ففي رأيي كباحثة في مجال التعليم وبخاصة تكنولوجيا التعليم، أن العالم العربي لن يتمتع بأهم فوائد الإنترنت إذا لم نعمل على زيادة المحتوى العربي ذي الجودة العالية. وهذا لسببين، السبب الأول: هو أن الإنترنت يساهم في مساعدة الطفل والشاب، وكلنا جميعاً؛ على التعلم المستمر. ذلك التعلم الذي لا ينحصر في المناهج الدراسية ولا ينتهي بشهادة ما. ولكنه التعلم الذي يختاره الشخص في المجالات التي تهمه، وهذا شيء يساعد في تنمية الشخص لسوق العمل، ولكن أهم من ذلك يمكنه من خوض حياته كما يريد وليس كما قرر كاتبو المناهج.

لمن يتقن الإنجليزية ما أصفه هو حقيقة واقعة يعيشها كل يوم، لمن لا يتقنها، فعالمه أضيق. ولكن إذا زاد المحتوى العربي على الإنترنت، فنكون بذلك قد أتحنا فرصاً أكبر للتعلم المستمر لدى الأطفال والشباب العرب.

أما السبب الثاني: فهو أننا إذا لم نأخذ نحن مسؤولية خلق المحتوى بلغتنا وبأيدينا فنحن نفتح الباب للغرب أن يستمر في هيمنته على سرد تاريخنا من وجهة نظره المنحازة، ونتنازل عن صوتنا كأمة.

هناك عدة اتجاهات أو اقتراحات لزيادة المحتوى العربي ذي القيمة على الإنترنت، وأستمد الإلهام جزئياً من مبادرة (إدراك)، وهي ممولة من مؤسسة الملكة رانيا بالأردن، وتقوم بعمل مساقات ضخمة مفتوحة.

أولاً: خلق محتوى جديد تماماً باللغة العربية، وأمثلة من ذلك الصحف العربية الموجودة على الإنترنت ومساقات محمد العسعس وأيمن إسماعيل ودينا كيوان على «إدراك».

ثانياً: اختيار محتوى موجود بالفعل على ورق مطبوع ورفعه على الإنترنت بصورة قانونية، مثلاً: ترقيم كتب التراث، وضع المجلات العلمية على الإنترنت.. وهكذا. لسنا من كبار منتجي الكتب أو العلم عالمياً؛ ولكننا نستطيع أن نتيح ما لدينا ليطلع عليه كل من يتكلم العربية.

ثالثاً: ترجمة المحتوى القيم الذي لا يختلف بالثقافة مثل العلوم، ومثال لذلك المساقات المترجمة على (إدراك) أو ترجمة ما يوجد على (خان) أكاديمي، وهي مؤسسة تربوية غير هادفة للربح تم إنشاؤها في عام 2006، من قبل سلمان خان. هدفها المعلن هو (توفير تعليم عالي الجودة لأي أحد وفي أي مكان)، ويوفر موقعها على الإنترنت أكثر



من 3600 محاضرة صغيرة عبر فيديوات مخزنة على موقع يوتيوب لتدريس الرياضيات، والتاريخ، والتمويل، والفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء وعلم الفلك والاقتصاد. لا داعي لإعادة اختراع العجلة. وتوجد اقتباسات تغير المحتوى ليناسب الثقافة العربية مثل: عالم سمسم للأطفال.

رابعاً: تشجيع الشباب على خلق المحتوى ذاتياً، مثل استخدام المدونات أو زيادة المحتوى العربي على ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

خامساً: هذا الاقتراح الأخير سيبدو غريباً بعض الشيء، ولكنه في غاية الأهمية، وهو تشجيع العرب المتقنين للإنجليزية أن يستمروا في النشر بهذه اللغة حتى تصل وجهة نظر العالم العربي إلى الساحة العالمية. لاسيما إذا عبرت عن أفكار الآخرين القادرين على التعبير عن وجهات نظرهم باللغة العربية.

علينا أن نعي أن المحتوى ليس هو الهدف النهائي، المهم بعد وجود هذا المحتوى تنمية المهارات النقدية في التعامل مع كل ما هو رقمي، حتى يتمكن القارئ من التفرقة بين المحتوى الجاد والقيم، ونبذ المحتوى المشكوك في صحته. ثم ما يتبقى هو إطلاق عنان كل من يحب العلم والتعلم، كي يبحث عما يريد، ويجد الآخرين المهتمين بالمجالات المتقاربة، لننهض بالعلم والبحث في عالمنا العربي.



المحتوى الرقمي العربي
أمانة تمتد إلى أجيال المستقبل

عبدالحميد بسيوني: مصر

لا تتوقف فوائد المحتوى الرقمي العربي عند العوائد العلمية والثقافية والتكنولوجية، وتنمية الموارد البشرية، وتعميق البحث والتطوير؛ لكنها تمتد إلى مدى أوسع، وأنشطة تمتد لأجيال المستقبل، والحفاظ على اللغة العربية.

يمثل المحتوى العربي على الإنترنت مجموع مواقع وصفحات المؤسسات والجهات والمنظمات الحكومية والخاصة والرسمية والمواقع والصفحات الشخصية باللغة العربية، والتي تحتوي على النصوص والصور والرسوم ولقطات الفيديو والموسيقى والكتب أو غيرها على الإنترنت.

هناك عدد من المحاور التي يجب مراجعتها بالإحصاءات الدقيقة التي تتناول: نسبة ومعدل تغير المحتوى العربي على الإنترنت، وعدد ومعدل زيادة عدد المستخدمين في الدول العربية، توزيع المحتوى العربي على المواقع والصفحات، ومبادرات تطوير المحتوى العربي، والجوائز العربية للمحتوى الرقمي، واستخدام شبكات التواصل الاجتماعي في المنطقة العربية، والمواقع الأجنبية التي تستخدم اللغة العربية، والتطبيقات والجهات التي تدعم اللغة العربية.

صدرت مبادرات مختلفة لزيادة وتطوير المحتوى العربي على الإنترنت، وتم الإعلان عن جوائز للمحتوى الرقمي تهدف إلى تقديم محتوى عربي متميز، وصدرت معظم المبادرات وإعلانات الجوائز من المملكة العربية السعودية ودول الخليج، في الوقت نفسه تدعم المواقع الأجنبية كما شركات التقنية معدات وتطبيقات تستخدم اللغة العربية للأهمية الاقتصادية الإستراتيجية والتسويق والترويج وتحقيق التواصل، ويساهم الاهتمام العالمي بقضايا الشرق الأوسط في انتشار اللغة عبر الإنترنت، إلا أن ذلك لا ينفي وجود الحرب الإلكترونية، ونشر الإعلام الهادف، والتجسس، وبث الفتنة، ونشر الأكاذيب، وتشكيل الرأي العام، وتجنيد الجواسيس، وتوزيع وجهات النظر والآراء في الدول العربية. إن عرض بعض أسماء المواقع التي تدعم اللغة العربية يوضح ما يمكن أن تقوم به.

المحتوى العربي على الإنترنت لا يزال ضئيل الكم والنوع مقارنة بغيره من اللغات، وتشير الدراسات والتقارير إلى أن المحتوى العربي على الإنترنت بدأ بالتراجع، وأشارت دراسة موسوعة «موضوع» العربية إلى تدهور المحتوى العربي على الإنترنت.

يدور الحديث منذ أعوام طويلة عن المحتوى الرقمي العربي على الإنترنت، وتجمع الآراء على أن هذا المحتوى يعاني إشكالية الكم والنوع، على الرغم من نمو الدخول إلى الإنترنت في العالم العربي، بما لا يتناسب مع كم ونوع المحتوى العربي، وتصاعد احتياجات المجتمعات، وعدد المستخدمين، وموقع العرب واللغة العربية في العالم. فما تزال الفجوة واسعة بين عدد المستخدمين العرب وحجم المحتوى العربي، وتستمر قلة المحتوى العربي للمواد والدراسات والبحوث العلمية المنشورة، كما يستمر تكرار ونسخ وسرقة بعض المحتويات.

على الرغم من شح المحتوى العربي المتوافر على الإنترنت إلا أن اللغة العربية هي اللغة المفضلة عند العرب، ويقع على عاتق كل عربي في كافة المجالات تنمية مهارات التفكير والإبداع والنشر، وتعزيز المحتوى العربي على الإنترنت بمحتويات أكثر جدية تشبع الفضول.

تشمل صناعة المحتوى الرقمي أنشطة إنشاء وتصميم وإدارة وتوزيع المنتجات والخدمات الرقمية والتقنيات التي تعتمد عليها هذه الأنشطة. صناعة المحتوى الرقمي لها أبعاد إستراتيجية تسهم في بناء مجتمع المعرفة، ويجب الاهتمام بإنشاء مشاريع وخطط إستراتيجية وتنظيمات للنهوض بصناعة المحتوى الرقمي العربي.

مقترحات

يمكن أن يتيسر ذلك عن طريق تأسيس تنظيم أو مجموعة دعم المحتوى الرقمي العربي للإشراف والتنسيق وتنفيذ خطة العمل، والدعوة إلى تسجيل الانضمام إلى هذا التنظيم في كل الدول العربية، وتقوم كل مجموعة في كل دولة بتكوين مجموعات فرعية في المدن من المتطوعين، والاستفادة من طلاب الجامعات وطلاب كليات الحاسب والمعلومات، وتشجيع الأبحاث والكتابات في مجال العلوم، والاقتصاد،



والإدارة والأعمال، وكل المجالات. بحيث يقوم التنظيم بمهام مسح وتسجيل الإحصاءات وتقدير الاحتياجات ووضع خطة إثراء المحتوى الرقمي العربي، ووضع خطة عمل، مع تحديد أدوار ومسؤوليات ومهام الجهات الحكومية والخاصة والجمعيات العلمية والأهلية والأفراد المتطوعين. ودعم النشر والإعلان عن المشروعات والمنتجات الشخصية والتجارية من المنتجات العربية للبرمجيات والتطوير والتعريب. وكذلك تحديد الفرص المتاحة لصناعة المحتوى الرقمي العربي، واكتشاف فرص المساهمة العلمية والتكنولوجية، وتشجيع ودعم المحتوى الرقمي العربي وتطويره، ونشر وتمديد الثقافة الرقمية، والحفاظ على الهوية والتراث، وتيسير استخدام المعلومات والمعرفة، وعرض كافة الدراسات والإستراتيجيات والخطط والمبادرات والمسابقات التي تستهدف إثراء المحتوى وطرح مشروعات وترجمة كتب. كذلك إطلاق منافسة إثراء المحتوى العربي بين الجامعات والمدارس والمدن والمحافظات في الدول العربية، والربط والتعاون بين الدول العربية من خلال الوزارات والهيئات وجامعة الدول العربية، والربط والتعاون مع المؤسسات والجهات الدولية، ودعم تحسين القدرات وبناء المهارات وتدقيق ومراجعة جودة المحتوى وإصدار شهادات معتمدة، ورقمنة التراث والمخطوطات، وحضانات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وإقامة مؤتمرات على الإنترنت من أجل دعم صناعة المحتوى الرقمي العربي، وتحقيق التعاون بين وزارات الإعلام والاتصالات والجمعيات العلمية والأهلية، أيضاً تبادل الخبرات والاستفادة من التجارب الناجحة، ووضع معايير إنشاء المحتوى الرقمي، واحتضان مشاريع تحفيز المحتوى الرقمي العربي من خلال مسابقات تستهدف الإبداع والابتكار والأفكار المتميزة لإثراء هذا المحتوى.

وكذلك متابعة المواقع والصفحات الثرية والاتصال بأصحابها وتأكيد دورهم في إثراء المحتوى الرقمي العربي، والتواصل معهم في وضع المحتوى الجديد بالمنتجات البصرية والصوتية والنصية والتفاعلية وترويج هذه المنتجات ونشر أخبارها، وطلب التفاعل معها ونقدها وتقييمها.

كما يمكن تعزيز المحتوى العربي على الإنترنت عن طريق قيام المجموعات بالتنسيق لزيادة مساهمة ودعم الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث والمؤسسات والجمعيات العلمية وغيرها، مع ضرورة اشتراك الجامعات العربية بنشر إنتاجها العلمي من مشاريع تخرج ورسائل دراسات عليا على الإنترنت، وتشجيع الشباب وطلاب الجامعات على الإسهام في إثراء المحتوى العربي، وفتح باب التطوع والمشاركة في ترجمة مقالات مختارة من مختلف اللغات إلى العربية.

وكذلك تكوين الصفحات التخصصية في التخصصات المختلفة مثل الفيزياء والكيمياء والأحياء والتخصصات الهندسية والزراعية والعلوم الاجتماعية والإدارية والأدب والفنون وغيرها من كافة التخصصات، وإنشاء المواقع العلمية العربية، وتوفير المحتوى العربي في المجالات العلمية المختلفة، وترجمة المناهج الأجنبية، وأن تضم بين أعضائها المتخصصين وأعضاء اتحاد الكتاب واتحاد الناشرين في الدول العربية، وأساتذة الجامعات، وتقوم المجموعة بالتوعية بأهمية صناعة المحتوى الرقمي العربي، وتوسيع نشر الإعلام، وتسويق وترويج الأنشطة والمبادرات، وتخطيط وترويج المحتوى، وتسجيل المحتويات، وتخطيط المسابقات، وإعطاء شهادات التكريم لكل المشاركين في دعم وزيادة وتنمية المحتوى الرقمي العربي.



إن موسوعة ويكيبيديا تحتوى على مقالات عربية في كافة المجالات، وتفتقر مقالات ويكيبيديا العربية إلى مصادر دقيقة، وتنتشر فيها أخطاء الإملاء والقواعد، ويمكن الاستفادة منها بالدعوة إلى إنشاء مواضيع جديدة وتحرير وإضافة معلومات ذات مصدر موثوق مع التدقيق اللغوي.

إنشاء المواقع والصفحات التخصصية والاستفادة من تجارب المواقع والصفحات التخصصية الناجحة.

كما أن الاستخدام المتزايد لوسائل التواصل الاجتماعي يؤكد ضرورة الاستفادة من إمكانات هذه التطبيقات، والاستفادة من الأفراد والمجموعات التي تقوم عليها بعد تقييم المحتوى، بمخاطبة الشباب والدعوة إلى القيام بالنشر والتدوين، وتحديد الموضوعات التي يتم وضعها مع الإشارة إلى أنشطة هؤلاء الشباب وتقديم شهادات تميز.

يمكن تيسير التكلفة عن طريق النشر عبر مواقع التواصل الاجتماعي أو موقع ويكيبيديا أو موقع مخصص من قبل المشاركين بمساعدة خبراء إنشاء وتصميم المواقع.

وكذلك إثراء المواقع التعليمية لطلاب المدارس والجامعات بالمراجع والنصوص والمقاطع المرئية، والملفات الصوتية، والأسئلة والإجابات المتخصصة في كل دولة. كذلك مواقع وصفحات ومجموعات تداول ومناقشة الكتب، ومواقع صيانة الأجهزة والمعدات، وتشمل التخصصات الفنية والهندسية، لحل مشاكل وأعطال وصيانة الأجهزة والمعدات، في تخصصات مختلفة تشمل تقنية المعلومات والاتصالات والسيارات وغيرها.

وكذلك الإنتاج الفني بمواقع متخصصة في السينما والمسرح والإبداع الفني والأدبي والموسيقي والنقد الفني، وإنشاء قواعد بيانات فنية وصناعية ومعلومات تفصيلية حديثة عن كافة الأنشطة الفنية، وإضافة تعليقات الجمهور، وتسجيل بعض المشاهد.

كذلك منتديات ومواقع السفر والسياحة العربية والمتاحف والآثار وتخطيط الرحلات السياحية وخيارات الخدمات السياحية والأسعار والفنادق ووسائل المواصلات والمتطلبات القانونية ومعلومات الطقس، وغير ذلك من معلومات تضمن رحلة ممتعة بتخطيط جيد. وأيضاً مواقع الأمهات والأطفال التي توفر المعلومات والمواد العلمية للتربية وتنمية المهارات والعناية بالأمهات والأطفال في كافة المراحل بداية من الحمل. وكذلك التوعية البيئية وأنشطة توليد الطاقة وإعادة التدوير وترشيد استهلاك الموارد الطبيعية، والعلوم الإنسانية، والألعاب الرياضية، وما إلى ذلك من معلومات ودراسات وثقافة عامة تزيد الوعي وتساعد على توسيع المدارك والكتابة.

وأيضاً تجميع معونة ومساعدة ودعم وتعاون المؤسسات والمنظمات والهيئات المعنية بالمحتوى العربي، وتجهيز وتوفير الدراسات والبحوث والتقارير، ونشر مبادرات إثراء المحتوى العربي، وخطط زيادة المحتوى كماً ونوعاً، وتنبؤات معدل نمو المحتوى العربي، وتعريف محتوى شبكة ويب الخفية والبحث فيها، وملاحظة وجود صفحات مكررة.

تتطلب حقوق الملكية الفكرية نوعاً من الاتفاق والدعم والتدخل في العالم العربي، ويمكن للتنظيم أن يمنح رقماً لحفظ الملكية ويتابع الشكاوى. ويجب أن يكون التنظيم مكوناً من قادة يمكنهم الاتصال وتحقيق الدعم، أو مدعوماً بالرعاية من قادة على مستوى الدول العربية، فإذا لم يتيسر ذلك يمكن أن يكون مجموعة من المتطوعين المهتمين.

المحتوى العربي الرقمي فجوة نوعية وكمية

داليا عاصم: مصر

مع حلول عام 2017، سيكون بمقدور أكثر من نصف العالم العربي الوصول إلى شبكة الإنترنت، ووفقاً للإحصاءات الحديثة فإن أعلى نسبة للمحتوى العربي تنتجها المواقع الإعلامية والإخبارية، تليها الشبكات الاجتماعية. ومع الأسف فإن غالبية هذا المحتوى مكرر ومنسوخ، بل يتضمن في كثير من الأحيان معلومات غير مدققة أو غير مكتملة، وقد أدى هوس تلك المواقع بمعدلات الزيارة (الترافيك)، للحصول على الإعلانات والربح التجاري؛ إلى ركاكة المحتوى الذي تقدمه.

أما عن المحتوى العربي ونموه في الآونة الأخيرة فإن أغلبه يتعلق بموضوعات متنوعة، والسبب هو التفاعل القوي للعرب على الشبكات الاجتماعية (فيسبوك) و(تويتر)، إلا أن ذلك المحتوى لا يسمو بالمجتمعات العربية للدخول إلى مرحلة مجتمع المعرفة الذي سبقنا إليه الغرب. وبنظرة مثلاً على أحدث الإحصاءات، فإن عدد التغريدات باللغة العربية يقارب 17 مليون تغريدة يومياً، فيما يشكل المستخدمون العرب نسبة 39 % من إجمالي المستخدمين في العالم.

هناك عدة عوامل تؤثر بشكل كبير على استخدامات الإنترنت وتأثيراتها الاجتماعية في العالم العربي، لعل أهمها عدم القدرة على العمل الجماعي، وقلة العمل التطوعي، وعدم الثقة في حماية المحتوى. فمن خلال ملاحظاتي لما يشاركه الأكاديميون الغربيون ونظراؤهم المصريون سنجد الفارق كبيراً والهوة واسعة. سنجد الغربيين ينشرون المعلومات والعلم دون مواراة، فيما العكس صحيح في عالمنا العربي، فالعلم يا سادة وظيفته أن ننتفع به، وليس للحصول على ترقيات أو لحجبه والاستفادة منه مادياً. وبإلقاء نظرة على المجتمع الفلسطيني مقارنة بالمجتمع اليهودي، ففي إحصائية لمركز (نت فيجين) بجامعة تل أبيب لعام 2008، أظهر استطلاع للرأي عن عينة من السكان اليهود فوق 18 سنة أن 68 % من سكان إسرائيل اليهود موصولون بالإنترنت. فيما أظهرت بيانات المركز الإسرائيلي للإحصاء، المبنية على عينة من سكان إسرائيل اليهود والعرب، فوق 20 عاماً، في عام 2007؛ تشير إلى أن 61،9 % منهم يستخدمون الإنترنت، وأن نسبة 66،6 % منهم يهود، و36،9 % من العرب. فيما يبدو الفارق الكبير جداً في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بين اليهود والعرب. أما المواقع الأكثر زيارة من جانب مستخدمي الإنترنت فجاء موقع (فيسبوك) الثالث في الترتيب بعد موقعين إخباريين تابعين لأكبر صحيفتين إسرائيليتين، وهما موقعا ynet التابع لصحيفة (يديعوت أحرونوت)، وموقع (walla) الذي تشارك فيه صحيفة (هآرتس)، حيث جاءت نسبة دخول الموقع من مستخدمي الإنترنت كافة 50،5 %، والذين يقدر عددهم بنحو 320 ألف مستخدم.

صحيح أن هناك مبادرات حميدة هنا وهناك كالتي يقوم بها مركز الملك عبد العزيز الثقافي العالمي، وجهود مكتبة الإسكندرية في رقمنة الكتب التراثية وتاريخ مصر والعالم العربي بالصور ووسائط المالتيميديا، ونشر المحتوى المرقمن مجاناً، كما تفعل مؤسسة هنداوي، ومساهمات منظمة (الإسكوا) ومجالس الوزراء العرب؛ إلا أن غياب التنسيق وتضافر الجهود يعتبر حجر عثرة في سبيل إثراء المحتوى العربي الرقمي، لأن هذا الهدف يحتاج لمبادرات كتلك التي تقام في الورش الأدبية (ماراثون الكتابة). وكانت هناك مبادرة فعالة قامت بها الدكتورة مها بالي، المتخصصة في تكنولوجيا التعليم بالجامعة الأمريكية في القاهرة (شهر التدوين الإلكتروني) على تويتر، ولكنها كانت تدعو العرب للتدوين بالإنجليزية، ولقيت المبادرة نجاحاً كبيراً، ونجحت في التشبيك بين عدد من الأشخاص من مختلف الجنسيات. نتمنى أن تظهر مبادرات مماثلة تقدم محتوى نافعاً وثرياً يطور مجتمعاتنا وينشر الخير العام.

التدوين العربي.. إلى أين



منى كيوان: سوريا

تحتل مسألة التدوين مكاناً مهماً في وسائل الإعلام الجديدة، لاسيما بعد انفجار ثورة التكنولوجيا في مطلع الألفية الجديدة. ويؤرخ لبداية التدوين في العالم العربي في العام 2004، حيث بدأها ناشطون شباب في مصر والسعودية وسوريا وتونس ولبنان.

ازدهرت هذه الظاهرة عالمياً، بعد صعود دولة الـ«فيس بوك» الجديدة التي يرأسها الشاب مارك زوكر بيرغ، والتي تعتبر رابع أكبر دولة في العالم من حيث قوة تأثيرها على الرأي العام العالمي، وفقاً لتقرير نشرته صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية في العام 2011، ناهيك عن استحواذ اقتصاد هذه الدولة على النسبة الأعلى من قطاع الإعلانات التجارية في الدول الغربية.

بالعودة إلى مسألة التدوين عربياً، يبقى حضورها خجولاً؛ نظراً لطبيعة القوانين والأنظمة السياسية في الدول العربية، حيث حازت حقوق الإنسان على الهامش الأكبر من اهتمامات المدونين المدافعين عن حرية الرأي والتعبير، والمطالبة بعمليات الإصلاح والتغير، وكان هاجس هؤلاء المدونين زيادة الوعي السياسي خصوصاً لدى جيل الشباب، وفضح التجاوزات الأمنية، حيث ألقت السلطات في دول كمصر والمغرب ببعض المدونين السياسيين بالسجون، وامتد القمع إلى حجب تلك المدونات.

ملامح الواقع في مرآة الافتراض



أنس العباس: لبنان

في الآونة الأخيرة، باتت قضية المحتوى العربي على شبكة الإنترنت تثار على نحو مطّرد في الإعلام ومراكز الدراسات، وكذلك من قبل بعض المبادرات المستقلة لأفراد ومؤسسات معنية بالموضوع. وهي قضية تتطلب البحث والتخطيط، ولا سيّما في ظل النمو المتسارع وغير المسبوق الذي حققته ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، حيث قفز عدد مستخدمي الإنترنت في العالم من 400 مليون مستخدم في عام 2000، إلى 3.2 مليارات مستخدم في 2015.

وعلى الرغم من الحروب والصراعات الدامية التي تشهدها المنطقة العربية؛ إلا أن «تقرير اقتصاد المعرفة العربي 2015 ـ 2016» الذي أعدّته «أورينت بلانيت للأبحاث» يتوقع أن يبلغ عدد مستخدمي الشبكة نحو 226 مليون مستخدم عربي بحلول 2018. وبالتوازي مع هيمنة هذه البيئة الاقتصادية والمعرفية تبرز تحديات ثقافية واجتماعية تتعلق بفقر المحتوى العربي على هذه الشبكة من جوانب عدة.

يبدو أن هذا العالم الافتراضي ليس افتراضياً إلا بمقدار ما يكون انعكاس الصورة في المرآة افتراضياً. فالصورة المنعكسة إنما هي محاكاة لألوان وحركات الوقائع. فالعالم الرقمي ليس هو عالم المثل الأفلاطوني، بل هو مجال خصب للتعرف على صورة المجتمع وثقافته وذوقه العام، من خلال ما ينشره المستخدمون وما يبحثون عنه في هذا الفضاء ويحظى باهتمامهم. وتبقى مقاربة موضوع المحتوى العربي على الشبكة العنكبوتية مقاربة سطحية فيما لو اقتصرت على ناحية الحجم والكمية. والأجدى هو فحص ودراسة نوعية ما ينشر باللغة العربية، وتحري الأسباب الكامنة وراء ذلك ومعالجتها، وسبل رفع سوية تلك المنشورات والارتقاء بها، وبالتالي بالذوق الثقافي العام.

إن الخوارزميات التي تقوم باقتراح المواضيع أثناء البحث ـ على غوغل ويوتيوب مثلاً ـ هي خير استقراء لاهتمامات المستخدمين العرب، لكن النتائج مخيبة بكل أسف. فلو جربت مثلاً أن تكتب كلمة «محاضرة» باللغة العربية من دون أي لواحق، للبحث في يوتيوب، فهل تصدق أنك لن تجد سوى المحاضرات الدينية؟ حتى لو بلغت الصفحة العشرين من اقتراحات «يوتيوب» تلك. والأمر لا يختلف كثيراً في محرك البحث العولمي غوغل، ستجد أن مساحات هائلة من مدونتنا العربية مخصصة لتفسير المنامات، فهل نحن شعوب نائمة؟ وإن كنا كذلك فكيف يمكن أن نستيقظ؟ ومتى نتوقف عن إضاعة الوقت وهدر الإمكانات؟



وإذا مـا أخذنـا معياراً لنوع آخر مـن استقراء الاهتمامات، عبـر وسائـل التواصـل الاجتماعـي «فيسبـوك مثـلاً»، عـدد الإعجابـات الـ«Like» على الصفحـات الرسمية للشخصيات العامـة، فإننـا نجد علمـاء الدين أيضاً يتربعـون على عرش الاهتمـام، لا ينافسهـم في ذلك سوى نجـوم الطرب الهابط الـذي يفتقـر إلى أي قيمة فنيـة أو ثقافية، ثـم يليهم بعض الشخصيات السياسية الفاسدة وذات التوجه الطائفي. بينما تحظى صفحات المفكرين والكتاب الرصينين ومنشوراتهم باهتمام متواضع لا يكاد يشكل وزناً.

مـن جهة أخـرى، وإذا ما نظرنا إلـى النصف المملوء من الكأس، نجـد أن فضـاءات الإنترنـت، وعلـى الأخـص مواقع التواصل الاجتماعي، صارت مواقع تفاعل وسجالات وتداول للمعرفـة والآراء ووجهـات النظـر، وإن شابهـا شـيء مـن الفوضـى وعدم التنظيم. وباتت هـذه المواقع محرضاً على القـراءة لفهـم ما يجري فـي العالم واستيعـاب الآليات التي تمسـك بمصائرنا في ظل هذه الحروب وصراعات المصالح المحتدمة في المنطقة العربية، وما تمخض عنها من أسئلة تخـص ثقافة شعـوب هذه المنطقـة ومعتقداتهـا وتاريخها وهوياتهـا الحضاريـة. مكتبـات إلكترونيـة بحالهـا في كافة ميادين العلـوم والآداب باتت متوافرة مجّانـاً. وتداول واسع للكتب بصيغة «PDF» والأفلام السينمائية بطريقة أناركية تتجـاوز الضوابط الاحتكارية، أشبـه ما يكون بعبور جماعي للحصـول علـى المعرفـة، يحاكـي عبـور المهاجريـن غيـر الشرعيين لحدود الدول هرباً من الحرب وبحثاً عن الأمان.

الخطـوة الأولـى لتطويـر المحتوى الثقافـي العربي في الفضـاء الإلكترونـي، هي الارتقـاء بالذائقة وتوفيـر المواد التي تساعـد على فهم المشاكل وتحرض على ابتكار الحلول، فالحاجـة أم الاختراع، وما أكثـر حاجاتنا كشعوب عربية في هذه اللحظة من التاريخ. وبما أن التصفح عبر الإنترنت يتم عن طريق الروابط «Links» والعناوين، فلا بأس من اختيار عناويـن للموضوعات التي يرام لفت اهتمـام القارئ العربي إليهـا، تُنتقى كلماتها من قاموس الاهتمامات الذي يحظى بإقبـال أكبـر، لشـدِّ فضوله إلـى مقالة أو معلومـة تنتقد ما يـروَّج من تجهيل في هـذا الخصوص، وتشجيعه على رفض كل من، وما، لا يحترم عقله.

الخطوة الأولى لتطوير المحتوى الثقافي العربي الإلكتروني هي الارتقاء بالذائقة وتوفير المواد التي تساعد على فهم المشاكل وتحرض على ابتكار الحلول

المعركـة هـي ذاتهـا، معركـة المعرفـة ضد الجهـل، وكل مـا هنالـك أن الأدوات تغيـرت. والفرصـة مواتيـة رغـم كل الإحباطـات، بـل ربما بسبب كل الإحباطـات. كان سيحلو لي ملامسـة ذاكرة القـارئ، وإيقاظ الطفل الذي في داخله، بأن أطلـق علـى هـذه المقالة عنوانـاً «العلم نـور والجهل ظلام» ملوناً بالأزرق، بانتظار نقرة الماوس، لنبدأ.

ديوان العرب الرقمي وخيبة المدونين

ياسر الزيات: سوريا

مرّت نحو عشرين سنة على جدل عربي محتدم حول العولمة، ولا شيء يبدو اليوم أكثر تقادماً من ذلك الجدل. العالم أصبح أصغر من قرية صغيرة، والذهول من هذا الواقع أضحى نكتة أو علامة شيخوخة، بينما ثورات الاتصالات والتواصل وفيضانات المعلومات والإعلام لم تتوقف يوماً واحداً عن اكتساح الكوكب.

كلمة السرّ في كل ذلك هي الإنترنت

عربياً، بدأ تسلّل الإنترنت إلى البيوت منذ التسعينات، ومعها بدأ ينمو «ديوان العرب» بنسخته الأخيرة. أما ديوان العرب القديم فامتدّ على ألف وخمس مئة سنة تقريباً، بدأ بمرحلة شفوية جاهلية تكوّن خلالها ما يشبه لغة عربية موحّدة، ثم نزلت على النبيّ الأمّيّ (اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِيْ عَلَّمَ بِالْقَلَم)، لتتأسّس بعد ذلك الدولة ثم ليصير للدولة «ديوان»، ومع الديوان نشأ منصب الكاتب في العهد الأموي، ليتصاعد منذ ذلك الحين زخم الحرف العربي مُقَعِّداً ومؤرّخاً ومؤلّفاً في شتّى العلوم والفنون، ليكوّن مكتبة ضخمة للحضارة العربية الإسلامية الناطقة بالعربية الفصحى.

غير أن ثلاث سمات أساسية تميّز ديوان العرب الجديد:

أولاً حصل تراجع في اللغة المعيارية، التي سادت سيادة مطلقة على الديوان الكلاسيكي المكتوب، وذلك لصالح اللهجات العربية الدارجة، وهي بالعشرات، وهي تشهد اليوم تفاعلاً يحدث الآن لأول مرة، وهو من جهة يحدث فيما بينها ومن جهة أخرى فيما بينها وبين أنفسها. لذا يكاد الإنترنت يكون «قرآن» اللهجات العربية، الذي نقلها من عالم التداول الشفاهي إلى عالم الأدب المكتوب، بعد قرون من واحدية التاريخ وشتات الجغرافيا.

أما ثاني وثالث ما يميّز الديوان المذكور فسمَتان عالميّتان: أولاهما كثرة المساحات الفردية الحرّة، ففي عالمنا هذا يمكن لأي كاتب أن يكون صاحب المكان والزمان في كتابته، فيطلق موقعه الشخصي (مجّاناً) لينشر ما يشاء وقتما يشاء كيفما يشاء، ثم يعدّل المحتوى المنشور حسب التعليقات أو المراجعات، لذلك هو الكاتب والمحرّر والناشر والناقد معاً! وهذه حالة كتابية شديدة الفردانية ومطلقة الحرية ومفتوحة الأفق، وغير مسبوقة في تاريخ البشر.

وثاني السمات العالمية أن دواوين الشعوب لم تعد دواوين مكتوبة، وأن الكتّاب ليسوا فقط كتّاباً. نحن اليوم في العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين، وهو زمن تطوّرت فيه أدوات الكاتب تطوّراً حادّاً، فأصبح قادراً على الارتقاء بسهولة نسبية لرتبة «خالق محتوى» content creator، وأصبح بإمكانه أن يضيف إلى نصوصه الروابط، أو يبثّها في صور، أو يعالجها على شكل فيديوهات، أو يعشّقها بالموسيقى، بالإضافة لأدوات التصنيفات والفهرسة حسب التاريخ أو حسب الشكل أو حسب الموضوع. وقبل هذا وذاك، بإمكانه دوماً تلقّي التعليقات والردود على ما ينشره.

في بحر المحتوى الافتراضي هذا، برز شكلان من أشكال التواصل انبثق عن كل منهما عالمان متضادّان من عوالم خلق المحتوى، قبل أن يقضي أحدهما على الآخر قضاء شبه تام. ففي زحمة المواقع التي امتلأ بها الفضاء الافتراضي منذ مطلع الألفية، نشأت المنتديات الجماعية، التي ستتطوّر عنها المدوّنات الشخصية، والتي ستشهد صعوداً منذ منتصف العقد الماضي لن يلبث أن يتراجع أمام زلزال الشبكات الاجتماعية الجديدة، التي تطوّرت بدورها عن خدمات الدردشة المختلفة.

هناك شبه إجماع اليوم على أن «المدوّنات ماتت»، وهذا كلام اختزالي إلى أبعد الحدود. المدوّنات قُتلت قتلاً! التدوين كان فكرة، والفكرة يقتلها تواطؤ الواقع، وقد تواطأ على معاشر المدوّنين واقع التواصل الاجتماعي السريع، الذي تحوّلت فيه الكتابة الشخصية (ولاحقاً الفكرية والسياسية، وخصوصاً التجريبي منها) إلى شكل استهلاكي، واستعراضي، واختزالي، يحرّض لدى صاحبه انتظار «اللايك» و«الرتويت»، والادّعاء من جهة أخرى. وعلى الضفّة الأخرى حلّ بثقله واقع التفاعل الضعيف في عالم



المدوّنات، وتفاقَمَ الجهد اللازم لخلق محتوى تدويني بجودة عالية ثم منافسة التواصل الجماهيري الهستيري على فيسبوك وتويتر لمراكمة جمهور يتابع المدوّنة.

يجدر التنويه بأن فيسبوك وتويتر وغيرهما من منصّات «التدوين البديل»، إذا صحّ التعبير، تبقى جزءاً من الحالة التدوينية، ولكنها أقرب إلى ثورة مضادّة عليها! فالمحور في مواقع التواصل الاجتماعي ليس المحتوى الذي تخلقه فيها، بل المواقع نفسها، وهي مواقع تريدك أن تبقى فيها لأطول عدد ممكن من الساعات، وأن تملأها بأكبر قدر ممكن من الداتا، ولها طرقها وخوارزمياتها المعقّدة التي تهضم المحتوى وتعيد إنتاجه بطريقة موجّهة (بالعمق) نحو الإعلانات والأرباح؛ بينما في مواقع التدوين الحقيقي، مثل ووردبرس **WordPress** وتمبلر **Tumblr** وبلوقسبوت **Blogspot** وحتى ميدْيُم **Medium**، يتمتّع المستخدم بصلاحيات واسعة للتحكّم بشخصية وتصميم مدوّنته وبفهرسة وفرز وتصنيف محتواها، لذلك هي مواقع «تواصل فكري» إذا صح التعبير، بخلاف «التواصل الاجتماعي» القائم على الرسائل والجمل القصيرة التي تستنفد كلياً الطاقة الذهنية للفرد. وللأسف فإن مواقع التواصل كانت المقبرة الحقيقية التي دفنت التدوين، عالمياً وليس فقط في العالم العربي.

يجدر التنويه أيضاً بأن التدوين ليس فقط لـ«هواة» الكتابة، كما يشيع الظنّ. فبالنسبة للكتّاب المحترفين يصلح التدوين لأرشفة أعمال أي كاتب، فالعديد من الكتّاب الصحفيّين (من العرب مثلاً زياد ماجد وفداء عيتاني وصبحي حديدي وجهاد يازجي) هم من «المدوّنين» المنتمين إلى هذا النوع من «التدوين الأرشيفي»، فلكل منهم موقع يجمع أعماله الكاملة، بينما تغيب أسماء كبيرة عن عالم التدوين، وتضيع مع غيابهم أعمالهم في غياهب المحيط الإلكتروني المهول.

كان يمكن للمدوّنات، تلك الكتب الرقمية الواعدة، أن تؤسّس لمحتوى عربي متماسك ومتفاعل ومتراكم، غير أن انسحاب المدوّنين البطيء من مدوّناتهم نحو مواقع التواصل، أصاب فكرة التدوين في مقتل، لتبقى ثرثرات فيسبوك وتويتر، ومعها كتابات الجرائد والمواقع المتكاثرة، أجزاء لا تتجزّأ من ديوان عربي آخذ في التبعثر.

البحث عن مجتمع المعرفة



محمد محمود البشتاوي: الأردن

يعيش «مجتمع المعرفة» العربي على الإنترنت حالة تراجع وانحسار، مقابل العالم الرقمي المتمدد لثقافات أخرى، أولت فيها الدول اهتماماً واسعاً، وذلك بالنظر إلى ما يمثلهُ هذا المجتمع من قيمة معرفية، تنعكس بالضرورة على الثقافة والعلم والتكنولوجيا ومختلف الحقول في الحياة البشرية.

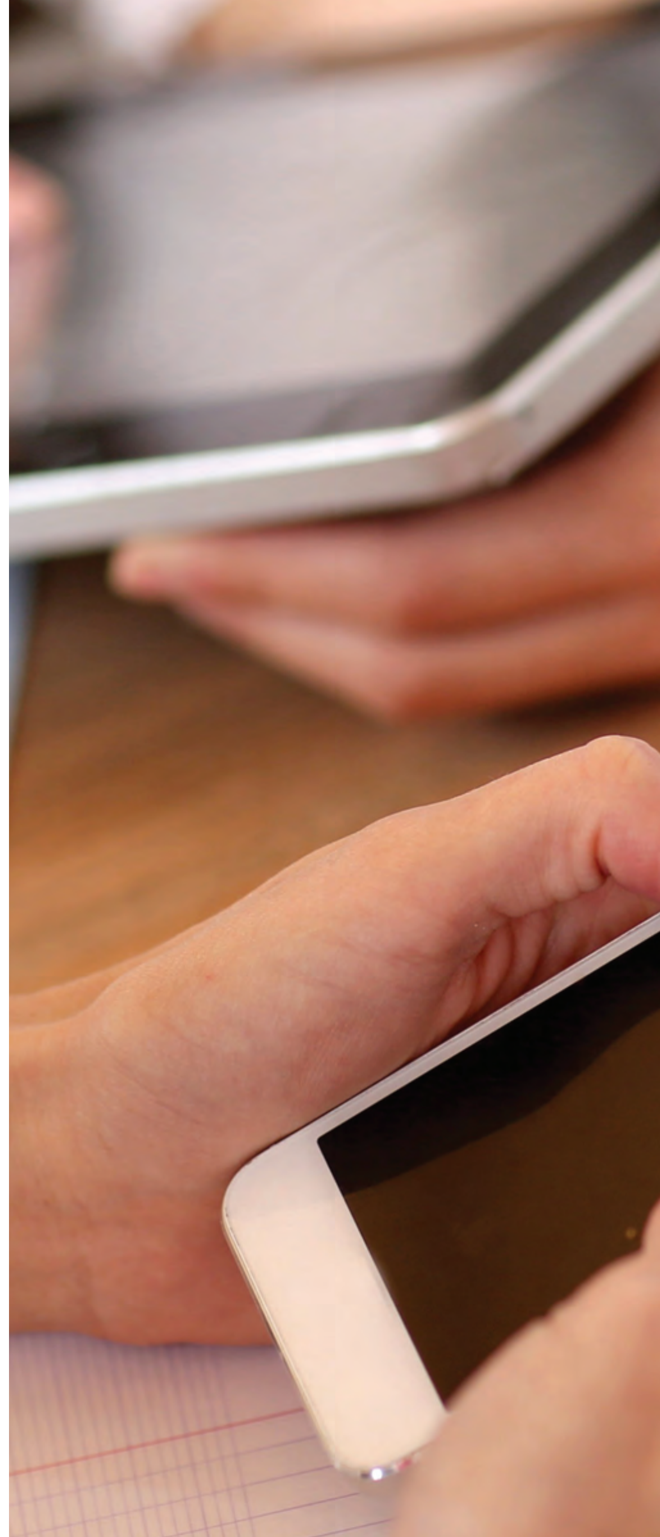
بعض الباحثين أعادَ الحضور المتواضع للمحتوى العربي على الإنترنت، وإشكاليات انتشاره إلى اللغة الأم، وطبيعتها. وثمةَ من لامَ الحكومات، التي غيَّبت هذا الجانب من إستراتيجيتها الوطنية، ولم تكترث به. وهنالك من رأى أن عقدة المشكلة تكمن في غياب التنسيق بين المبادرات المعنية بالمحتوى من جهة، وعدم وجود جسر وصل مع مؤسسات وطنية – خاصة وعامة – ذات صلة بالملف.

وأيًا كانت الأسباب، فإن تلمس وجود مشكلة، وأزمة تتعلق بالمحتوى العربي، يتطلب دراسة المسألة، والبحث عن حلول، تشرعُ في الإجابة عن سؤال محوري، وهو: كيف يمكننا تقديم «مجتمع المعرفة» بما يليق بالعرب حضارةً وتاريخاً، بعيداً عن الواقع، وما يشهدهُ من انكسارات؟

وربما يجدرُ بنا، الانتباه إلى أن غياب المحتوى العربي في مجالات كثيرة، يعني ذهاب العرب إلى ثقافات أخرى، قد تتعارض بعضها في قيمها ومحتواها المعرفي معنا، ما يتسبب في تفاقم المشاكل الداخلية، لاسيما على الصعيد الاجتماعي والثقافي، وليس أدلُّ من ذلك، تطبيقات الألعاب، وما تغرسهُ في دواخل الطفل من عنف، وقيم، وأفكار، تعدُّ غريبةً عن بيئته ومجتمعه.



أين المحتوى العربي؟



إسلام سمحان: الأردن

أصبح العالم في شاشة صغيرة تحملها بيد واحدة، وتقلب أخباره بإصبع واحد، وغدت شاشة الموبايل مستشارنا الثقافي والصحي والسياسي والاقتصادي ومخزن معلوماتنا. فلا حاجة للعودة إلى كتاب لمعرفة الحقيقة، أو سؤال شيخ دين كي يفتي بمسألة شرعية، أو الجلوس بقاعة الانتظار لاستشارة صحية؛ كل هذه الاستفهامات تتوافر إجاباتها في الإنترنت، وما علينا سوى البحث عن ضالتنا وسؤالنا كي نجد الإجابة متأهبة للظهور بنقرة واحدة فقط.

هذا التطور التكنولوجي في عالم الحاسوب والإنترنت استطاع الإنسان أن يجيره لخدمته في سبيل توفير الوقت والجهد والمال؛ غير أن سؤالاً وجدانياً يتأرجح في ذلك العالم الافتراضي هو أين المحتوى العربي من هذا كله؟

في الحقيقة بعيد رسوخ ثقافة البحث عبر الإنترنت ظهرت محاولات عربية كان سيكتب لها النجاح لو توافرت العزيمة والتفكير الجدي، وليس مجرد فزعة أو قرار ساخن اتخذ بعد مؤتمر تكنولوجي برد بعد حين.

فالمتابع للمحتوى العربي عبر الإنترنت سيجد أن العرب اجتهدوا في البداية، وتحولت تلك المواقع إلى بيوت باردة تفتقد للتحديث والتطوير والمتابعة، إلى جانب مشاريع فردية تصدى لمتابعتها ثلة من الشباب اصطدموا بواقع الحياة، فانهارت أحلامهم عند العتبات الأولى.

قد يسأل أحدنا: أليس من واجب الحكومات العربية أن تتكفل بذلك النوع من العمل؟ نعم، هناك مبادرات حكومية في بلدان عربية لكنها أيضاً لم يكتب لها العمر الطويل بسبب البيروقراطية والنفس البرغماتي في معظم الأحيان، إذ إن طبيعة تلك المشاريع تعد في المقام الأول ذات طبيعة شبابية لإنشائها والإشراف عليها.

الحل إذن يكمن فيما يسمى بـ«التشبيك»، أو الربط بين هؤلاء الشباب وتلك الحكومات، فيما لو كانت هناك نية صادقة لتقديم مادة عربية تواكب العالمية والتطور في المعلومات والاكتشافات.

إن غياب المحتوى العربي الأصيل وترك الحبل على الغارب وفر فرصة لمشاريع وأجندات غير مسؤولة تمنح لأطراف معادية لثقافتنا وحضارتنا وقيمنا، بحيث أصبحت الشبكة العنكبوتية تكتظ بمحتوى أغلبه غير علمي ولا يعتمد المصداقية.

غياب المحتوى العربي الأصيل وترك الحبل على الغارب وفر فرصة لمشاريع وأجندات غير مسؤولة

إشكاليات المحتوى العربـــي والطفولـــة

شيماء حاتم البشتاوي: الأردن

«لنفكر في الحل!».. دائماً تبدو هذه المقولة ساحرة، وكلما بكى الأطفال وتشاجروا، فأقول لهم: «لنفكر في الحل، لا في المشكلة»، وما المانع إذن أن نسقط الأمر بإحداثياته على إشكالية المحتوى العربي.

بعد مرور سنوات على إشكالية المحتوى العربي، يجد صناع المحتوى العربي أنفسهم أمام إشكالات عديدة، ويبقى عينها وجوهرها هو البوصلة، إلى أين يتجه المحتوى العربي؟ وهل أزمة المحتوى العربي هي أزمة كم أم أزمة كيف؟ وهل هناك من يمتلك الإجابة المعرفية الشافية، معرفةً وأدوات؟ وهل هناك من شفي من هذا الفصام النكد ما بين النظريةِ والتطبيق؟

هل إشكالية المحتوى العربي تمس اللغة في ذاتها؟ أم في المعارف المنضوية تحتها؟ هل القصور في اللغة أم في المحتوى أم في الأدوات أم في التوظيف؟ وللهدهد كانت إجاباتها.

في العام 2011 وقبل خمسة أعوام تأسست الهدهد للمحتوى الإبداعي للأطفال، وهي تحمل رؤية «نحو لغة عربية عالمية ممتعة للأطفال»، على أن تكون اللغة ليست أبجدية القراءة والكتابة، وإنما هي ذلك الوعاء المعرفي الكبير لأفكار وأحلام وأسئلة الأطفال، وانفتاح وعي الأطفال على عالم مدهش وغريب.

والسؤال الماثل هو: هل الطفولة بحاجة إلى محتوى رقمي، ولماذا الآن؟

لا يبدو خافياً أهمية اللغة في مرحلة الطفولة المبكرة، إنما يمكن اعتبار مرحلة الطفولة هي «مرحلة اللغة»، غير أن معطيات الواقع تطغى بما لا يدع مجالاً لمرحلة الطفولة أن تكون مرحلة اللغة، إذ انتشرت الحواسيب اللوحية التي تعمل باللمس، والتي جعلت الطفل يستخدم التقنية دون وسيط أو معلم.

أتيح الاتصال بالشبكة العنكبوتية على الدوام، وجادت الحواسيب اللوحية بآلاف التطبيقات والألعاب التي تنافس الطفولة في مهدها، وتنافس لغتها الأم، ولا يبدو المشهد أكثر إشراقاً في النظام التعليمي، فاللغة المقدمة هي لغة القراءة الجافة والمملة، ويهيمن فيها النظام ثنائي اللغة، وتبدو اللغات الأخرى أقرب وأجمل، مما حدا بهذه اللغة الجميلة إلى الانسحاب من دورها كلغة أم إلى ما دون ذلك، الأمر الذي جعل من توفير محتوى عربي للأطفال أمراً بالغ الأهمية، بل ذا أهمية قصوى، ومن هنا كانت الهدهد.

بدأت الهدهد بداية عفوية كتجربة حرة في العالم الافتراضي، وبدأ صاحباها (محدثتكم وشقيقها المهندس محمد) بتطبيق على الآيفون، ولم يكن أيًا منهما يحمل «آيفون» آنذاك.. وبفكرة بسيطة وبحلم كبير رأى تطبيق «حروفي المرحة» النور، وما يزال الآن إلى النور مبصراً، مع أكثر من نصف مليون مستخدم منذ تلك اللحظة العفوية.

في العام 2013 جاءت نشرة «معرض تعليم» الذي تقيمه وزارة التربية والتعليم في السعودية، متحدثة عن تطبيق عربي نجح في الوصول إلى الأطفال، فتحدث عن «حروفي المرحة».

وفي ذات المعرض في العام 2014 كان طلبة المدارس يمرون أمام جناح الهدهد، في أول وصول له من عمّان إلى الرياض، فيشيرون بأصابعهم ويرددون بفرح أسماء شخصيات الهدهد «أنس، بيان، تميم» وهم يمرون في طابورهم الأنيق.

ومن «حروفي المرحة» جاء تطبيق «أصواتي المرحة» الذي حصل على خمسين ألف تحميل في ثمانية أيام، وتوجت شركة "Apple" ذلك بافتتاح تصنيف ألعاب بالعربية "game in Arabic" ووضعت «حروفي المرحة» و«أصواتي المرحة» في المقدمة.

ومع ما يزيد عن مليون تحميل لتطبيقات الهدهد الثلاث وقفت الهدهد على مفترق الطرق: هل تستمر

بعد أعوام من العمل الدؤوب درس عبر تطبيقات «الهدهد الذكي» أكثر من 26 ألف طالب موزعين بين قارات العالم الشاسعة



في التطبيقات الإثرائية أم تتجه لقطاع التعليم بتحدياته الكبيرة وقوانينه الراسخة وتركته الثقيلة؟

هل يمكن للمحتوى الرقمي أن يمتلك موطئ قدم بين أعوام وأعمار وأزمنة من الكتاب الورقي؟ وهل يمكن أن يكون المحتوى العربي الرقمي بأدواته فاعلاً في حل مشكلات التعليم؟

وبثقة ما، أطلقت الهدهد مغامرة المحتوى الرقمي الكبرى، فيما يسمى «الهدهد الذكي» كمنهاج ذكي للعربية والمعارف في رياض الأطفال، والذي يقدم جملة من الحلول الرقمية الذكية مدمجة في عمق المحتوى العربي التأسيسي لمرحلة الطفولة المبكرة، بما يقدم رؤية جديدة لمفهوم التعليم، دور المعلم والأدوات التي يمتلكها والفضاءات الرحبة التي بإمكانه أن ينتقل إليها والمساحات الكبرى التي تمكن الطفل العربي من ملئها بثقة واقتدار متحدثاً ومبتكراً ومتواصلاً.

ما حدث مع الهدهد بعد ذلك هو أمران: نتائج تجريبية غير مسبوقة، ومن الجهة الأخرى ممانعة كبرى من المؤسسات التعليمية، وبدأت رحلة من التحديات والملاحظات والمتطلبات والإضافات والإثباتات.

بعد أعوام من العمل الدؤوب درس عبر الهدهد الذكي أكثر من 26 ألف طالب موزعين بين قارات العالم الشاسعة، درسوا لغة حية نابضة مفعمة بالمعاني والأسئلة والأفكار والمشاعر والتفكير والدهشة، ولعلي أدعو كل مهتم باللغة والمحتوى والأدوات وتوظيفها جميعاً؛ إلى الاطلاع على تجربة الهدهد في بناء لغة وظيفية يقدر بها صغيرك أن يقول لك في ذيل النهار: «أنت تشعر بالملل، حسناً لدي فكرة»! ثم يأخذك في جولة ما من عالمه الصغير.

حكاية قصيدة

في تراثنا الأدبي العربي طائر يحلق بجناحين في ثنائية من نوع مختلف، ذلك الطائر يتجسد في (حكاية قصيدة)، تلازما معاً، فارتبطت القصيدة بالحكاية والحكاية بالقصيدة. وأدبنا العربي يزخر بالعديد من تلك المواقف والقصص التي خلدتها القصائد، حتى استحال بعضها إلى ثنائية متلازمة تناولها الرواة والنقاد، وحيكت حولها خيوط، وأضيفت إليها أخرى، حتى صارت أسطورة متماسكة تروى جيلاً بعد جيل.

ذكريات الحج



د.عبدالله ثقفان: الرياض

يمرّ موسم الحج مثلما أي شيء يمر في هذه الحياة التي لا ثبات لها، ولكن ذكرياته تبقى راسخة في عقول من عاشه وعايشه، وهي ذكريات تبقى حاضرة في الذهن، خصوصاً ذهن الشاعر. ولعل أفضل ما قيل في هذا، تلك القصيدة التي نظمها (ابن الأمير الصنعاني، ت: 1182هـ)، وقد نسبت لغيره، وهي قصيدة طويلة بدأها بقوله:

أيا عذبات البان من أيمن الحمى
رعى الله عيشاً في رباك قطعناه
سرقناه من شرخ الشباب وورقه
فلما سرقنا الصفو منه سُرقناه

لقد نظمها على طريقة عصره، حيث قال فيها بعد مقدمة طويلة، حوت أسى وحزناً على فراق المكان الذي كان إليه يتلهف مثلما أي مسلم، إذ نجده قد قال بعد تلك المقدمة مخاطباً أهل المكان الذي كان إليه قصد:

عليكم سلام الله يا ساكني الحمى
بكم طاب رياه بكم طاب سكناه
أسكان وادي المنحنى زاد وجدنا
بمغنى حماكم ذاك مغنى شغفناه
نحنّ إلى تلك الربوع تشوقاً
ففيها لنا عهد وعقد عقدناه
وربّ يرانا ما سلونا ربوعكم
وما كان لنا من ربع سواه سلوناه
فيا هل إلى ربع الأعاريب عودة
فذاك وحق الله ربع حببناه
قضينا مع الأحباب فيه مآربا
إلى الحشر لا تنسى سقى الله مرعاه
فشدوا مطايانا إلى الربع ثانيا
فإن الهوى عن ربعكم ما ثنيناه
ففي ربعهم لله بيت مبارك
إليه قلوب الخلق تهوى وتهواه
يطوف به الجاني فيغفر ذنبه
ويسقط عنه جرمه وخطاياه
فكم لذة، كم فرحة، لطوافه
فلله ما أحلى الطواف وأهناه
نطوف كأنّا في الجنان نطوفها
ولا هم، لا غم، فذاك نفيناه
فوا شوقاً نحو الطواف وطيبه
فذاك شوق لا يعبر معناه
فمن لم يذقه لم يذق قط لذة
فذقه تذق يا صاح ما قد أذقناه
فوالله ما ننسى الحمى فقلوبنا
هناك تركناها فيا كيف ننساه
تُرى رجعة، هل عودة لطوافنا
وذاك الحمى قبل المنية نغشاه؟
فوالله ما ننسى زمان مسيرنا
إليه وكل الركب قد لذ مسراه
وقد نُسيت أولادنا ونساؤنا
وأموالنا فالقلب عنهم شغلناه



تراءت لنا أعلام وصل على اللوى
فمن أجلها فالقلب عنهم لويناه
جعلنا إله العرش نصب عيوننا
ومَنْ دونه خلف الظهور نبذناه
وسرنا نشق البيد للبلد الذي
بجهد وشق للنفوس بلغناه
رجالاً وركباناً على كل ضامر
ومن كل ذي فج عميق أتيناه
نخوض إليه البر والبحر والدجى
ولا قاطع إلّا وعنه قطعناه
ونطوي الفلا من شدة الشوق للقا
فتمسي الفلا تحكي سجلاً قطعناه
ولا صدنا عن قصدنا فقد أهلنا
ولا هجر جار أو حبيب ألفناه
وأموالنا مبذولة ونفوسنا
ولم نبق شيئاً منها ما بذلناه

ثم استرسل الشاعر، ليذكر مناه من الحج، وموقفه عندما رأى البيت، وعندما طاف طواف القدوم، ثم المبيت بمنى، والمسير إلى عرفات، والوقوف بها.. إلى نهاية أيام الحج، وما فيها من رمي وحلق وهدي.. ومن ثم الرحيل إلى المدينة.

من موقع صيد الفوائد، وقد ذكر أن القصيدة لمحمد بن محمد بن عبدالله بن رشيد البغدادي، وأنها ليست للصنعاني.

النحات آدم حنين
فن استنطاق الحجر

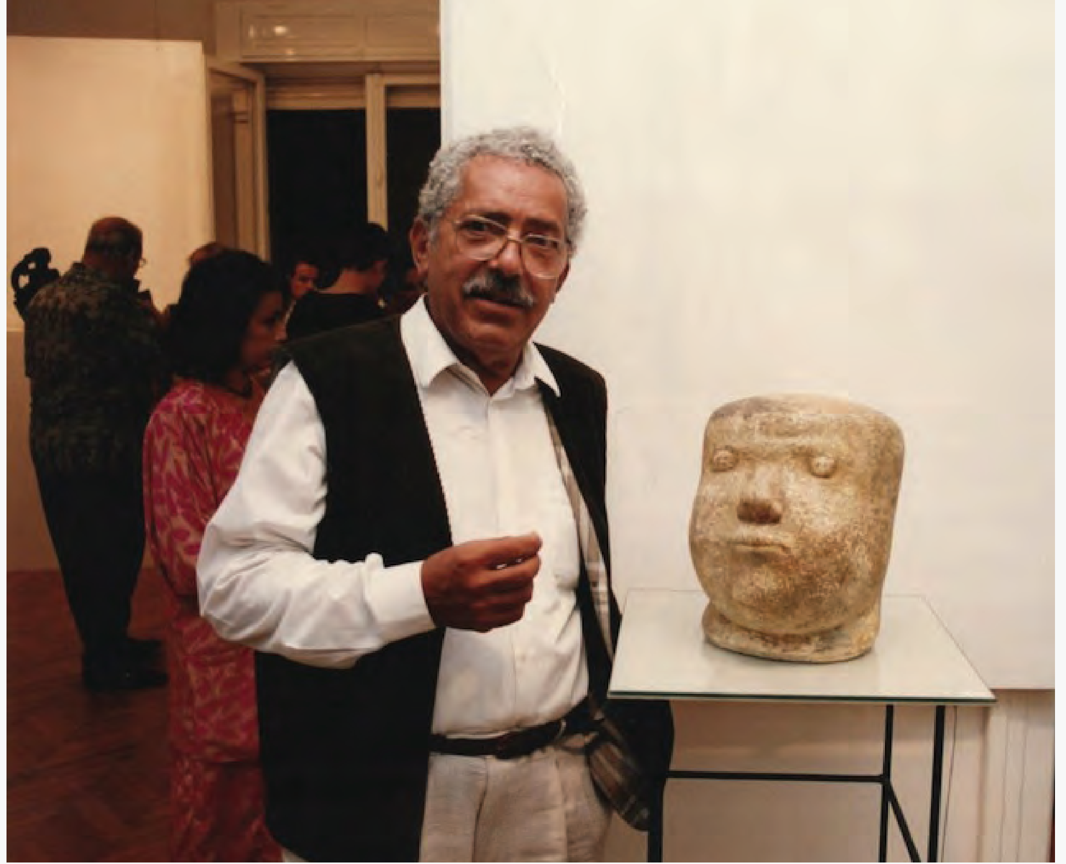
داليا عاصم: مصر

آدم حنين.. من كبار النحاتين المعاصرين في العالم، مسيرته الفنية تجاوزت الستين عاماً، عرضت أعماله في مصر والدول العربية وأوروبا وأمريكا. ورغم أنه نحات في المقام الأول إلا أن رسوماته ولوحاته تأتي امتداداً لأعماله النحتية؛ فهو يتحاور مع المادة ويستشهد بها.

تنم أعمال آدم حنين (مواليد القاهرة 1929) عن سحر خاص يجمع بين تراث الماضي والحداثة، فهو يمتلك علاقة خاصة مع المعادن، يطوعها فيجعلها تبدو انسيابية أسطورية بخطوط كنتورية. ورغم إقامته في باريس لمدة 25 عاماً، إلا أنه ظل متأثراً بالفن المصري الذي استقر في وجدانه منذ الطفولة. وهو من قام بترميم تمثال (أبوالهول)، وأصر أن يقيم متحفه ومنزله بالقرب من الأهرامات بقرية (الحرانية) بالجيزة ليجمع أكثر من 4 آلاف عمل فني، وله متحف دائم بمكتبة الإسكندرية، وساهم في دعم أجيال من شباب النحاتين من مختلف الجنسيات بتأسيسه سبموزيوم أسوان الدولي. ورغم ارتدائه عباءة الثمانين إلا أنه يعيش حالة ألق فني؛ بمشاركته في عدة معارض في جدة ودبي والكويت، ومؤخراً شارك في (آرت دبي) إلى جوار الشباب فتشارك معهم خبرته الإبداعية.. التقته (المجلة العربية) بمتحفه بالجيزة وكان لنا هذا اللقاء:

- من يطأ متحف آدم حنين بالحرانية سوف يشعر بدهشة عجيبة تبعثها منحوتاتك، فهي كما نقول (علامة مسجلة) في عالم النحت، لماذا فضلت أن يكون متحفك داخل منزلك وبجوار مرسمك؟

هذا المتحف يجمع تجربتي ومشواري الفني الذي يزيد عن 60 عاماً، وهو يجسد مراحلي الفنية ويبرز تواصلها معاً، ويجمع أعمالي التي خفت عليها من الضياع، كما أشعر بسعادة كبيرة يومياً وأنا أستقبل زوار المتحف من مختلف الجنسيات، أستمتع بالتعرف إلى وجهة نظرهم ورؤيتهم للمنحوتات. وهو ما يشجعني على عدم بيع أعمالي، أبيع بعضها وأغلبه تماثيل من البرونز، ولكن يكون لدي نسخة منها.



عندما أقوم بالنحت فكأنني في حوار مع المادة التي أعمل بها وكل مادة تفرض علي حواراً مختلفاً عن الأخرى

- حدثنا عن تجربتك الفنية الطويلة والبدايات؟

كانت زيارة المتحف المصري في الثامنة من عمري لها عظيم الأثر في تأثري بالفن المصري القديم، حيث وجدت نفسي وكأنني ارتبطت بهذا التراث ارتباطاً أبدياً، فقد تشربت الفن الفرعوني وعشت فيه، فعندما رأيت تمثال (شيخ البلد) أحسست أنه جدي، قد كانت هذه الزيارة بمثابة صدمة قوامها الدهشة، وفقدان الإحساس بالزمن، فإذا بي إزاء واقع يفرض نفسه علي، واقع يبوح لي بأنه موجود وكبير وبأني أمامه صغير. وبعد مرور أيام وجدت قطعة من الصلصال في محترف المدرسة فأخذتها وأعددت بورتريه لإخناتون، وعرضته على أبي الذي كان يعمل صائغاً ففرح به كثيراً ووضعه في واجهة المحل.

هذه اللحظة وهذه الخبرة ما زالت تراودني كل يوم، أستيقظ كل يوم وأسارع إلى مرسمي.. يحدوني هذا الأمل بأنني في حاجة ملحة لهذه اللحظة التي لا تزال تتملكني وتظهر في أعمالي.. حتى عندما سافرت إلى باريس لم أفرط في فني ورؤيتي الخاصة، وكانت نيتي أن أمكث سنة واحدة أُلِمّ فيها بالفن الحديث، ولكنني لم أستطع أن أنفصل عنها وبقيت بها 25 عاماً، زرت المتاحف والتقيت الفنانين وأقمت المعارض، وزرت فيها إيطاليا سواء للمتعة أو للدراسة، وعدت إلى مصر عام 1996، أقمت بعدها سمبوزيوم أسوان الدولي ومازلت أنحت وأرسم حتى أشبع نهمي بالفن المصري.

- هل كان لزوجتك عفاف الديب فضل في دفعك لاستكمال المسيرة الفنية الشاقة؟

التقيت بعفاف في معرض لأعمالي عام 1960، وقد أظهرت حماساً شديداً لمنحوتاتي، وكانت تريد شراء إحداها بالتقسيط، لكنها لم تدفع شيئاً لأننا تزوجنا.. ومنذ ذلك اليوم أصبحت عفاف أول جمهوري وناقدتي الفنية. الفنان دوماً يحتاج إلى نظرة شخص آخر لعمله، وكانت بالنسبة لي هذا الشخص الآخر. عفاف أثرت علي فقد كان لديها حس رائع بالأدب وبالموسيقى الكلاسيكية وجعلتني أكتشف الكثير من الأشياء، وكانت تدفعني إلى العمل، كانت تحدث بيننا مناقشات حادة ولم نكن نتفق أبداً في الرأي.

- الرسم بالنسبة لك استراحة محارب، فهل وجدت يوماً ذاتك مشتتة ما بين النحت والرسم؟

النحت هو عشقي الأول.. وتطور الرسم لأسباب خاصة، لأن النحت يأخذ وقتاً طويلاً جداً، ففي السنة يمكن أن أقوم بعملين فقط، فالرسم ينتهي في وقت وجيز ويعمل على



النحت في العالم العربي بخير ولن يتأثر بأفعال (الدواعش).. والفن بحث في الذات واكتشاف لخباياها

تنشيط الأفكار، وثانياً وسيلة للعيش. أحاول التوفيق ما بين الاثنين، واعتبرت الرسم معمل أبحاث للنحت، وهو بمثابة لحظات توقف أستعد من خلالها لمتعة النحت، فالرسم ضرورة فنية واقتصادية.

- كيف تمكنت من تطويع سيطرة الفراعنة على أعمالك الفنية والهروب من الصراع بين الكتلة والفراغ ودمج تقنيات النحت الغربي؟

من خلال متابعتي للأعمال الفنية المصرية القديمة، تربى لدي نوع من الذوق والقوانين الفنية التي رسخت فيّ منذ صغري، مثل الكتلة في الفن المصري التي تجمع ضدين، فالفراعنة منحوتتهم كتلة ثابتة، الحركة فيها باطنية، تعيش في قلب الساكن، كثافتها مذهلة، ما يجعلها كتلة جامدة متحركة. انطلاقاً من هذا المبدأ أدرك الفراعنة كيفية مزج الثقل بالخفة، فرغم كتلته يبدو نحتهم وكأنه يطفو على الماء.. الفن الفرعوني يحمل ثقله في داخله، ويطفو كما لو أنه مجرد من أي وزن. وقد جعل لي نوع من المقياس الفني الذي أسير عليه، فجعلني أحب الفن وأحدد ماذا أنفذ وماذا أرفض. فكل شيء جميل أراه يدخل في مصطلحات الرؤية البصرية التي أعمل من خلالها، مما حماني من الانسياق لمدرسة فنية معينة أو السير على خطى فنان بعينه، ولذا لم أشعر قط بأنني منجذب حقاً إلى السريالية أو إلى التكعيبية أو أي حركة أخرى، وإنما هي ترسبات تكونت لدي من خلال جميع الأعمال الفنية التي رأيتها طوال حياتي.

- مشاهدة لوحاتك تلفت الانتباه إلى المساحات والفراغات وتعاملك معها، هل هي لإضفاء هالة من الغموض، ولماذا نشعر بهذا التكثيف في أعمالك خاصة تلك التي تجسد المرأة؟

هذه ملاحظة لدى الكثير ممن شاهدوا أعمالي، والبعض من المقربين لي حللها نفسياً، وقيل لي إنني أصمم لنفسي مخرجاً للهروب لأصل إلى لحظة التحرر، ولكني لم أقصد ذلك أبداً. استخدمت في بعض لوحاتي الشكل المعماري للتعبير عن الجسد الأنثوي، وكأنني عائم في الصحراء، وهي تعطي معنى للأنثى بشكل مختلف بعيداً عن الجنس، فأنا أخجل وينتابني شعور بعدم الراحة من تمثيل المرأة بشكل مبتذل. وقد عبرت عن المرأة بشكل ليس فيه خجل وبعيد عن الابتذال، فعبرت عنها من خلال الأشكال الهندسية مستخدماً القلم الرصاص وهي مجموعة مكونة من أكثر من 55 لوحة متنوعة في الأفكار التي تجسد الحداثة الناتجة من حرية الاختيار لكنها في الآن ذاته توحي بالأصالة والعراقة المصرية.

- برأيك هل هناك وجه اختلاف بين المتلقي الفرنسي أو الغربي بوجه عام والمتلقي العربي لأعمالك؟

عندما ذهبت إلى باريس كان الفرنسيون يقولون إنه شغل مصري، والمصريون كانوا يقولون إنه أصبح شغل خواجة، وأنا أنفذ ما أريده ولا أهتم بشكله وكيفية تلقيه، كما أنني



لا أحب أن أقدم أعمالي في جاليري، فهو إحساس غريب وغير مألوف أن تقدمي عملاً وأن تجدي الناس يطرحون عليك أسئلة ثم يأخذون في مقارنة عملك مع أعمال أناس آخرين. إنه شيء مؤذ، غير طبيعي وقسري، كأنك موجودة لكي تحاكَمي. وأنا لا أزاول الفن من أجل هذا، فعندما أعمل، أكون أحلم، أحقق أحلامي، أكتشف.. وهذا هو الفعل الحقيقي للفنان وهو الفعل الأكثر جمالاً لدى إتمامه.

- يمكننا القول إنك لم تترك مادة أو خامة إلا واستخدمتها، فمن الحجر والجرانيت إلى البرونز والجص والجبس، وبالرغم من صلابتها إلا أنك تشعر المتلقي بانسيابيتها، فما سر ذلك؟

الحجر بالنسبة لي يمثل لغزاً مليئاً بالأسرار أحاول من خلال العمل معه على تفكيك تلك الأسرار، ربما اخترت العمل على مثل هذا العدد من المواد كي أكتشف كينونتها أو الاستراحة من ألغاز الحجر. كنت أشتغل في المعتاد ما يقرب من 15 ساعة يومياً، وكانت هذه طريقتي للتخلص من هذا الشعور. لكنني لا أفضل خامة على أخرى.

- هل هناك متطلبات للحالة الإبداعية لآدم حنين وما هي طقوسها؟

لا توجد لدي متطلبات. إن العمل المبدع بالنسبة لي، هو اكتشاف دائم التجدد، وإن ساورني شعور بالتقيد أسارع في إرخاء الحبال استعداداً للرحيل، فأنا أعمل كثيراً وكلما عملت بجهد أكثر، كلما ترتبت أفكاري، ففي الصباح الباكر أدخل المرسم وأمارس طقوس بدء العمل بأن أنظم المكان وأزيح الأتربة، ثم أجد الأفكار تنهال الواحدة تلو الأخرى.. ثم يتكون لديك عالم خاص بك ورغبة في البحث عن شيء مجهول، وتجدي نفسك تبحثين وتنقبين في شيء، وهو ما يخرج الجديد وينتج الاكتشاف. لا أنتظر الوحي والأفكار وإنما أذهب إليها. الفن بحث في الذات واكتشاف لخباياها، وبالنسبة لي فأنا أشتغل على نفسي أكثر فأرسم لوحة أو أنحت تمثالاً أو أحصل على جائزة.

- هل حدث وأن نقمت على أحد أعمالك وقمت بمحوه أو تغييره؟

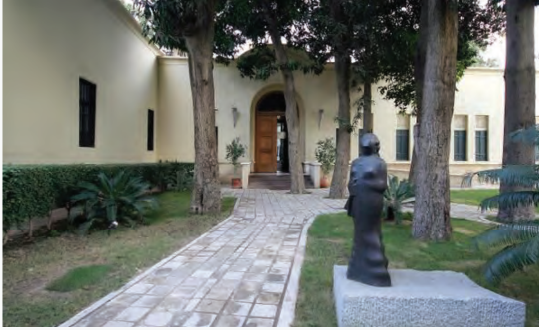
نادراً.. فعندما أقوم بالنحت فكأنني في حوار مع المادة التي أعمل بها، وكل مادة تفرض علي حواراً مختلفاً عن أي مادة أخرى. أحياناً تقف هذه الحالة فأتركها وأحياناً أعود بعد 4 أو 5 سنوات، فالفن حركة متصلة. لا يوجد قطع مفاجئ، لذلك لا توجد لدي مراحل فنية، وإنما أسير في خط متصل وأؤكده، فمن النحت أتجه للرسم ليعطيني نتائج سريعة ثم أعود للنحت، باكورة إنتاجي الفني يشبه إنتاجي الحالي. ومن هنا تجدين اتصالاً، فعندما أقلب في إسكتشاتي التي رسمتها منذ 15 سنة أجد نفسي أكمل رسماً ما وكأنني رسمته بالأمس. أرى أنها حالة واحدة فيها تقدم وتطور متواصل، لقد حافظت على نفسي ولم أفتعل شيئاً، لم يكن لي تطلعات ليست لها أهمية.. تطلعاتي تخصني، لذا لم أتغير. وإنما إذا كانت التطلعات مبالغ فيها فإنها ستفقدك كل ما لديك.

> لا أنتظر الوحي والأفكار بل أذهب إليها.. والنحت تعبير عن الوجود الإنساني









- كيف جاءتك فكرة سـبموزيوم أسوان ومتحفه المفتوح؟

مصـر بلد العمارة والنحت، ولدينـا أحسن عمارة وأجمل تماثيـل، ولكن أفقدنا المستعمـرون هذه المكانة، فضاع فن النحت وهويتنـا الفرعونيـة، وكان ذلـك مـا يؤرقنـي خلال دراستي في الكلية، وكنت أرغب في أن أعيد لمصر هذا الفن الرائع وأصابني اليأس في فترة ما.. وعندما كنت في باريس كانت هنـاك تساؤلات مـن الفرنسيين حـول الفن المصري الفرعونـي ونحـت الحجـر، ولـم تكـن لـدي إجابـات تشبـع نهمهـم في التعـرف على حضارتنا، بالرغم مـن أن الأطفال هنـاك يعرفون الحضارة المصرية القديمـة أكثر منا. وذات يوم دعيت سنـة 1977 في سبموزيوم بيوغوسلافيا، ووجدت فنانيـن من الصين وإسبانيا وأمريـكا والبرازيل، وكنا نعمل معاً وكنت أشاهد كيف يقومون بتكسير الحجر وتعلمت منهم تقنيـات جديـدة وأشياء كثيـرة جـداً. ولما عدت إلـى باريس قابلت الفنان فاروق حسني، وكان مسؤولاً عن المركز الثقافي المصـري، وتحدثـت معـه عـن الفكـرة وقال لـي لابـد أن يقام سبموزيوم مشابه ويقام في أسوان. وبعد 19 سنة، هاتفني وقال لـي: (تعـال نعمل السبموزيـوم)، وفعلاً أقمنـا أول سبموزيوم وكان لابد أن ينجح.. وفعلاً لاقى نجاحاً كبيراً ومازال مستمراً منـذ 21 سنـة، وتحسن مستوى النحت بمجـرد أن عمل جميع الفنانيـن مـع مادة واحـدة وهي الحجر، فهو يوحـد الفنانين، وأصبـح هناك فنانون يشاركون فـي سبموزيومات في الخارج، وانتشـرت الفكرة في كل أنحاء العالم العربي، وأصبح الجميع يعترف بأن سبموزيوم أسوان هو الأفضل.

عندما رأيت تمثال (شيخ البلد) أحسست أنه جدي.. لقد تشربت الفن الفرعوني وعشت فيه وارتبطت بهذا التراث ارتباطاً أبدياً

- بالنسـبة لتقدم حركة النحت، هل هناك ثقافة جماهيرية تقابلها وتتذوقها؟

النحـت من الفنـون الراقية التي يكون جمهورها محدود العدد، وهي تنتشر ولكن في نطاق ضيق، فهي ليست كالغناء والموسيقى، بالإضافة إلى أنها لا توفر معيشة سهلة، ولكنها تنتشر في سيـاق يحدده الوضع السياسي والاجتماعي، وهو مـا يحدد شكل الثقافـة الجماهيرية واتجاهها، فهناك أناس تتجر بالدين وغيرهم.. وكل ذلك عابر وليس له أرض صلبة يستند عليها، ولذا فهي لا تمثل خطراً على التذوق الفني.

- مـن وجهة نظـرك، هل شـكلت التكنولوجيا الجديـدة والتقنيـات الحديثـة عائقـاً بيـن الفنان والمتلقي أو أثرت على المتلقي بشكل سلبي؟

نحـن نعيش عصر العولمـة والتكنولوجيا، وهي موجودة شئنـا أم أبينـا، ولكـن المشكلة هي الشكل الـذي نستقبلها به








ونظرتنا لها، وهي تختلف بالتأكيد عن الفرنسي والأمريكي وغيرهم، وينبغي على الفنان استخدامها بشكل صحيح وتسخيرها لمصلحة العمل الفني، وأعتقد أننا نضع أقدامنا على أرض صلبة لأن حضارتنا وثقافتنا مختلفة عنهم. وعلى أية حال، لا يجب أن نقف أمام التكنولوجيا ونعاديها وإنما نتعامل معها بروحنا ونتبع إحساسنا. أعترف أنها فعلاً أثرت وأبهرت الكثيرين ولكنها أبهرت الضعفاء وليس كل الفنانين، فهي مغرية لغرابتها ولكن علينا الحذر من الوقوع في هذا الفخ. على الفنان أن يعي جيداً من هو، وما هي بلده؟، وأن يعمل من مخزونه الثقافي ويرفض ما يتعارض معه، ويبتعد عن الفردية ويتعاون مع غيره لكي يتطور وينضج.

- الحركة التشكيلية العربية هل لها شخصية محددة أم مازالت مبهمة؟ وكيف ترى تدهور فن النحت في مصر؟

حتى الآن لا توجد حركة مستقلة، هناك محاولات وتجارب شابة، ولكن ليس هناك اتجاه ولا حتى في مصر. هناك جزر صغيرة منعزلة لم تتكاثر لتنتج حركة أو شخصية مازالت في طور التكوين، وحقيقة لا أعرف لأن كليات الفنون أصبحت سيئة، وأساتذة الفنون لا ينتجون أعمالاً فنية، فكيف سيخرجون فنانين منتجين؟! أعتقد أن هذا مرده إلى إهمال التاريخ والثقافة مما يؤدي إلى عزلة الفن عن المجتمع، والناتج يكون أعمالاً فنية مشوهة، لأنها منقولة عن الغرب وموضوعها غائب.

-وهل هناك مدرسة نحتية استوقفتك في العالم العربي، وهل ثمة ملامح ما، أو خصوصية لها؟

لا شك أن الدول العربية الآن تشهد حركة فنية نشطة وانعكست آثارها على النحت، وبخاصة في دول الخليج. وفي مصر والعراق توجد مدارس فنية أكثر رسوخاً ومتأثرة بالتاريخ الحضاري لهما، بينما توجد في لبنان مدرسة نحتية حداثية متأثرة بالفن الأوروبي.

- هل ينتابك القلق حول مصير فن النحت بعد ظهور (الدواعش) وتدميرهم للآثار والتماثيل؟

لا. إنهم ظاهرة لن تستمر، لأن فن النحت أكثر من مجرد فن، إنه تعبير حقيقي عن وجود الإنسان، وعلى مدار التاريخ شاهدنا بين الحين والآخر جماعات تدعو إلى تحريم الفن والتماثيل، لكنها لم تستمر.

-من خلال مشوارك الفني الطويل، ما هي نصيحتك للشباب في مقتبل مشوارهم الفني؟

لا توجد وصفة أقدمها لهم، ليس لدي نظريات في الفن وإنما هي نظريات عامة. ربما تكون نصيحتي أن يخلصوا لعملهم ولحياتهم عندها سيجدون تطوراً مستمراً في أفكارهم، فثمة تواصل جلي بين مجمل ما أنتجته من الخمسينات إلى اليوم. فإذا عدت إلى أعمالي الأولى أكتشف تشابهاً حدسياً غريباً بينها وبين ما أنجزه اليوم، فما أنجزه اليوم يتآخى مع ما أنجزته بالأمس. وعليهم دائماً أن يعطوا الأشياء حقها، ويجب أن يكون كل فنان نفسه وألا يحاول أن يكون شخصاً آخر.

المسافرون إلى الله

د.وليد قصّاب: الرياض

مــنْ لــمّ شـمـلَ أولـئـكَ ... الآتــيــنَ مــن كــلِّ الــدُّنـا؟
مــنْ ساقـهـم كـعـديـدِ تر ... بِ الأرض تـحـدوهـم مُـنى؟
تـهـوي قـلـوبـهُـمُ فما ... بــالَــوْا بــنــأيٍ أو عنا
لا فـــرقَ بـيـنـهُـمُ فلا ... سـيْـدٌ ولا عــبـدٌ هـنـا
فـجـمـيـعُـهم وجـــهٌ إلـى ... ربِّ الـخـلائـقِ قـد عـنى
يـتـسابـقـونَ إلــى الـطـهـا ... رة والــوضــاءةِ والـسَّـنـا
لَــوَ أنّـهـم عــادوا بـصَفْـ ... ــحٍ كـان مـن أغـلـى الجنى

***

وعـــلامَ قـد زحـفـتْ جمو ... عُ الأرضِ مـن كـلّ الـقرى؟
تـــتـــوحّـدُ الأقـــــوالُ لا ... قـــولٌ دخــيــلٌ قــد طـرا
وعـلـى لـسانِ ذوي اللغا ... تِ جـمـيـعِهم صـوتٌ جرى
كـالـرّعـدِ قـد دوّى وفـي ... أُذُنِ الـفـيـافـي قـد سرى:
لـبـيـك يــا رحــمــنُ يا ... ألــلــهُ يــا ربَّ الـــورى
لِـمَ قد أتـوْا؟ لـمْ يـدرِ شو ... قَ الـصَّـبّ إلا مـن درى
لــولا أرى مـا كـنـتُ أحْـ ... ــسَبُني أصَـــدّقُ مـا أرى

***

مـا قـدْ سَـمِـعـتُ ولا رَأيـتُ ... كـمـثـلِ هـــذا الـمـشـهـدِ
أو مـقـصِـدٍ يُـسـعَـى إلـيـ ... ــه كـمـثـل هــذا الـمقـصِـدِ
مـا جـانَـبَ الـعـيـشَ الـلّـذيـذَ ... سِـوى الـحـصـيـفِ الأرشـدِ
والــقـــادمـــون تــجــرّدوا ... مـــنـــه أجَــــلَّ تـــجـــرُّدِ
ضـربــوا إلـــى غـايـاتِـهـمْ ... بـطـنَ الـطّـريـقِ الأبـعـدِ
ودُعـــاؤهـــمْ (لـبـيـك) قد ... رُفِــعــتْ لِــــرَبٍّ أوْحَـــدِ
لـبّـيـك فـاقـبَـلْـهـمْ أتــوْا ... لـم يُـخـلِـفـوا فـي الـموعِـدِ
وبــهــمْ تـقـبّـلـنـي عـلـى ... فــقــري وشُـــحِّ تـــزوّدي

التاريخ من مجال العقليات إلى مجال الأنتروبولوجيا





د. خاليد فؤاد طحطح: المغرب

في سنوات السبعينات من القرن الماضي انتقل حقل التاريخ الجديد من الديموغرافيا التاريخية ذات الطابع الكمي إلى مجال العقليات مع الأنتروبولوجيا التاريخية ذات الطابع الكيفي. وتعتبر الأنتروبولوجيا من أكثر الحقول المعرفية التي اجتذبت اهتمام المؤرخين بفضل ما تتيح مناهجها من إمكانيات غنية للتفسير والتأويل. وبالموازاة انخرط عدد كبير من الأنتروبولوجيين في دراسة المجتمعات (الغيرية)، والبحث عن أصول النظام الاجتماعي وطبيعة الاختلاف بين هذه المجتمعات. ومهما يقال عن دوافع هذه الدراسات وأهدافها الاستعمارية، فإنها ساهمت بغزارة في نضج المعرفة التاريخية وتزايد إمكاناتها التفسيرية.





أصبحت الموضة في ميدان التاريخ دراسة المخيال والتمثلات، وبذلك صعدت الحوليات من الدهليز إلى السطح، حيث وقع التركيز على دراسة الذهنيات أو باللغة الرائجة آنذاك على العقليات، حيث بدأ الاهتمام بدراسة الممارسات الرمزية للمجموعات الاجتماعية. وقد سجل المؤرخ أندري بورغيار في هذا السياق ملاحظة مهمة تتعلق بميلاد التاريخ الأنتروبولوجي، وهو الحقل الذي اهتمت به البحوث التاريخية حديثاً، بفعل تأثير إسهامات كلود ليفي ستراوس الغنية، فهو الذي أدخل إلى فرنسا المفهوم الأنكلوساكسوني لعبارة الأنتروبولوجيا باعتبارها دراسة الكائنات الإنسانية في كل مظاهرها. غير أن بورغيار أشار إلى أن هذا النوع من التاريخ الأنتروبولوجي في شقه المتعلق بالذهنيات نشأ قبل ذلك بمدة طويلة، مع لوغران دوسي المغمور من عصر الأنوار، وأن الحوليات لم تقم سوى بإعادة إحيائه من جديد. وتعد دراسات لوسيان فيفر التي خصَّصَها للمواقف الفردية والجماعية كما في عمله عن مارغريت دو نافار، النبيلة والحكيمة والتقية التي ينسب إليها كتابه (الأيام السبعة) المليء بالقصص السيئة السمعة، وكذا فرانسوا الأول، ورابليه، من المؤلفات الأولى التي اهتمت بالذهنيات. وكذلك الأمر بالنسبة لمارك بلوخ، ففي دراسته (الملوك صناع المعجزات)، قام بوصف الممارسات الرمزية والتمثلات الذهنية للمجموعات الاجتماعية، من خلال التركيز على الاعتقادات والتصورات الجماعية الواسعة الانتشار في إنجلترا وفرنسا خلال حقبة امتدت من القرون الوسطى إلى القرن الثامن عشر، بشأن قدرة الملوك على علاج مرض جلدي انتشر في ذلك الوقت بمجرد وضع اليد على جلد المريض، وحسب طقوس معينة. ثم بتطبيق نفس المنهج تناول في دراسته حول المجتمع الإقطاعي عدة وجهات نظر، مركزاً على أشكال الإحساس والفكر والذاكرة الجماعية، كما اهتم بفهم الزمان عند الناس في القرون الوسطى.

للأبحاث السابقة أهمية في تأسيس البحث في الذهنيات، وهو ما مهد لاحقاً لبروز مناهج الأنتروبولوجيا التاريخية مع جاك لوغوف، لتنتشر بعدها دراسات مستفيضة في هذا الحقل الذي انتعش بشكل كبير، فقد حازت دراسة فيليب أرياس التي ظهرت سنة 1960 حول (تاريخ الطفولة أهمية مركزية بالنسبة لتطوير تاريخ الذهنيات)، فحسب أطروحته لا يوجد مفهوم الطفولة في القرون الوسطى. ثم أعقبها بنشر بحث في تاريخ الموت، وهو يميز بين مواقف متعددة تمتد من الموت المروض في القرون الوسطى إلى الموت اللامرئي في العصر الحديث. وقد نال هذا العمل اهتماماً كبيراً لأصالة أطروحاته وثراء مواده. ثم توالت أبحاث أخرى عن العلاقات الجنسية وأنماط الحياة اليومية والخوف والحب وشعائر التطهير الديني، وحول





ثقافة القرية وذهنية سكانها، وحول الكرنفالات أيضاً، وفي كل ذلك نلمس الاهتمام بطرق انتقال العادات والأفكار بين الأجيال، وكيفية نشوء المواقف الفكرية الجديدة.

من بين العلوم الإنسانية كلها، وحده التاريخ من استلهم الخطوات الأنتروبولوجية أو هو الأكثر اقتراباً منها، فمن القراء المهتمين بكلاسيكيات الأنتروبولوجيا كان العديد من المؤرخين هم من أحسنوا استخدامها، البعض الآخر تعرض لها بشكل طبيعي دون التحدث عن استعارات أو عن فنون علمية متداخلة. ففي فرنسا وبسبب القلق من إحلال الاستقراءات الكمية في سياقها، فإن مدرسة الحوليات قد قادت مؤرخين لأخذ العوامل الثقافية بعين الاعتبار. إن الاهتمامات الأنتروبولوجية التي أظهرها المؤرخون قد ترجمت إلى ظهور مواضيع جديدة: البناءات الهوياتية، بنى القرابة، تاريخ الجسد والممارسات الجسدية، العلاقات العائلية، والبناءات الاجتماعية، ممارسات الاستهلاك، وطرق الاستقرار ...إلخ. كما أن تحديد الحقب فرض نفسه كموضوع مشترك أيضاً بين التاريخ والأنتروبولوجيا، تماماً كما نجده في مفهوم الثقافة والعقلية والأيديولوجيا والخيالي، بل إن التأمل الذي أطلقه المؤرخون على انتقاء موضوعات الذاكرة هو تأمل تغذى من دون شك من ثقافة أنتروبولوجية حسب مارك أوجيه، وجان بول كلاين، إنهما أي التاريخ والأنتروبولوجيا يجدان نفسيهما في حقل مألوف، ومن دون شك يعود ذلك إلى التشابهات البنيوية من خلال أنظمة التمثلات المشتركة، كما يعود للتقارب في المناهج، وفي بناء مواضيع البحث.

شهدت فترة السبعينات، وبالرغم من تخلي فرناند بروديل وشارل مورازيه عن تسيير مجلة الحوليات، تحقيق مزيد من التألق والإشعاع بفضل جيل جديد من المؤرخين القريبين من الفكر البنيوي، وأبرزهم: أندريه بورغيار المختص في تاريخ العائلة وتاريخ العلوم الاجتماعية، وإيمانويل لورا لادوري المتخصص في التاريخ الحديث، ومارك فيرو المتخصص في التاريخ المعاصر، وجاك لوغوف المتخصص في التاريخ الوسيط، فهذا الأخير أشرف منذ سنة 1974م مع جاك روفيلوبيير نورا وآخرين على إصدار ثلاثة مصنفات تضم عدداً من المقالات، تطرح مشكلات جديدة، وتثير قضايا حديثة تشجع على نمط جديد من الكتابة التاريخية أكثر انفتاحاً على العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى وخصوصاً الإثنولوجيا والأنتروبولوجيا التاريخية.

أصبحت الموضة في ميدان التاريخ دراسة المخيال والتمثلات وبذلك صعدت الحوليات من الدهليز إلى السطح



الكتاب الـــورقي والكتاب الرقمي تجـــاوب أم تجاوز؟

د.فيصل أبو الطفيل: المغرب

لا يمكن بأي حال إنكار الهيمنة التي بسطها الكتاب الورقي لأزمنة تقاس بالقرون لا بالسنوات، فهو المخطوط والمطبوع الذي حفلت به خزائن المعارف واشتملت عليه رفوف المكتبات العامة والخاصة، إنه الأصل المحتفظ بجاذبيته وبحمولته المعرفية والثقافية الضاربة بجذورها في ركب الحضارة الإنسانية، وقد تفرّع عن هذا الأصل فرعٌ ضمن لنفسه مكانة مرموقة في عصرنا الحاضر بحكم تداوله وسرعة انتشاره وسهولة النفاذ إليه: إنه الكتاب الرقمي الذي أصبح يعلن عن نفسه بديلاً للكتاب الورقي، وإن كان لهذا الأخير مؤيدوه الذين يتمسّكون به ويفضّلونه على غريمه الكتاب الرقمي، لكنّ جملة من المؤشرات الراهنة تدلّ على اعتماد فئات كثيرة من القراء والباحثين على الكتاب الرقمي نظراً لما يسمح به من إمكانات توفير المعلومة وتعديلها واختصار الزمن والمسافة في عمليات البحث والمطالعة والتأليف والتوثيق.

ويسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على العلاقة الجدلية القائمة بين الكتاب الورقي ونظيره الرقمي، مع محاولة تقديم إجابات عن أسئلة من قبيل:

- ما إيجابيات وسلبيات كل من الكتاب الورقي والكتاب الرقمي؟

- ما المخاطر الناجمة عن شيوع استخدام الكتاب الرقمي؟ سيما وأن عمليات النسخ والسلخ والسرقة تتهدد مؤلفي هذه الكتب وتنتزع منهم ملكيتهم وحقوقهم الفكرية وتضرب -بالمقابل- مصداقية البحوث الجامعية التي تُوظِّفُ الكتاب الرقمي فتستند إليه وتحيل عليه؟

- ما المآل الذي ينتظر الكتاب الورقي في المستقبل (الاندثار أم الاستمرار؟) وأية آفاق تفتحها التقنيات الرقمية أمام شبكة قراء الكتاب الرقمي ثقافياً واجتماعياً في ظل ضعف انتشار الثقافة الرقمية عند الكثيرين داخل العالم العربي بإزاء اتساع المادة العلمية بالشبكة العنكبوتية؟

الكتاب الورقي بين حميمية الورق وصعوبة المنال

الكتاب الورقي رفيق خفيف الظل، حميم قديم للإنسان المحبّ للمطالعة والتثقيف، سيما القارئ الذي يطمح إلى تكوين مكتبة خاصة به. وقد يصعب الوصول إليه أحياناً إما بسبب ندرة نسخه التي لا تكون دائماً متوافرة، وإما نتيجة ثمنه الباهظ الذي يحُول دون اقتناء القارئ له وتحسّره على ضعف ذات اليد.

يذهب الكثيرون من أنصار الورقة والقلم، إلى أنه لا شيء يضاهي متعة القراءة في الكتاب الورقي، وانطلاقاً من هذه الفكرة يميل كثير من القرّاء والأدباء والمثقفين إلى المحافظة على عادة القراءة في الكتب الورقية، لأن لها متعة في نفوسهم: رائحة الورق ولونه ونوعه... كل ذلك يزيد من التحام القارئ بما يقرؤه ويتيح له إمكانية توظيف حواسّه بطريقة مباشرة (لمس اليد للصفحات وتقليبها- راحة البصر عند القراءة وعدم تعرّضه للأشعة كما هو الحال في الكتاب الرقمي الذي لا يُقرأ إلا عبر شاشة- مساعدة الذهن على استقبال المعلومة- تحقيق متعة كبيرة في القراءة إضافة إلى تركيز عال...). إن التعامل مع الكتاب الرقمي عند هذه الفئة يكون بارداً وخالياً من كل إحساس بمتعة القراءة.

وللكتاب الورقي حياة حافلة وحنين دافئ، فهو لا يشيخ بل يزداد عمره طولاً بتعدد طبعاته، وبتزايد اهتمام القراء والباحثين والنقاد به. وتزداد قيمته بضمه إلى كتب أخرى في رفوف المكتبة وأجنحتها. وحينما تفتح كتاباً وتجد فيه تاريخ اقتنائه مثبتاً تعود بك الذاكرة إلى سنوات بل عقود مضت، وتتأكد رغبتك في معاودة قراءته مرة أخرى.

وفيما يخص علاقة الكتبيين (بائعي الكتب القديمة) بالكتاب، فهي علاقة حميمية متجذرة، خاصة الطبعات القديمة الحجرية أو المطبوعة في القرون الماضية، مجلدة أو مذهبة، يتهافت على اقتنائها المغرمون بجمعها وضمها إلى خزائنهم، يتخطفونها باعتبارها تحفاً ذات قيمة تاريخية ومعرفية من نوع خاص.

وقد نقلت الكاتبة خلود الفلاح عن علي مولا، الذي أسهم في رفع أكثر من مئة ألف كتاب على شبكة الإنترنت، ومؤسس أشهر منتدى (مكتبة الإسكندرية)، قوله: (إن جمهور الكتاب الورقي أكبر وأهم بكثير من جمهور الكتاب الإلكتروني، هذا من جهة، من جهة أخرى نتمنى أن تضع دور النشر في اعتبارها عدم قدرة الكثير من القراء على شراء الكتب نظراً إلى أسعارها الباهظة، فتكون بسعر معقول حتى يتمكن الجميع من شرائها حتى لو نشرت إلكترونياً).

الكتاب الورقي: مقام نفيس في ضيافة خير جليس

هناك الكثير من الأشياء الإيجابية التي تتصل بالكتاب المطبوع: إن لمس الصفحات والإنصات إلى همسها وحفيفها وهي تقلب عند القراءة، يواكبه إحساس لا يشعر به القارئ وهو يقلب صفحات باردة من كتاب رقمي يقرأ على

الكتاب الرقمي يحقق السرعة في الاستقبال وتوفير المال واختصار الوقت والجهد وتجاوز الرقابة بما تسمح به حريّة الاطلاع والقراءة



شاشة إلكترونية. والكتاب الورقي يتحمل الشمس والسقوط ولا يقلق راحتك بتويتات أو رسائل ولا يبدد وقتك في الفراغ، أما الكتاب الرقمي فهو معرض للتلف وتضيع معه جماليات النسخ والتجليد والتغليف والإحساس بالملكية. ويمكن تسطير جملة من المزايا التي توفرها القراءة في الكتاب الورقي على الشكل الآتي:

أ- ارتفاع القيمة في الطبعات القديمة

تمثلا بقول الشاعر:

لاَ يَعْرِفُ الشَّوْقَ إلاَّ مَنْ يُكَابِدُهُ

وَلاَ الصَّبَابَةَ إلاَّ مَنْ يُعَانِيهَا

فإن من القراء طبقة كانت وما تزال مهووسة بجمع الكتب ذات الطبعات القديمة واقتنائها وضمها إلى الخزانات الخاصة (وهو ما أشرنا إليه سابقاً)، وهذا النوع من القراء يمكن أن يدفع ثمناً خيالياً مقابل كتاب واحد، فسحر امتلاك هذه الكتب يسلب عقولهم. إنهم عُشّاق جمع الكتب. وارتفاع ثمن الكتاب مع مرور الزمن سمة بارزة من سمات الكتاب الورقي لا يتوافر عليها الكتاب الرقمي.

ب- رونق القراءة أو ألق على ورق

إن القارئ الذي يقضي مع الكتاب مدة طويلة لا يمكنه بأي حال متابعة ما يقرأ على الشاشة، ولذلك فالكتاب الورقي يناسب أولئك الذين يقضون مع الكتاب وقتاً أطول، ناهيك عن أن مجهود العين في الورق أخف منه على الشاشة المضاءة.

ج- الاستغناء عن الوسيط

يتيح الكتاب الورقي تقليب صفحاته وقراءتها دونما حاجة لاستخدام وسيط كما هو الشأن بالنسبة للكتاب الرقمي الذي يستطيع بغيره لا بنفسه، أي لا بد له من حاسوب أو شاشة أوهاتف ذكي أو جهاز إلكتروني قارئ مزود بالكهرباء.

د- جمالية الإحساس

ليس في وُسع الكتاب الرقمي أن يشعرك بتلك المتعة التي تنتابك عندما تمسك كتاباً ورقياً بيدك وتتحسسه قطعة قطعة وصفحة صفحة، فالشكل المادي للكتاب يجعل القارئ يلتمس إلى جانب تحصيل المعلومة جمال تقديمها له في صورة حميمية تتبدّى في تسخير القارئ حواسه لبلوغ ذروة النشوة القرائية لمساً لورقه وشماً لرائحته وإدامة للنظر في خطه واستمتاعاً بالإنصات إلى حفيف الصفحات وهي تقلب عند متابعة القراءة. إن الأمر على ما يبدو وثيق الصلة باختيار شخصي مؤسس على قناعة مفادها أن لا شيء يضاهي الكتاب الورقي في قيمته وخصوصيته.

مآخذ على الكتاب الورقي

أ- صار العثور على الكتاب الورقي المطبوع في العقود الأخيرة أمراً بعيد المنال، سيما إذا تعلق الأمر بنسخ نادرة أو مطبوعة بأعداد قليلة.

ب- إن قلة قليلة من الكتاب تحظى بدعم المؤسسات، وتبعاً لذلك يلجأ كثير من الكُتّاب إلى طبع كتبهم ونشرها على نفقتهم الخاصة.

ج- شدّة التعلق بالكتاب الورقي تجعل من امتلاكه عند فئة المهووسين به أمراً حتمياً ومحسوماً لا نقاش فيه، وفي هذا الصدد تحدّث الجاحظ بكلام مُفاده أن (الكتاب أعزّ عند صاحبه من الولد)، وليس هنا مجال تفصيل الحديث عن هذه الإشارة اللامعة والمكتنزة بدلالات عميقة.

الكتاب الرقمي بين إيجابيات التداول وسلبياته

الكتاب الرقمي أو الكتاب الإلكتروني، كتاب يُمكنُ تحميله وقراءته على أجهزة إلكترونيّة مثل الحاسوب، أو الهاتف الذكي أو الشاشات الصغيرة المحمولة... ويتخذ أشكالاً متنوعة تسمى امتدادات أو (extensions)، منها مثلاً: pdf Kindle/ Word إلخ.

لقد استفاد الكتاب في العصر الحديث من تقنيات العلم وآلاته المتطورة، فانتقل من الطباعة بالألواح والحروف، إلى الطباعة الرقمية، بل أصبحت الكتب الرقمية تنافس

الكتاب الورقي يناسب أولئك الذين يقضون مع الكتاب وقتاً أطول.. ناهيك عن أن مجهود العين في الورق أخف منه على الشاشة المضاءة

الكتب الورقية، سيما أن التعامل مع الكتاب الرقمي عرف في السنوات الأخيرة توسّعاً وإقبالاً نظراً لكونه في متناول اليد، سهل النشر والتوزيع، سهل القراءة والاطلاع، مُيَسَّر الحصول عليه والوصول إليه، والكتاب الرقمي يحقق التواصل بين الأفراد والشعوب بأقل التكاليف: سرعة في الاستقبال وتوفير للمال واختصار للوقت والجهد، وتجاوز للرقابة والسلطة بما تسمح به حريّة الاطلاع والقراءة دون حواجز ولا حدود.

يتميز الكتاب الرقمي بأنه يتيح سهولة النشر الإلكتروني ويوفّر كثيراً من المصاريف والتبعات التي تطلبها دور النشر وتستلزمها الطباعة الورقية. وهذا النوع من الكتب ينذر عند الكثيرين بقرب انتهاء عصر الورق، وهو أمر يبقى محل شك على أية حال، لأن القراءة لن تتوقف سواء بالنسبة للكتاب الورقي أو الرقمي.

الكتاب الرقمي يحل مشكلة الوصول إلى نظيره الورقي. حيث يحقق النشر الإلكتروني انتشاراً واسعاً للكتاب الرقمي، ويمكّن من الاطلاع عليه في أي مكان من العالم اعتماداً على الشبكة العنكبوتية. (النشر الإلكتروني مفتوح ومتاح للجميع أما النشر الورقي فمغلق ومحدود).

وفي ظل ضعف إمكانية طبع الأعمال وصعوبة النشر والتوزيع؛ يغدو الكتاب الرقمي أقرب حل لهذه المعضلة. ذلك أن الكتاب الرقمي يوفر على الكاتب الأعباء المادية المترتبة عن الطباعة، وبخاصة أن دور النشر لا تتبنى إلا (الأسماء المعروفة) في أكثر الحالات. كما أن حمل الكتب مخزنة في شريحة أو في قرص مضغوط أخف على المرء من حمل خزانته معه أينما حل وارتحل، ناهيك عن استحالة التنقل بها من مكان إلى آخر، وإمكانية سقوطها عليه على غفلة منه، ولنا في الجاحظ خير مثال على ذلك، فقد قتله الكتاب الورقي لا الكتاب الرقمي!

ضعف العلاقة الحميمية التي تربط القارئ بالكتاب الرقمي عكس نظيره الورقي أو ما يسمى «جمالية الإحساس»

إيجابيات الكتاب الرقمي

أ- مواءمة أجواء السفر المتجدد: إن القارئ الذي تتعدد أسفاره ورحلاته يجد صعوبة في حمل كتبه الورقية معه أينما حل وارتحل، ويمثل الكتاب الرقمي بالنسبة إليه فرصة لإزاحة حمل الكتب الثقيلة عن كاهله سيما إذا كان مسافراً بصحبتها في رحلة طويلة. وإذا كان السفر في الكتاب مدعاة للتأمل وشحذ القريحة بشتى أنواع المعارف، فإن السفر بالكتاب ومع الكتاب يزيد من ثقل حقيبة السفر التي كلما زاد وزنها في المطار ارتفعت التكلفة المؤداة عنها. مما يوفر مساحة أكبر ويزيد من راحة القارئ المسافر.

ب- سهولة التخزين وتعدد أشكاله

من خصائص الكتاب الرقمي أنه يوفر للقارئ إمكانية حمل الآلاف منه عبر تخزينها في أجهزة القراءة المحمولة (حاسوب محمول أو قارئ صغير يوضع في جيب حقيبة السفر)، فتكون النتيجة عبارة عن خزّان كتب في حجم مصغّر وبدون تعب أو عناء حمل.

ج- رمزية الثمن

في كل مرة تشتري كتاباً ورقياً تحتاج إلى مبلغ من المال، قليل أو كثير، وربما يطلب فيه بائعه ثمناً خيالياً إذا كان الكتاب نفيساً ونسخه نادرة، وقد يرتفع ثمنه بارتفاع تكاليف الطباعة والنشر الورقيين. أما الكتاب الرقمي فلا يكلف القارئ -في البداية- سوى دفع ثمن شراء الجهاز الذي سيقرأ فيه الكُتُب الرقمية. بعد ذلك غالباً ما تكون الكتب المحملة مجانية دون مقابل (وإن كنا نلاحظ وجود مواقع على الشبكة العنكبوتية تفرض بعض الرسوم الرمزية لتصفح بعض الكتب أو تحميلها، ويتعلق الأمر غالباً بكتب حديثة الإصدار).

د- إنجاز القراءة في أسرع وقت ممكن

يتميز الكتاب الرقمي بالمباشرة في الاطلاع عليه، ولا



يحتاج سوى لضغطة على الشاشة لتبدأ عملية القراءة الفورية، بينما يستغرق مثلاً وصول الكتاب الورقي عبر الشحن مدة زمنية تجبر القارئ على انتظاره إلى حين وصوله. كما يمكّن الباحثين والمؤلفين من القراءة والتأليف والتوثيق في وقت وجيز.

هـ - إمكانية التحكم في أنواع الخطوط وأحجامها:

يوفر الكتاب الرقمي إمكانية تعديل حجم الخط (والأفضلية بطبيعة الحال لتكبير الخط تمكيناً للعين من رؤية جيدة وقراءة ميسّرة)، كما بإمكان القارئ تغيير أنواع الخطوط واختيار الأنسب منها خصوصاً في امتداد word، أما القراءة في الكتاب الورقي فتسير على نمط واحد من بداية الكتاب إلى نهايته، مما قد يشعِرُ القارئ بالملل...

و- سمر القراءة الليلية

في غياب الإنارة يصبح الكتاب الرقمي أقرب إلى توفير قراءة ليلية ممتعة، خصوصاً بالنسبة للأشخاص الذين لا يتوافرون على وقت كافٍ للقراءة بالنهار. إن الكتاب الرقمي يتوافر على إنارة ليلية لا يتوافر عليها نظيره الورقي.

ز- اتساع القاعدة الشعبية (دائرة القُرّاء) عبر شبكات التواصل الاجتماعي، واتساع المادة العلمية.

ح- من شأن التعليقات التي تتأسس على ما ينشره الكاتب إلكترونياً أن ترقى بمستوى كتابته إلى مراتب أفضل وأنضج، وإغناء تجربته بملاحظات وتوجيهات مفيدة، فهي تمثل نقداً مباشراً لما يكتبه في ضوء تفاعل القراء مع إنتاجه بشكل مباشر. (التعليقات التي نجدها على هامش مقالات ومواد ثقافية)، أو ما يكون منشوراً ضمن ما يسمى بالمدونات.

ط- سهولة الولوج للكُتُب عبر ضغطة بسيطة على الشاشة.

ي- سهولة الوصول إلى الفكرة أو المعلومة المطلوبة في الكتاب، باستعمال أداة (البحث).

ك- إمكانية نسخ الكتاب الرقمي كاملاً أو نسخ جزء منه على الورق.

سلبيات الكتاب الرقمي

لا بد من التنبيه إلى أن الاعتماد على الكتاب الرقمي بالنسبة للقارئ والكاتب معاً؛ يتطلب قدراً أدنى من المعرفة بالتقنيات الحوسبية وكيفيات استعمالها، ذلك أن «الكتابة الرقمية تتطلب من المؤلف أن يكون ملما بفنون الميديا والبرمجة، وأبجديات التعامل مع الحاسوب، حتى يستطيع معالجة نصوصه على برامج الكتابة». ولا شك الكتاب الرقمي محفوف بجملة من السلبيات منها:

أ- أنه يتيح إمكانية السطو والسرقة الإلكترونية.

ب- الإدمان على القراءة عبر الشاشة يُتعب العين، فمدته محدودة، ولذلك يلجأ الكثيرون إلى طباعة الكتاب الرقمي ليعود مرة أخرى إلى أصله الورقي وتسهل عملية قراءته دون تعب.

ج- تكون نية القارئ للكتاب الرقمي متجهة نحو تحقيق متعة القراءة، لكنه غالباً ما يجد نفسه فريسة للتجوال داخل العالم الافتراضي الذي توفره الشبكة العنكبوتية، وهكذا ينفق ساعات كثيرة في تصفح المواقع دون جدوى، ويكون الكتاب الورقي مجرد تعلّة لتبرير التصفح السريع بعيداً عن القراءة والإفادة.

د- اعتماد قارئ الكتاب الرقمي على الوسيط (شاشة- كهرباء- أجهزة حديثة...) بخلاف الكتاب الورقي الذي يُقرأ بشكل مباشر دونما حاجة إلى وسائط.

هـ- إمكانية تعرّضه للضياع إذا ما تعرّض الوسيط لعطب أو عطل.

و- الاسترخاء المرافق للقراءة في الكتاب الرقمي لا يبشر بتحقيق المراد من عملية القراءة.

ز- ضعف انتشار الثقافة الرقمية عند الكثيرين.

القارئ في عصرنا لا غنى له عن الكتابين الورقي والإلكتروني.. والاستفادة منهما تثبت تعايشهما معاً ولا تلغي قيمة أي منهما على حساب الآخر





ح- الكتاب الرقمي قد يدفع نظيره الورقي إلى الاستقرار في أروقة المتاحف، شأنه شأن شكله الأول الذي ظهر به، وأقصد بذلك المخطوط.

ط- ضعف العلاقة الحميمية التي تربط القارئ بالكتاب الرقمي عكس نظيره الورقي، وهو ما وسمناه سابقاً بـ(جمالية الإحساس) - في معرض حديثنا عن مزايا الكتاب الورقي. كما أن الملكية الحسية التي توفرها خزانة الكتب الورقية لصاحبها لا توفرها الكتب الرقمية مهما تضخمت أعدادها لأنها في النهاية حبيسة أشكال التخزين الافتراضية المتعددة (أقراص-شرائح-حواسيب...)، ولا تقنع نفسياً القارئ الذي اعتاد على التنقل بين رفوف المكتبة الورقية.

ي- كثرة الأخطاء التي يحفل بها الكتاب الرقمي في الإملاء والضبط بالشكل (خصوصاً الكتب المرقومة على word)، مما يجعل الباحث على حذر في الاعتماد عليها في البحث العلمي.

ك- كثير من الجامعات ومراكز البحوث تشكك في مصداقية الكتاب الرقمي وترفض إدراجه في مراجع البحوث الأكاديمية.

وهناك سلبيات أخرى أوردها الباحث شريف كامل شاهين في محاضرة قدمها حول موضوع: (صناعة الكتاب الرقمي في مصر والعالم العربي):

- محدودية العناوين العربية الإلكترونية كماً ونوعاً.
- عدم احترام قوانين الملكية الفكرية.
- عدم توافر أجهزة القراءة الإلكترونية المناسبة للمحتوى العربي.

خاتمة

قال أبو الحسن العروضي (342هـ) لأبي بكر الأنباري (328هـ): (قد أكثر الناس في حفظك، فكم تحفظ؟ فقال: أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً). وهو قول له حمولته الفكرية ودلالته الرمزية التي تبين أنه (على مدى التاريخ كله، كان للكتب قيمتها، وكان لها مكانتها).

لقد كان للقدماء تعامل خاص مع الكتب، جعلت من قدسيتها أنهم أدركوا قيمتها فحافظوا عليها في صدورهم التي كانت وعاء لتخزين أكبر عدد ممكن منها، والقول الذي ساقه أبو بكر الأنباري آنفا يدعو إلى تعميق التفكير فيه، ويقوم دليلاً على صحة ما ذهبنا إليه من خصوصية الكتاب القديم ومركزيته عند القدماء من العلماء والأدباء.

يطرح الروائي والطبيب السوداني أمير تاج السر السؤال الآتي: (هل فعلاً تؤثر القراءة المقرصنة على القراءة الشرعية؟ وهل يفقد الكتاب الورقي من يشتريه حين يتوافر إلكترونياً؟)، ويخلص في النهاية إلى النتيجة الآتية: (التعامل مع المسألة إذن، ينبغي تركها بلا تعامل). والنتيجة التي نخرج منها من كلام أمين تاج السر هي أن القارئ في عصرنا لا غنى له عن الكتابين الورقي والإلكتروني، وأن الاستفادة منهما تثبت تعايشهما معاً، ولا تلغي قيمة أي منهما على حساب الآخر. فهما يقعان على الخط نفسه مع تفاضل بينهما تحكمه ميول القراء وانجذابهم نحو هذا أو ذاك بما يحقق في النهاية متعة قراءة الكتاب. إذ (ليس الكتاب مجرد وسيلة للاتصال، ولكنه بالدرجة الأولى التعبير البليغ عن الثقافة والانعكاس الصادق لها).

أحبها

عزت الطيري: مصر

أحبها
كما أحبُّ شيئاً غامضاً
يجيء لي في الفجرِ
بين سُكرةِ النعاسِ
وانتهاء الحلمِ
وانتباهةِ المريدِ
في حضورِ من يريدهُ
وكالمسافةِ التي تطلُّ
بين الظلِّ والضياءِ
بين رقصةِ الضجيجِ
وابتسامةِ الهدوءِ
بينَ عطرِها اللحوحِ
حينما يموجُ
بارتعاشةِ البنفسجِ الغنوجِ
مترعاً
بغبطةِ الندى
وبين أنفِ قلبَي العشّاقِ
إذ يستنشقُ
العبير
رغم ألف ميلٍ
أوْ
أحبّها
كما يحبُّ البلبلُ المحزونُ صوتَهُ
كما يحبُّ طائرُ الفينيقِ موتَهُ
لكي يهبَّ من رمادهِ
بعمره الممتدِ
مشرقاً معمّداً بالنارِ
ناضراً.. مُجَدّداً
أحبها.. هل منكمُ
من
يستطيعُ
منعَ قلبيَ الجسور
من دخولِ عرشها الذي
يحطُّ فوقَ غيمةٍ
يتيهُ في المدى
سدى ما تحلمونَ أيها الذين آمنوا
بمعجزات مكركم وسحركمْ
سُدى!!

دبلوماسي من طيبة..
كسر الصمت بالكلام

حسين محمد بافقيه: جدة

كلما مضيت في قراءة كتاب (دبلوماسي من طيبة.. محطات في رحلة العمر)، لنزار عبيد مدني؛ ألح علي شعور أن نزاراً ما كتب هذا الكتاب الذي قص علينا فيه طرفاً من حياته إلا ليكسر أغلالاً أحكمت طوقها عليه ردحاً من الزمان طويلاً، وكأنما أراد من وراء هذا الكتاب أن يدفع كبتاً تسلط عليه، وأن يفك قيداً، وأن يخرج من العتمة إلى الظل قليلاً، إن لم يستطع الظهور في وهج الشمس، ولعله خشي أن يفقد ظله فلا نسمع له ركزاً. فالرجل الذي يصف حياته، منذ الأسطر الأولى من كتابه، بأنها (سعيدة)، والرجل الذي تحقق له من أسباب العيش ما لم يتحقق لغيره، فأنى جلت في رحلة نزار فإنك واقف على حياة مسها خفض من العيش، ذللت له السبل، فوطئها لينةً هينةً، فأصاب من مراتب النجاح ما شاء له الحظ، وفتح في وجهه الجليل من الوظائف والمناصب، وجعل يرقى فيها صعداً، فإذا به، وقد عزم على الاستعفاء من عمله؛ يصبح وزير دولة للشؤون الخارجية، عساه أدرك، أخيراً، أنه ما كان سعيداً إن طوى الكلمات في صدره، وأنه ليس له إلا أن يبوح بهن.

غير أن سيرة نزار عبيد مدني، مع ذلك، تحاول أن تقشع عن صاحبها تلك القيود والأغلال. والسيرة أياً تكن ترمي إلى تلك الغاية، فالرجل الذي بلغ من وظائف الدولة أعلاها، تنبئ سيرته عن إنسان ما كان له أن يفصح عن نفسه، مكث، مدة حياته في الوظيفة، لا يبارح الظل، متوارياً، حتى ليحسبه الناس صامتاً، وما هو بصامت، ولكنه حين يتكلم فإنه يتكلم في دوائر يلفها الصمت ويحف بها الرمز، يدبج الخطب والبيانات ليقرأها غيره، ويعمل في السر، ليكاشف الناس سواه، أما نزار فمكتوب عليه أن يصمت، وأن يتوارى عن الأنظار، ومهما بلغ من الوظيفة والمنصب الغاية، فلن يبرح مكانة (المساعد)، وإن استوزر.

نقرأ في الكتاب أن نزاراً ظفر بالإجازة الجامعية من القاهرة في العلوم السياسية، والماجستير والدكتوراه في العلاقات الدولية من أمريكا، ونعرف أنه لم يتحول إلى العمل في الجامعة، لكنه آثر العمل السياسي والدبلوماسي في وزارة الخارجية السعودية، وينبئنا الكتاب، حيناً بعد حين، بأن للرجل نظراته في السياسة، وأن له آراءه في المجتمع والشخصية القومية، وسواها من الأفكار التي هي أقرب إلى حياة المثقفين والمفكرين منها إلى حياة الساسة ومن في ركابهم، وربما فهمنا من صفحات سيرته غرامه بالثقافة والمعرفة والكتاب، لكننا إذا طوينا تلك الصفحات لم نظفر برأي له في الفكر ولا السياسة ولا المجتمع، فكان كتابه هذا الذي سجل فيه جوانب مختلفات من حياته كمن يريد صاحبه أن ينبئنا أن له رأياً فيما تضطرب به حياة الناس، دون أن يكاشفهم به.

وعندي أن نزار عبيد مدني أراد من وراء كتابه هذا أن يقول: ها أنذا، ولعله أحس أن لديه قدرةً على أن يتكلم باسمه، وأن يشير إلى نفسه، وأن يخرج من العتمة، ولا يكتفي بالظل، وإنما يريد أن ينعم بوهج الشمس كما ينعم الآخرون، وأحسب أن في الكتاب ما يفصح عما أذهب إليه: إن الرجل الذي حمله عمله الدبلوماسي على الاستخفاء والصمت، كان كمن أصابته (حبسة) فعسر عليه الكلام، فانعقد لسانه، وخشي أن لا يبين، وعسى أن يكون في الآية القرآنية الكريمة التي افتتح بها كتابه ما يجلو ما أقول: (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ، يَفْقَهُوا قَوْلِي) (طه: 27 – 28).

وأنا لا أعرف لنزار عبيد مدني كتاباً قبل كتابه هذا، وكل الكتب التي وضعها، لا تزال حبيسة الأدراج، ولم يظهر عليها القراء، وكان سائغاً أن يقرأه الناس حين يقرؤونه، وليس له من حديث إلا عن نفسه، حبس الكلام مدةً طويلةً، وحين انحلت عقدة لسانه، إذا به يخرج ما اندس في مكنون ضميره دفعةً واحدةً، فأنشأ يدير قلمه في شأن نفسه، واستشرف معنى أن يكون حراً لا تدفعه دون إماطة اللثام عن حياته قيود الوظيفة والمنصب.

ربما أراد نزار أن يقول كل شيء، ولكنه لم يستطع أن يقول كل شيء، وكاتب السيرة، مهما أراد، لن يستطيع أن يدون في الطرس كل ما اضطربت به حياته، فللذاكرة أحابيلها، وللكتابة شروطها، وهو لا بد أن يختار، وأن ينحي، وأن يثبت،

وأن يمحو، حتى يستقيم له، بأخرة، كتاب جدير بأن يقرأه القارئ، ويجد في قراءته لذةً ومتاعاً، وعلى ذلك سار نزار. أراد أن يسمع لصوت نفسه، وأن ينهي إلى الآخرين ما سمعه، فأدار قلمه في حياته، وإن شئنا الاحتياط في (محطات) من حياته، وانتخب من بين (الجذور) إلى (الحصاد) ما ينحرف بسيرته إلى (محطة) ما، فجاء دبلوماسي من طيبة عنواناً لكتابه، حتى إذا ظهرنا على فصول الكتاب، وجدناه يلم بميلاده، وأسرته، ونشأته، وتعليمه، وضربه في الأرض، وترقيه في الوظائف والمناصب.

والحق أن السيرة الذاتية نظهر فيها على أخص ما انطوت عليه حياة كاتبها، أو على ما أباحه لنا، وقد كان محجوباً عنا، وانتخابه هذا الجانب من حياته أو ذاك، تحرر من القيد وخروج على الصمت، وتخفيف من تلصص القارئ وفضوله، فالسيرة تعني للقارئ، من بين ما تعنيه، إشباعاً لفضوله وتلصصه الطبيعيين، غير أن السيرة الذاتية لا تنضوي عن صاحبها كل الأستار، ولا تكشف كل السجف، ولا تتركه عارياً مكشوفاً لكل الأعين. فالكتابة تضطر كاتبها، إن أراد أن يكون أديباً فناناً؛ إلى أن يثبت شيئاً ويمحو شيئاً آخر. وبين المحو والإثبات، وبين التذكر والنسيان؛ تستوي السيرة الذاتية بين يدي قارئها، وفيها ما يشبع فضوله، وفيها ما يرضي شوقه وتوقه إلى الفن والجمال.

وبين المحو والإثبات، وبين التذكر والنسيان صنع نزار عبيد مدني سيرته هذه، أراد أن يظهر الناس على سيرته، أو على محطات منها، وحين شرع يكتب كان كمن فتح خزانه حياته، ما الذي يأخذ؟ وما الذي يدع؟ وحين استقام له ما نوى، وجد نفسه وهو لا يطيق أن يتحدث فيما شاء، وليس له، ولو أراد، أن يكشف المخبأ، فوظيفته السياسية الرفيعة تحمله على التحفظ لا الحرية، إذن فليختر طريقاً آخر، آمن له، أن يستجيب لنداء نفسه، فيكتب عن حياته، وأضعف الإيمان أن يعرِّف أبناءه وحفدته تلك الحياة، وأن يتخذ هذا الكتاب «متنفساً للتعبير عن مواقفي الفكرية وآرائي ووجهات نظري تجاه بعض القضايا والأحداث والأمور التي


نزار عبيد مدني

اعترضتني من خلال سيرة حياتي، سواء ما كان يتعلق منها بالجوانب الاجتماعية، أو المشاهد الثقافية والفكرية، أو الأحداث السياسية». (ص 13)

وأشق شيء على من أمضى عمره صامتاً أن يتكلم! فما ظنك بمن كانت حرفته السياسة والدبلوماسية؟ ولعل نزاراً أحس ذلك حين جعل يذكر قارئه -ولعله يذكر نفسه- أن له أن يتحدث في شأن نفسه، وأنه لا لوم عليه إن فعل ذلك «ولا إخال أحداً يضن علي أو يحرمني من هذه الرغبة وهذا التشوف والتطلع، فهو -في يقيني- حق مشروع، خاصةً بعد السنين الطويلة التي قضيتها في الخدمة العامة» (ص 13)، ثم لا يلبث أن يستأني فيذكر قارئه أن ما سيقرؤه إنما هو «مجرد ذكريات لصور من حياتي، وليس تأريخاً لأحداث سياسية» (ص 13)، ثم يمضي فيسأل قارئه العذر إن هو تحدث في هذا الكتاب عن نفسه، فما حيلته وكتابه هذا تسجيل لذكريات شخصية «لا بد أن تجعل من الراوي محور ما يرويه» (ص 13).

لم يبح نزار بسر من أسرار الدولة، ولم يعرض لوثائق تتصل بمسارب السياسة وأحابيلها، ولكنه كان أدنى إلى التأريخ لسجله الوظيفي. والكتاب، إن شئنا العدول به إلى التأريخ لدواوين الدولة، مفيد جداً، وفيه نظهر على تقاليد وزارة الخارجية السعودية، وأصحاب القرار فيها، ونلم بنهوضها وترقيها، وفيه نعرف كيف يصنع القرار، ويعد له. على أن الكتاب يظهر قارئه على طرف صالح من تقاليد

الأسرة التي يعتزي إليها نزار، وهو، لا شك، مفيد لمن كانت غايته الوقوف على التأريخ الاجتماعي لتلك الأسر.

وفي ظني أن كتاب دبلوماسي من طيبة يكمل طرفاً مما بدأه محمد حسين زيدان في ذكريات العهود الثلاثة، وعزيز ضياء في حياتي مع الجوع والحب والحرب. على أننا لن نقرأ في ما كتبه نزار عبيد مدني كلاماً عن الجوع ولا الفقر ولا الحاجة ولا العوز، ولن نظهر في كتابه على حياة عامة الناس في المدينة المنورة. لا يتيح لنا كتابه شيئاً من ذلك، وقارئه لن يقف على أزمة نزلت ولن يمر بجائحة وقعت، لن يظفر القارئ بذلك لا من قريب ولا من بعيد، ويصعب عليه أن يتخذ كتاب نزار مرجعاً يدرس فيه أحوال الحياة العامة، ولكنه، حتماً، سيظفر في تلك السيرة بجوانب من حياة أبناء الأعيان، وبطرائف من تقاليد الأسر ذوات الجاه، وكبار الملاك، في ناحية ما، وفي حقبة ما، وعسى أن يلوح لنا من الكتاب ما يجلو لنا صلات هذه الأسر بالسلطة مهما علت، وهي صلات تغور في التاريخ وتضرب فيه، ونستبين من كلام نزار أن من تقاليد أسرته استقبالها في منزلها لملوك البلاد حين يقصدون المدينة المنورة، ويفهم من كلام له أنه ما اختير عضواً في مجلس الشورى إلا تكريماً لأبيه الذي كان عضواً قديماً فيه، في أثناء نشأته، فساغ أن يرث الابن وظيفة أبيه.

وسواء أعدنا صمت نزار إلى وظيفته السياسية الخطيرة، أو إلى إيثاره العزلة منذ نعومة أظفاره، أو إلى تقاليد التربية والنشأة التي درجت عليها أسرته؛ فإن أثر ذلك كله باد في ما اختطه في سيرته، وإن كنت أميل إلى أن التقاليد التي درجت عليها الأسر العريضة الجاه، صنعته على عينها، فالمدينة المنورة لا تظهر لنا في عاداتها وتقاليدها ولا في مظهر من مظاهرها الاجتماعية إلا من وراء حجاب، ولا تجلو لنا سيرته ذلك، ولا حياة الناس وما نشّئوا عليه إلا نقلاً عن كتاب تاريخي أو سيرة ذاتية لأديب من الأدباء، وهو إن وصف شيئاً فإنما يصف (آنيته)، وبيت أسرته الذي لا يختلف عن بيوت من يدعوهم (أعيان المدينة)، آنئذ (ص 31)، ومع أن بيت أسرته تفصله خطوات معدودة عن المسجد النبوي الشريف، فإن حواجز حالت دون نزار والمجتمع، ونعرف منها أنه كان (محرماً) على أبناء كبار الملاك مخالطة عامة الناس في الحارة والزقاق.

«كان البيت هو محور حياتي، والحقل الذي نمت فيه شخصيتي وتكونت عناصر خلقي وخصائص نفسيتي، وعلى الرغم من أن (الحارة) أو (الزقاق) -كما كنا نسميه- كان يلعب دوراً مهماً في حياة أقراني وزملائي في المدرسة، فإنه لم يمارس أي تأثير على حياتي، فلقد كان محرماً علينا اللعب في (الزقاق)، وبصفة خاصة التواجد خارج البيت بعد غروب الشمس مهما كانت الظروف والأحوال. وأذكر أنني في أحد الأيام تجرأت وبقيت خلسة وفي غفلة من الرقابة المفروضة عند عتبة المدخل الرئيسي للبيت إلى وقت صلاة العشاء تقريباً، وحين عاد أبي إلى البيت رآني متلبساً بذلك الجرم الذي نلت بسببه ما أستحقه من عقاب، بالإضافة إلى اللوم والتقريع لمن تسبب في حدوث ذلك الجرم». (ص ص 36 – 37).

كان المتاح لأبناء تلك الأسر أن يلهوا وأن يلعبوا داخل حدود البيت بسطوحه الواسعة وغرفه المنيفة (ص 39)، وإذا أصابهم الملل فلهم أن يصيبوا شيئاً من المتعة وأن يروحوا عن أنفسهم بمزرعتهم (أم شجرة). (ص 40)

ألم أقل إننا لا نقرأ في الكتاب حديثاً مما ألفناه، عادة، لدى غير كاتب من كتاب السيرة الذاتية، لا نقرأ خبراً عن الفقر، ولا الجوع، ولا الحاجة، ولا العوز، وإنما نقرأ في الكتاب حياة رخصة حلوة، ونظهر على أمر أسرة رتعت في خفض من العيش، تكاد، لولا أن تغشى المسجد النبوي الشريف، ولولا أن يقصد كبارها أعمالهم في دواوين الدولة، وصغارهم المدارس الحكومية؛ أن يضرب بينها وبين الناس بحجاب صقيل، وليس لأبنائها الذين ما خرجوا من بيتهم ذلك الكبير إلا إلى المزرعة، وحسب، ليس لهم أن يخرجوا على (آداب) نشّئوا عليها، وليس على هذا الطفل أو ذاك أن يستجيب إلى نداء اللهو والعبث الذي فطر عليه، مهما كان بريئاً، إذا ما رأى الكبار فيه خروجاً على (آداب) الأسرة و(تقاليدها)، وربما عجب القارئ حين يعرف أن ما هو مباح لعامة الناس إنما هو محرم مجرم على أبناء كبار الملاك، فللطفل أو الفتى أن يركب (الدراجة) في المزرعة، بعيداً عن أنظار العامة وفضولهم، ولكن ليس له أن يمتطيها، كغيره من الصبية والأطفال، ويجوب فيها الشوارع والأزقة، فذلك (عيب) لا يليق بأبناء تلك الأسر.

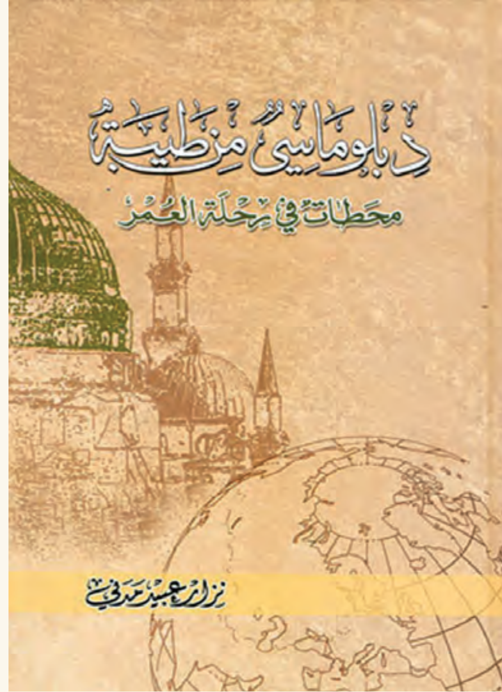
«كان محرماً علينا امتطاء صهوة الدراجة في شوارع المدينة وأزقتها، باعتبار ذلك عملاً لا يليق بأبناء أسر الأعيان والوجهاء». (ص 40)

وفي الحق إن سيرة نزار عبيد مدني تنبئنا أن العزلة كانت قد نسجت خيوطها على حياته، منذ نشأته، ولعله أحس ما فيها من فراغ، حين أنشأ يكتب سيرته، وبخاصة إبان النشأة الأولى، زمن الطفولة والصبا، ولعله شعر أن كاتب السيرة

الذاتية، أيا يكن، جدير به أن يثبت طرفاً من تلك الحياة في كتابه، فأصاب شيئاً من ذلك حين أظهر قارئه على حياته داخل حدود البيت والمزرعة، أما حياة المدينة المنورة، في الشارع والزقاق، فأنى له أن يصفها، وهو لا يعرفها، فوجد في سير الآخرين ما يسد عوز سيرته، فاستعان بما كتبه عزيز ضياء وعاصم حمدان في سيرتيهما، وكأنه اتخذ عيناً بديلة يرى بها ما كان محرماً عليه أن يراه، وحين شب لم يستطع أن يكسر الطوق، فأحكمت وزارة الخارجية عليه عزلته عقوداً طويلة من الزمان، حتى إذا صح منه العزم على إثبات سيرته والنظر في شأن نفسه، كان كمن فقد القدرة على الكلام، والتبست عليه السبل، ما الذي يخصه وما الذي لا يخصه؟ إنه يريد أن يبسط الحديث عن نفسه، وما إن يشرع في ذلك حتى يخوض في شأن من شؤون السياسة أو الاقتصاد أو المجتمع.

وعلى الرغم من تحيره بين الصمت والكلام، ورغبته في الإفصاح عن نفسه، والتعبير عن آرائه وفكره؛ فإن في الكتاب صفحات تجلو لنا طبيعة نزار وسمته وما جبل عليه من خلق وسجايا، نظهر فيه على ألوان من الفرح والحزن، وكما أطنب في بيان (فضائله)، أطلع قارئه على (عيوبه)، فإذا بنا، في الأولى، إزاء إنسان متدين، محافظ، مسالم، لا تستهويه الفوضى، ولم يتعبد للمال، وإذا بنا، في الأخرى، حيال رجل مال إلى العزلة والانطواء، ينفر من المجالس العامة وحيث يجتمع الناس، أدنى إلى القلق والهم، لا يحسن أن يقول: لا، لم يشاجر إنساناً ولم يشتمه، تؤرقه الكلمة فيسهر ليله من هول وقعها على نفسه، غير أن تلك الصفات كلها لا توازي اعترافه بأنه (بطيء التسامح)! «فإذا غضبت أو تكدرت من إساءة وجهها لي شخص، أظل أعتصر الألم في نفسي مدة طويلة لا يزيله سوى موقف نبيل، أو لفتة كريمة، أو عبارة مشجعة تثلج صدري أو تطيب خاطري». (ص 433)

وأقرب الظن أن أثر تلك (الفضائل) و(المعايب) قد انتهى إلى أسلوبه في الكتابة وطريقته في إنشاء السيرة الذاتية، فالرجل الذي أخذ على نفسه قراءة جزء من القرآن الكريم كل يوم، مهما تكن الشواغل، انتهى شيء من ذلك إلى لغته، فغلب على أسلوبه الإسماح والوضوح والبيان والمتانة، إلا اليسير من الهنات، غير أن افتقاره إلى الثقة في نفسه، هون لديه روح الإقدام، فعبر في غير موضع من سيرته بلسان غيره، في أمور هي من خاصة نفسه وضميره، وكما استعار عيون عزيز ضياء وعاصم حمدان، ليصف من



أحوال المدينة المنورة ما لم يعرفه، فإنه استعار، غير مرة، لسان أحمد أمين في سيرته (حياتي) لبيان أشياء، هي من صميم نفس نزار وضميره، وهي من مألوف ترجمة الحياة والحديث عن النفس، مما لا حاجة له أن يستعير لسان أحد، وأخشى أن تكون عقود الصمت التي أنفقها نزار عبيد مدني في وزارة الخارجية قد حالت دون أن يفرغ لنفسه، حتى إذا آب إليها لم يعرف ماذا يثبت وماذا يمحو، وكان كلما خلا إلى نفسه سرعان ما يقطع عليها نجواها، فيشرع في أحاديث طويلة في السياسة والاقتصاد يجلو بها نظراته ومواقفه، حتى ليخيل على القارئ أنه يقرأ مرة بحثاً جامعياً مشفوعاً بالإحالات والأسانيد، ومرة بياناً من بيانات وزارة الخارجية في حديثه وقطعيته، وينسى، أو يكاد، أنه يقرأ كتاباً، هو في أخص خصائصه، مسوق لبيان نفس كاتبه وضميره، وربما شحبت تلك الصفحات الماتعة التي جلا فيها نزار نفسه وطرفاً من حياته وحياة أسرته، وألواناً من أفراحه وأشجانه، وما كان لها أن تشحب لولا أن نزاراً أراد أن يتكلم، وحين تكلم اجتمع في فمه كل الكلمات، وكأنه ما هانت عليه سنوات الصمت، فقال لقرائه، بأخرة: (هاؤم اقرؤوا كتابيه)!

لا تُقْسِمُوْا بالقرآن فإنَّه ليس مِن صَفات اللّه (2)

تباريح



أبو عبدالرحمن
ابن عقيل الظاهري

قال أبو عبدالرحمن: الآن أقف بعض الوقفات حول ما سبق لي طرحه في الشهر الماضي:

الوقفة الأولى: أن الإمام أحمد رحمه الله تعالى في كتاب (مسائل الإمام أحمد وابن راهويه): كره الصلاة إلى المصحف.. فإن كان علل بتعليل الحنفية بأن استقبال المصحف في الصلاة تشبه بعبادته، والمصحف لم يعبده أحد: فمعنى هذا التعليل عند قائله أن عبادة المصحف كفر؛ ولهذا كره التشبه بعابده.. جاء في كتاب (البحر الرائق شرح كنز الدقائق) 2 / 34: «ومن هنا كره أبو حنيفة القراءة في الصلاة من المصحف».. ومعناه عند أحمد: أن المصحف سيشغله عن عبادة الله.. قال رحمه الله تعالى: (كانوا يكرهون أن يجعلوا في القبلة شيئاً حتى المصحف)؛ وذلك عقب سياق للمذاهب جاء فيه: (يكره عند المالكية والحنابلة جعل المصحف في قبلة المصلي؛ لأنه يلهيه).

قال أبو عبدالرحمن: إذا كان المصحف والقرآن صفة لله كما هو مذهب الإمام أحمد: فلن يكون القرآن في قبلته وهو يصلي بشاغل له ولا مله؛ بل هو تعبد لله بصفته؛ وليس ذلك تشبهاً بأهل الكتاب يندرج في قول مؤلف كتاب (تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق) 1 / 167: «إنه تشبه بأهل الكتاب».

والوقفة الثانية: أنه ورد في صحيح البخاري: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.. قال: (أكثر ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحلف: لا ومقلب القلوب).. قلت: هذا حلف بالله سبحانه وتعالى؛ لأنه وحده هو مقلب القلوب.. ومثل هذا ما رواه أبو داوود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.. قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتهد في اليمين قال: (لا والذي نفس أبي القاسم في يده)؛ وهذا قسم بالله وحده سبحانه وتعالى؛ لأن الله هو متولي قبض الأنفس كما قال سبحانه وتعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (سورة الزمر 42).

والوقفة الثالثة: أنه من المختلف فيه الحلف بالأمانة لحديثين رواهما بريدة رضي الله عنه.. الأول عند أبي داوود، والثاني عند أبي داوود وابن ماجة والنسائي؛ فالأكثر على أنه لا كفارة في القسم بالأمانة.. وقال أبوحنيفة: فيه كفارة كما لو قال: بقدرة الله، وعلم الله؛ لأنها من صفاته؛ إذ في أسمائه الأمين.. قال الطيبي في كتابه (الكاشف عن حقائق السنن)؛ وهو شرح مشكاة المصابيح 8 / 2443 / نشر مكتبة نزار مصطفى الباز بمكة المكرمة / طبعتهم الأولى عام 1417هـ: «قوله (من حلف على يمين فقال): «إن شاء الله (فلا حنث عليه)» (حس) (رمز شرح السنة للبغوي): العمل على هذا عند أكثر أهل العلم؛ وهو أن الاستثناء إذا كان موصولاً باليمين، أو مفصولاً عنها بسكتة يسيرة كالسكتة للذكر أو للعي أو للتنفس: فلا حنث عليه؛ ولا فرق بين اليمين بالله، أو بالطلاق، أو بالعتاق.. واختلفوا في الاستثناء إذا كان منفصلاً عن اليمين؛ فذهب أكثرهم إلى أن لا يعمل به إن طال الفصل، أو اشتغل بكلام آخر بينهما، ثم استثنى.. وقيل: يجوز الاستثناء ما دام الحالف في المجلس.. وقيل: ما لم يقم.. وقيل: ما دام في ذلك الأمر.. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما-: له الاستثناء بعد حين، وقال مجاهد: بعد سنتين، وقال سعيد بن جبير: بعد أربعة أشهر.. أقول: والفاء في قوله: (فقال إن شاء الله) تشعر بالاتصال؛ فإنها موضوعة لغير التراخي؛ وأما إجراء (إن شاء الله) مجرى الاستثناء فعلى المجاز؛ كأنه قال: أحلف بالله تعالى أني أفعل كذا، ولا يمنعني من مانع إلا مشيئة الله تعالى».

قال أبو عبد الرحمن: علم الله حسب دلالة السياق يأتي بمعنى (معلومِه)؛ ومعلومُه هو مخلوقُه؛ فلا يحل الحلف به.. ويأتي علم الله بمعنى صفته الملازمة له جل جلاله؛ فلا يحل الاعتقاد بأن الله لا يعلم ولا بمقدار كرَّةِ الطرف؛ فإذا صح من دلالة السياق أن العلم بمعنى صفته التي هي العليم والعلام: جاز القسم به.. وإذا كان العلم في دلالة السياق بمعنى المعلوم المخلوق: فلا يكون القسم إلا بالله كما في الحديث الصحيح من رواية عمار بن ياسر رضي الله عنه.. قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به (أي بالدعاء الذي سمعه بعض التابعين من عمار لما صلى بهم)» اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق: أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي.. وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى، ونعيماً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضاء بعد القضاء، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك.. وأعوذ بك من ضراء مضرة، ومن فتنة مضلة.. اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهديين».. انظر مسند الإمام أحمد **30 / 265** .

قال أبو عبد الرحمن: ربنا سبحانه وتعالى نعلمه على الكمال المطلق والتنزه المطلق بآياته الشرعية، وآياته الكونية في الأنفس والآفاق، ولا نحيط به برؤية بإطلاق، ويراه المؤمنون يوم القيامة بما أذن الله به من غير إحاطة إدراك كما قال تعالى: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (سورة الأنعام **103**)؛ فكل ذلك غيب في الدنيا؛ وإنما كان السياق في حديث عمار رضي الله عنه عن المغيب المخلوق: لأن بعضه عن المخلوق المغيب كالعلم بخيرية أو شرية الموت والحياة.. وبعضه عن علم الإدراك المحيط بالخالق جل جلاله؛ فجاء القسم بعلمه الشامل علمه نفسه سبحانه وتعالى؛ وعلمه أحوال خلقه التي ما زالت مغيبةً عنهم.. ولو كان العلم عن علم الله بنفسه: لجاز الحلف بالعلم مباشرة؛ فتقول: (وعلم ربي بنفسه)؛ فعلمه صفته.. ولا تقول: وعلم الله بي؛ وإنما تقول: اللهم بعلمك بي؛ فتقسم بالله.. وهذا كما أسلفت: إذا قام البرهان من دلالة السياق على أن العلم بمعنى المعلوم المخلوق.

والوقفة الرابعة: أن الإمام النووي رحمه الله تعالى احتج بقول ابن عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى: (قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) (سورة الزمر **28**): أي غير مخلوق؛ وكان أورد الخبر بصيغة التمريض.

قال أبو عبد الرحمن: أسلفت أن الحلف بالقرآن لا علاقة له بدعوى خلق القرآن؛ وإنما الخلاف في كون القرآن صفةً لله أو غير صفة.. وكل ما ورد من الأخبار عن كون القرآن غير مخلوق، أو كونه مخلوقاً: فكلها ضعيفة جداً لا تقوى على تضافر شواهد على رجحان إعمال الخير، وكلها آثار موقوفة على بعض الصحابة لا تصح، أو بعض التابعين أو تابعيهم؛ وقليل منها صحيح.. وما أحسن قول ابن عدي رحمه الله تعالى في كتابه عن الضعفاء: «لا يعرف للصحابة الخوض في القرآن»!.. ولا يعرف في كلام حقيقةً أو مجازاً: أن العوج يعني الخلق نفياً أو إيجاباً.. والعوج في لغة العرب هو الميل في الأمور الحسية، والميل عن الحق في الأمور المعنوية؛ فالقسم في قوله: (اللهم بعلمك الغيب) جاءت فيه الباء للقسم.. والمآل: (اللهم إني أقسم بعلمك الغيب)؛ فأقسم بالعلم الذي هو علم الله؛ لأنه فعله؛ وليس هو مفعوله المخلوق.. وعلى ما مضى من القسم بعلم الله يكون المآل في القسم بقدرة الله، وخلق الله: إذا كن عن صفة الله جاز القسم بهن، وإذا كن عن مفعوله لم يجز.. والله سبحانه وتعالى فرّق بين الأمرين في سورتي لقمان والكهف؛ فقال

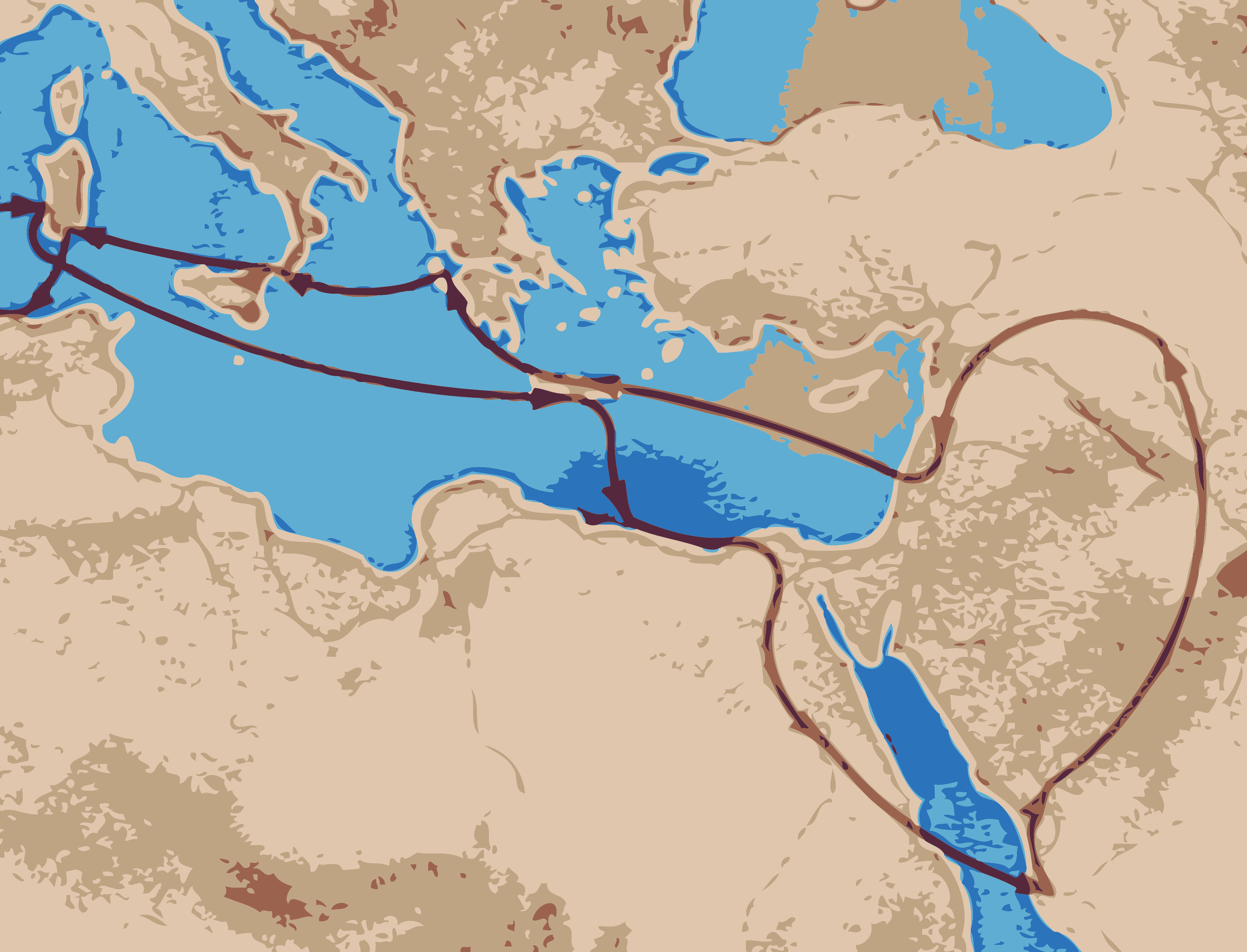
سبحانه وتعالى: (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا، وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ، هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ، بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (سورة لقمان 10 – 11)؛ فالخلق ههنا بمعنى المخلوق؛ وهو السماوات والأرض المشار إليهما؛ فلا يحل للمخلوق القسم بهما.. وقال سبحانه وتعالى: (مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا) (سورة الكهف 51)؛ فهذا فعل الله لا مفعوله؛ فالناس لم يشهدوا خلق الله السماوات والأرض وخلقهم حين خلقهم؛ فيجوز للمخلوق أن يقسم بالخلق الذي هو بمعنى فعل الله لا مفعوله المخلوق؛ فيقول: (اللهم بخلقك السموات والأرض)؛ والمآل: (أقسم بخلقك السموات والأرض وكل المخلوقات)؛ لأن الخلق ههنا بمعنى صفة الله الخالق الخلاق؛ وبهذا تعلمون بدعية أو شركية القسم والنذر في بعض البلدان العربية مثل: والنبي، وعليّ النِّعمة.. وأما معنى (العوج) في قوله سبحانه وتعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا) (سورة الكهف1 – 2)؛ فإليكم هذا النص النفيس للإمام أبي جعفر ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى.. قال: «يقول تعالى ذكره: الحمد لله الذي خص برسالته محمداً، وانتخبه لبلاغها عنه؛ فابتعثه إلى خلقه نبياً مرسلاً، وأنزل عليه كتاباً قيماً، ولم يجعل له عوجاً.. وعنى بقوله عز ذكره: (قَيِّماً): معتدلاً مستقيماً.. وقيل: عنى به أنه قيم على سائر الكتب يصدقها ويحفظها.. ثم ساق بسنده إلى ابن عباس –رضي الله عنهما– في قوله: (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً (1) قَيِّماً).. يقول: أنزل الكتاب عدلاً قيماً، ولم يجعل له عوجاً؛ فأخبر ابن عباس –رضي الله عنهما– بقوله هذا مع بيانه معنى (القيم): أن (القيم) مؤخر بعد قوله: (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً (1) قَيِّماً)؛ ومعناه التقديم بمعنى: أنزل الكتاب على عبده قيماً.. وساق عن الضحاك في قوله: (قَيِّماً) قال: مستقيماً.. وساق عن ابن إسحاق (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً (1) قَيِّماً): أي معتدلاً لا اختلاف فيه؛ (وهذا من الأمور المعنوية).. وساق عن قتادة في قوله: (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً (1) قَيِّماً) قال: أنزل الله الكتاب قيماً، ولم يجعل له عوجاً.. وساق عنه أيضاً قوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً (1) قَيِّماً) قال: وفي بعض القراءة: (ولكن جعله قيماً).. والصواب من القول في ذلك عندنا: ما قاله ابن عباس –رضي الله عنهما–، ومن قال بقوله في ذلك؛ لدلالة قوله: (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً)؛ فأخبر جل ثناؤه أنه أنزل الكتاب الذي أنزله إلى محمد صلى الله عليه وسلم قيماً مستقيماً لا اختلاف فيه ولا تفاوت، بل بعضه يصدق بعضاً، وبعضه يشهد لبعض.. لا عوج فيه، ولا ميل عن الحق.. وكسرت العين من قوله: (عِوَجاً)؛ لأن العرب كذلك تقول في كل اعوجاج كان في دين، أو فيما لا يرى شخصه قائماً، فيدرك عياناً منتصباً كالعوج في الدين، ولذلك كسرت العين في هذا الموضع؛ وكذلك العوج في الطريق؛ لأنه ليس بالشخص المنتصب؛ فأما ما كان من عوج في الأشخاص المنتصبة قياماً فإن عينها تفتح كالعوج في القناة والخشبة ونحوها.. وكان ابن عباس –رضي الله عنهما– يقول في معنى قوله: (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً): ولم يجعل له ملتبساً».. ثم قال ابن جرير: «ولا اختلاف أيضاً بين أهل العربية في أن معنى قوله (قَيِّماً) وإن كان مؤخراً: التقديم إلى جنب (الْكِتَابَ)».. (انظر تفسير الطبري 15 / 140 – 142).. ومن المعلوم أنه ليس كل ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما صحيح الثبوت عنه؛ بل حدد العلماء النسخ الصحيحة الثابتة عنه، والنسخ المفتراة عليه، ويمكن مطالعة هذا التمحيص في كتاب (أسانيد نسخ التفسير والأسانيد المتكررة في التفسير) للدكتور عطية بن نوري آل خلف ط دار كنوز إشبيليا / طبعتهم الأولى عام 1431هـ ص 193 – 405.. وقد تعددت بحمد الله تأليفات المعاصرين عن النسخ الحديثية التي حققت ثبوتها أو بطلانها.. وخلاصة القول: أن القرآن من الأسماء الجامدة، وليس من الأسماء المشتقة مثل قارئ

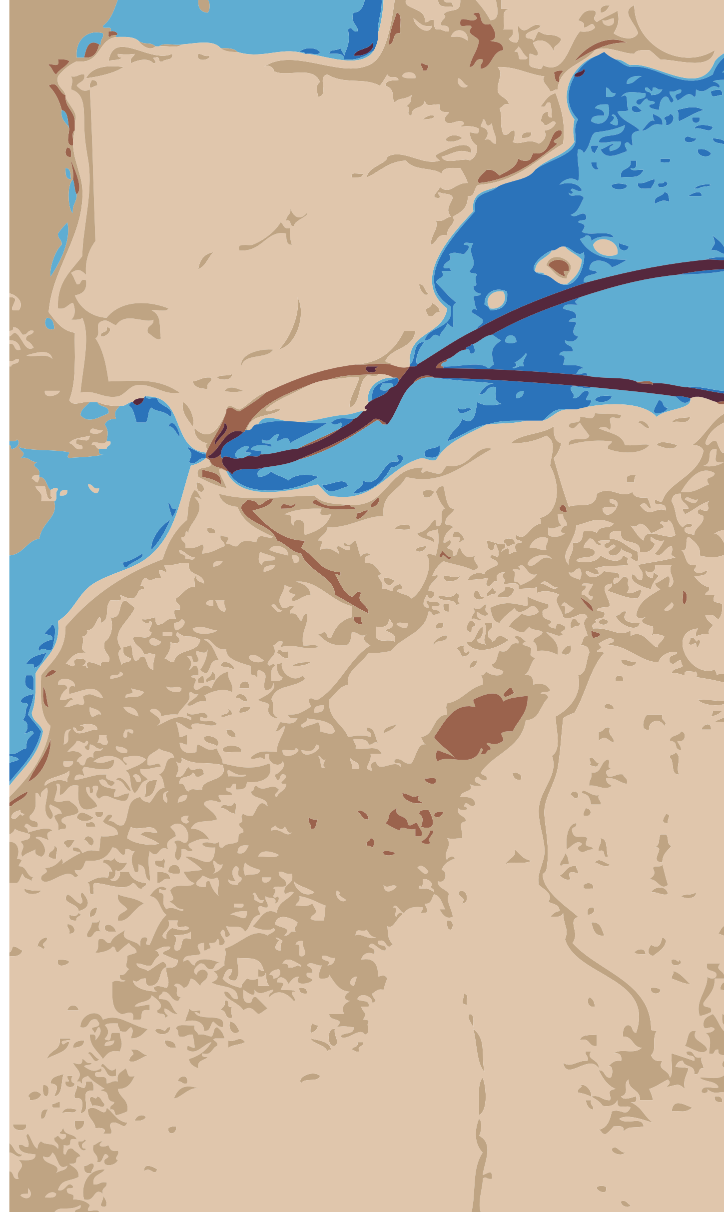
ومُقرئ؛ لتكون صفة للذي يقرأ؛ ثم ينظر هل المقروء بمعنى الخلق الذي هو صفة لله سبحانه أو بمعنى المخلوق.. وقد أسلفت: أنه لا علاقة لتحرير معنى القرآن والمقروء بمسألة دعاوى خلق القرآن نفياً أو إثباتاً؛ وإنما أحقق: أن القرآن اسم جامد؛ ولهذا فليس هو صفةً لله؛ فلا يحل لأحد أن يقول (عبد القرآن) بمعنى (عبد الله)؛ لأن الله ليس هو القرآن؛ وإنما القرآن آت من عنده.. ولا يحل لأحد أن يقول: (يا قرآن اشفني) بمعنى: (يا الله اشفني)؛ وإنما يدعو ربه؛ فيقول: اللهم اشفنا بكلامك الكريم القرآن.. اللهم اشف به أمراض قلوبنا وجوارحنا.. اللهم اجعله قرة أعيننا، وذهاب أحزاننا، اللهم اجعل القرآن خُلُقنا.. إلخ.. وإنما صفة الله التكلم والتكليم، وليس الكلام صفته؛ بل الكلام هو الصادر عنه سبحانه وتعالى: ينزله مجزءاً، وينزله دفعةً واحدةً، ويرفعه من الصدور آخر الزمان.. وليس التكلم والتكليم اللذان فعلهما: (تكلم، وكلم) من أسماء الله الحسنى مثل علم وأحاط وسمع؛ اللاتي هن أسماء لزومية؛ فلا يمكن أن يكون ربنا غير مهيمن ولا محيط ولا سميع ولو بمقدار كرة الطرف؛ بل التكلم والتكليم من أفعال ربنا الاختيارية؛ ثم إن أفعال ربنا الاختيارية على قسمين: أسماء حسنى مثل الرحيم؛ فالله سبحانه لا يرحم الكافر حال عقوبته إياه، ويرحم المؤمنين في دنياهم وآخرتهم.. إلا أن هذا الاسم الكريم إذا أطلق فلا يستحقه إلا ربنا وحده جل جلاله الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً.. ولقد منح الله بعض عباده صفة الرحمة؛ فهم يرحمون غيرهم؛ إلا أنه لا يطلق على أحدهم أنه الرحيم؛ بل تقيد رحمته بأنه رحيم بإخوانه المسلمين، ورحيم بزوجته وولده، ورحيم بجيرانه الفقراء.. ثم إن رحمته قد يجعلها الله فاعلةً؛ فيرحم مريضاً؛ فيرقيه من القرآن الكريم؛ فيجعل الله شفاءه على يده.. وقد يكون ثرياً فيرحم جيرانه الفقراء؛ فيغدق عليهم الغذاء والدواء والكساء، ويرمم بيتهم، ويؤمن لهم المواصلات، ويقوم بأجور تعليم أبنائهم في المدارس؛ فهذه الرحمة هبة من الله لعباده الصالحين؛ وهي بالغة الفاعلية؛ إذ لَحَسَتْ هموم الجيران، وملأت قلوبهم حبوراً، وأغنتهم عن تكفف الناس، وحققت لهم ضروريات لا قدرة لهم عليها.. ومع هذه الفاعلية العظيمة الأثر فلا تقاس بصفة (الرحيم) المطلقة؛ إذ هي فاعلية محدودة الأجل؛ لأشخاص معينين؛ ثم هي بفاعليتها العظيمة منحة من الرحيم ربنا الجليل الذي صفته مطلقة.. وقد يكون مَنْ مَنَّ الله عليه بأن جعل الرحمة في قلبه لا يملك أدنى شيء من الفاعلية؛ فهو رجل فقير، وقد رحم الأطفال والنساء والشيوخ الذين يقصفون بالمدافع، أو يحرقون، أو يذبحون ذبح الشياه؛ فلا يملك إلا البكاء والتضرع إلى ربه أن يرفع البأس عن عباده؛ والله غالب على أمر عباده بسابق علمه وعدله وحكمته.. ومما سبق تعلم أنه ليس من أسماء الله الحسنى المتكلم والمكلم؛ فلا تقول: عبد المتكلم، وعبد المكلم؛ لأن الملائكة الكرام والإنس والجن يتكلمون.. والحيوانات من الطيور ومما يزحف من الحشرات، ومما يمشي ويزحف.. إلخ: كل هؤلاء يتكلمون، وقد علم الله سليمان عليه السلام منطق النمل والهدهد؛ ولهذا لا يكون المكلم والمتكلم من أسماء الله الحسنى إذا أطلق؛ وإنما يكون من أسماء الله الحسنى إذا قيد مثل: يتكلم ربنا بالحق والحكمة والعدل ومنفعة العباد والبلاد، ويكلم من شاء بالحق والحكمة.. إلخ.. ولا نقول: (عبد القائل)؛ وإنما نقول: سبحان من لا يقول إلا الحق والحكمة.. إلخ؛ وكل ذلك بخلاف (الرحيم) التي لا يستحقها إلا الله إذا أطلقت.

قال أبو عبدالرحمن: هذا موضوع طويل الذيول تقصيته في كتابي (تفسير التفاسير)، وذكرت فيه نصاً للإمام ابن حزم رحمه الله تعالى عن علم الله سبحانه وتعالى؛ وهو يحتاج إلى تمحيص ما فيه من حق، وما فيه مما هو خلاف ذلك؛ وهو ما ورد في كتابه (الْفِصَلُ) **2 / 293 - 308**، وإلى لقاء عاجل إن شاء الله تعالى، والله المستعان.

عبر رحلة ابن جبير

الحج ومكة عام 579هـ





صلاح عبد الستار الشهاوي: مصر

ولد أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الشاطبي، البلنسي في عام 540 هـ الموافق 1145م في مدينة بلنسية من أسرة عربية عريقة، وبدأ ابن جبير بعد أن تلقى علوم الدين والشريعة في شاطبة وبرز كشاعر وكاتب لدى حاكم غرناطة بالأندلس.

ولرحلة ابن جبير التي سجلها في كتابه قصة، حيث كان ابن جبير يجلس مع الأمير أبي سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة فعزم عليه أن يشرب شيئاً من الخمر فرفض ابن جبير، فأقسم عليه الأمير أن يشرب سبعة أقداح من الخمر، فلم يجد أمامه مفراً من الشرب أمام إصرار الأمير فشربها، فأعادها الأمير إليه مملوءة بدنانير الذهب، فاعتزم ابن جبير أن يكفر عن خطيئته ويستغل هذه الأموال للحج تكفيراً عن خطيئته. وكتب رحلته العظيمة.



اشتهر ابن جبير بما تركه من كتب يحكي فيها أسفاره.. فهي وثائق نادرة عن العصر والأماكن والحياة الاجتماعية للمشرق والمغرب والأندلس منذ أكثر من 9 قرون

ابن جبير الرحالة

قام ابن جبير بثلاث رحلات إلى المشرق:

الأولى:

سنة 578هـ حيث خرج من غرناطة إلى (سبتة) ومنها ركب البحر إلى الإسكندرية ومنها توجه إلى مكة عن طريق (عيذاب) فجدة، فحج وزار المدينة والكوفة وبغداد والموصل وحلب ودمشق وركب البحر إلى صقلية عائداً إلى غرناطة عام 580هـ وقد استغرقت رحلته سنتين سجل فيها مشاهداته وملاحظاته بعين فاحصة في يومياته المعروفة برحلة ابن جبير ثم أتبع هذه الرحلة برحلة ثانية وثالثة.

الثانية:

دفعه إليها أنباء استرداد بيت المقدس من الصليبيين من قبل السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 583هـ فشرع في هذه الرحلة سنة 585هـ وانتهى منها سنة 586هـ.

الثالثة:

كانت إثر وفاة زوجته، فقد كان يحبها حباً شديداً، دفعه الحزن عليها إلى القيام برحلة ثالثة يروّح بها عما ألم به من حزن على فراقها، فخرج من (سبتة) إلى مكة وبقي فيها فترة من الزمن ثم غادرها إلى بيت المقدس والقاهرة والإسكندرية، حيث توفي فيها.

اشتهر ابن جبير بين الرحالة العرب والمسلمين، بسبب ما تركه لنا من كتب يحكي فيها أسفاره، فكانت تلك الكتب وثائق نادرة على العصر والأماكن والحياة الاجتماعية للمشرق والمغرب والأندلس منذ أكثر من تسعة قرون، وضاعف من أهمية ما تركه لنا ابن جبير أسلوبه وبلاغته وقدرته على التعبير وحسن الصياغة.

رحلة ابن جبير الأشهر

غادر ابن جبير موطنه غرناطة متجهاً إلى المشرق، ليقوم برحلته الأولى قاصداً الأراضي المقدسة ليؤدي مناسك الحج، وما كتبه بعد عودته، ووصفه لتجربته ومكابدته لمشاق السفر عدة آلاف من الكيلومترات، يؤكد مدى ما كان على المسلمين المقيمين بالأندلس أن يتحملوه من أجل أداء فريضتهم.

أقام ابن جبير في رحلته هذه سنتين وثلاثة أشهر ونصف دوّن مشاهداته وملاحظاته في يوميات عرفت برحلة ابن جبير، وسميت باسم (تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار) وتداول هذه اليوميات الشرق والغرب حتى قام المؤرخ والمترجم الإنجليزي ويليام رايت بنشره وطبعه في كتاب جمع فيه عدداً كبيراً من الرحلات لرحالة وحجاج عرب وأجانب مسلمين عرف باسم **Early travellers in palastine**.

وكتاب ابن جبير عن رحلته الأولى يعد من أهم مؤلفات العرب في الرحلات. فرغم أنه كان هناك رحالة عرب ومسلمون كثيرون جابوا الآفاق ووصلوا في رحلاتهم إلى أبعد مما وصل إليه ابن جبير، إلا أن ابن جبير (رغم أن رحلاته تعد أقصر ولم تبلغ ما بلغته رحلات غيره) كان دقيق الملاحظة، فقد جاء من حضارة كانت قد وصلت إلى مرتبة عالية من الرقي الحضاري والتقدم، لذلك فإن عينه اختزنت ما كان يشاهده ويصادفه، وقارنت بينه وبين الحضارة التي انتمى إليها، حضارة الأندلس الزاهرة.

ابن جبير في مكة

دخل ابن جبير مكة المكرمة في الساعات الأولى من صباح اليوم الثالث عشر من ربيع الآخر 579هـ.

في مكة المكرمة ومن صباح اليوم الثالث عشر من ربيع الآخر إلى العاشر من ذي الحجة أقام ابن جبير سبعة أشهر قمرية بانتظار أداء شعيرة الحج التي خرج من أجلها في رحلته. ولكن ابن جبير لم يظل ساكناً هذه الأشهر السبعة فقد قام برحلة داخلية بمكة زار بها الأماكن الشهيرة ووصفها، بدأها فور وصوله عندما دخل من باب العمرة، فطاف بالكعبة طواف القدوم وصلى بالمقام الكريم بعد الطواف، ثم تعرف على أماكن الزيارة ووصف مكة والمسجد الحرام.

وصف ابن جبير المسجد الحرام وصفاً دقيقاً لا يترك

منـه صغيرة أو كبيرة فيقـول: هذه البلدة المباركة سبقت لها ولأهلهـا الدعـوة الخليلية الإبراهيمية وذلـك أن الله عز وجل يقول حاكياً عن خليله: (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهـم من الثمـرات لعلهم يشكرون) (إبراهيـم: 37) وقال عـز وجـل: (أولم نمكن لهـم حرماً آمناً يجبـى إليه ثمرات كل شيء) (القصص: 57).

وفـي موضـع آخر يصـف ابن جبيـر مكة المكرمـة بقوله: (بلـد وضعها الله تعالى بين جبـال محدقة بها وهي بطن واد مقدس كبير، مستطيلة تتسع لأناس كثيرين لها ثلاثة أبواب باب المعلى ثم باب المسفل على طريق اليمن، ثم باب الزاهر أو بـاب العمـر وهـو غربي علـى طريق مدينـة الرسول طريق الشام.

ومـن جبالهـا الشهيـرة جبـل حراء فـي الشرق علـى بعد 2 كيلومتـر وهو الذي كان يتعبد فيـه الرسول الكريم صلى الله عليـه وسلـم قبل المبعـث، وجبل ثـور في الجهـة اليمني من مكـة علـى بعد ميل ونصف، وهو الجبل الـذي آوى إليه النبي صلى الله عليه وسلم مع صاحبه الصديق، ودار خديجة رضي الله عنهـا، فدار الخيزران التي كان منهـا منشأ الإسلام، وهي بـإزاء الصفا، ويلاصقهـا بيت صغير عن يميـن الداخل إليها كان مسكـن بـلال مـؤذن الرسـول). (ومكـة مدينـة عامـرة تمتلئ بالنعيم والفواكه وسائر الطيبات)، (وفي أيام الموسم -الحـج- تتحـول مكة إلى سوق عظيمة يبـاع فيها من الدقيق إلـى العقيـق.. كل شيء.. وتصبح مدينة زاخرة بالسكان ولكن بنظام دقيق).

ويقـول ابـن جبير واصفاً الكعبة الشريفـة: (البيت العتيق له أربعة أركان وهو قريب من التربيع وارتفاعه تسع وعشرون ذراعـاً وسائـر الجوانب ثمان وعشرون ذراعـاً. وأركانه الحجر الأسـود زمنـه ابتـداء الطـواف ثـم الركـن العراقـي والشامي واليمانـي ثم الركـن الأسـود. ودائر البيت كلـه نصفه الأعلى مطلـي بالفضة المذهبة الثمينة، وظاهر الكعبة كلها الأربعة جوانـب مكسوة بستـور من الحرير الأخضـر وبطانتها قطن وفـي أعلاهـا رسـم بالحرير الأحمـر. وداخل البيـت مفروش بالرخـام المجزع وحيطانه كلها رخام مجـزع. وبداخل البيت الحـرام مقام إبراهيم عليه السلام وهو حجر مغشي بالفضة وارتفاعـه ثلاثـة أشبـار، وكذلك قبـر إسماعيل عليـه السلام وعلامتـه رخامة خضراء مستطيلـة قليلاً على شكل محراب تتصـل بها رخامة خضـراء مستديرة، والحجر الأسود ملصق في الركن الناظر إلى جهة المشرق. وموضع الطواف بالبيت الحـرام مفروش بحجـارة مبسوطـة كأنهـا الرخـام حسنـاً، ومختلفـة الألوان وقد ألصق بعضها بالبعض الآخر، وللحرم تسعـة عشـر باباً أكثرها مفتوح على أبـواب كبيرة منها: أبواب العمرة، والصفا، والكعبة، وباب النبي، وباب العباس).

وفي فترة إقامة ابن جبير بمكة شهد شهر رمضان بالكعبة وصلـى التراويح بهـا، وشهد ختم القـرآن ختاماً رائعـاً تتلألأ فيـه أسمى معانـي الإيمان، وحكى كيـف رأى الناس هلال ذي الحجة، رغم الأمطار والسحب واسوداد السماء.

وحكـي أن مكـة شهـدت فـي موسـم الحـج آلافـاً مـن وفـود الحجيـج مـن كل فـج عميـق. وأنـه في اليـوم الثامـن من ذي الحجـة بكر الناس بالصعود إلى منى وغادروهـا إلى عرفات. وأن وقفـة عرفـات كانـت يـوم الجمعـة، وأن السنـة المطهـرة تقتضي المبيت بها، وأن منطقة المزدلفة منبسطة بين منى وعرفـات، وتسمـى هـذه المنطقـة بالمشعـر الحـرام، ووصف وقـوف الحجيـج بعرفـات، وذهابهم إلى منى لرمـي الجمرات والصلاة والنحر والحل.

مـن مكـة المكرمة وبعد أداء مناسـك الحج رحل ابن جبير إلـى المدينـة ووصـف مسجـد الرسـول الكريـم: (والمسجد المبـارك مستطيـل، وهو مفروش بالرمل والحصـى، وطول المسجد 196 خطـوة وسعتـه 126 خطـوة وعدد أعمـدة 290 عمـوداً. وللمسجد تسعة عشر باباً لم يبق منها مفتوحاً سوى أربعـة وهـي: بـاب الرحمـة وباب الخشيـة وبـاب جبريل عليه السـلام وباب الرخـاء. وبالمسجد الروضة الشريفة وتقع في آخـر الجهة القبليـة وسعتها 227 شبراً، وهـي مزينة بالرخام الرائـع فـي نحتـه، وأمامهـا شبـاك حديـد مفتوح إلـى روضة تتنسـم منها روحـاً وريحانـاً. وعلى يميـن الروضـة الشريفة المنبر العتيق، وفي القبلة باب واحد لكنه مغلق).

وفـي المدينـة زار ابن جبير جبـل أحد ومسجـد حمزة بن عبدالمطلـب وروضـة العباس بـن عبدالمطلـب، وزار مدينة قباء التي بها المسجد المؤسس على التقوى.

مـن المدينة المنورة قرر ابن جبير العودة إلى موطنه عن طريـق زيارة العـراق والشام ثم بانياس ثم مدينة صور ومنها إلى جزيرة صقلية عن طريق البحر.

ومن ميناء طرافيش في صقلية أقلع ابن جبير في 21 من ذي الحجـة عـام 580هـ على ظهر سفينة إلـى الأندلس، وصل إلـى قرطاجنة فـي 15 من المحرم عام 581هـ ومن قرطاجنة سار براً حتى وصل إلى غرناطة وطنه ومقر إقامته.

(ومكة مدينة عامرة تمتلئ بالنعيم والفواكه وسائر الطيبات وفي أيام الموسم تتحول مكة إلى سوق عظيمة يباع فيها من الدقيق إلى العقيق.. كل شيء.. وتصبح مدينة زاخرة بالسكان ولكن بنظام دقيق)

قلب قابل للكسر

أحمد اللهيب: بريدة

إنّ قلبي يا حبيبي
ليس منحوتَ حجارةْ

إنما أخشى عليه
حين تجفوهُ انكسارهْ

قابلٌ للكسْرِ حتى
حطّم الوجدُ اصطبارهْ

كلّ يوم سوف يمضي
دون لُقياكَ خسارةْ

لوعة الهجر تناهت
فامنح القلب زيارةْ

لحظةً فالقلب مهما
بلغت فيه المرارةْ

لك في الروح رحيقٌ
فهو للنّفسِ بشارةْ

إنّ حبي لك ذخرٌ
آه ما أحلى ادخارهْ!

بين كفّيكَ لخدي
حلمٌ ملَّ انتظارَهْ

فادنُ مني وترفقْ
قطفَ الحزنُ ثمارهْ

ساهر الليلِ ويمضي
سادراً يقضي نهارهْ

تاه كالنّجمِ وحيداً
ضيّع اليوم مدارهْ

لم يفتشْ في مداه
هل سيلقاكَ قرارهْ؟

مرّ هذا العمرُ حتى
يرقب الموتُ انحدارهْ

لا تلمْ قلباً تعنّى
آه لو كان اختياره

فتمهلْ لست تدري
زيّن القلبُ اخضرارهْ

فرش الروحَ بساطاً
وبناها لكَ دارهْ

أنت تبقى يا حبيبي
جنةَ القلب ونارهْ

الشعر المغربي التقليدي





مها بنسعيد: المغرب

سعى المشهد الشعري المغربي إلى تطوير رؤيته الفنية والشكلية، فمر بمراحل متعددة منها: التقليدية والرومانسية والشعر المعاصر. وأكسب هذا التعدد في بنيات الشعر المغربي الحديث، سمة التنوع في الأنماط والأشكال والاتجاهات الفكرية، بفعل الاحتكاك بالشعر العربي الحديث بالمشرق، والتأثر بتيارات التجديد الشعري الغربي، ما دفع الشعراء المغاربة إلى تطوير نصوصهم شكلاً ومضموناً، باحثين عن أفق مغايرة للتخلص من ضوابط العروض، والقافية، والصور البلاغية، ووحدة الروي، والدعوة إلى التحرر، لبناء شكل جديد يستجيب لمتطلبات التحولات الثقافية والسياسية، التي عرفها العالم العربي والغربي.

سنتطرق في هذه الدراسة بالحديث عن الشعر المغربي التقليدي. قراءة تتغيّا الرحيلَ نحو السؤال، الذي لا يبحث عن الإجابة بقدر ما يبحث عن أفق للبحث، منطلقُها الوحيد هو الشعر المغربي الحديث. فجاءت (هذه الدراسة) كسفر من المجهول إلى المعلوم، إذ لا وجود لزمن خارج المعرفة، ولا وجود لمعرفة لا تنتج السؤال. وللسؤال أحقيته في هذه الدراسة. ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال بناء مشهد ثقافي مغربي حديث دون العودة إلى الأصول الأولى للقصيدة الحديثة، واستحضار المنظور التاريخي والزمني، لبناء صورة واضحة المعالم للشعر المغربي الحديث.

إذن ما وضعية البداية في الشعر المغربي الحديث؟ وما حدود التحديث في القصيدة المغربية الحديثة؟ وما علاقة هذا الشعر بالحركة التقليدية المشرقية؟

تعد التقليدية العتبة الأولى للشعر المغربي الحديث، لما أتت به من أفكار جديدة شكلت بداية الحداثة الشعرية في المغرب، ومنطلقاً لتغيير فكري سعى إلى تغيير مجرى الثقافة المغربية من ثقافة فقهية إلى ثقافة منفتحة على الآخر، مستفيدة من تطوراته وأحداثه. وقد تميزت هذه القصائد بالمحافظة على أبرز مميزات بناء القصيدة الجاهلية.

يعرف محمد بنيس التقليدية بأنها «أول برنامج شعري للحداثة الشعرية العربية، في العصر الحديث. فيه وبه تم بناء نص يرى إلى الممكن في الكائن، وإلى المستقبل في الماضي، حيث التقدم الشعري (وغير الشعري) يقضي بأسراره من غير قلق أو تصدع. ولكن العودة إلى الماضي لم تقدر على التخلص من أثر الذات الكاتبة، في استيقاظ إحساسها بعدم التوافق بين حاضريها وماضيها أساساً، مهما كان شحوب هذا الأثر». إنها حركة تحديثية، ذات نزوع واضح نحو إنجاز قصيدة لها مبادئ نظرية، لخصها محمد بنيس في التقدم، والنبوءة، والحقيقة، والخيال. هذه المبادئ هي التي أعطت القصيدة التقليدية نسقاً تستقل به وتنفصل عن القصيدة القديمة.

لم يكن للتقليدية، إذن، سلالة شعرية حديثة. وهذا يفيد أن السلالة هي الماضي الواحد والموحد. فالشاعر التقليدي لم يدرك انفصاله عن الأقدمين، ولم يستطع أن يتخيل زمناً شعرياً مبتذلاً عن الأزمنة الماضية. في الماضي وحده، توجد الحقيقة الشعرية. هناك في الزمن الدائري، العائد إلى الوراء، كمستقبل شعري، يتخيل الشاعر التقليدي وجوده بين السابقين، لا كسابقين، ولكن كشعراء نوابغ، وهو أحد النوابغ في السلسلة الذهبية.

انطلقت ممارسات الشعر الحديث في المغرب برغبة مسايرة الواقع التاريخي، والمجتمعي لأحداث النهضة، والبحث عن تصور جديد للشعر، يتناسب والتحديث الذي بدأ الشعراء يتطلعون إليه، مما أطر لظهور القصيدة المغربية المنفتحة على المركز الشعري. ففي الوقت التي ظهرت فيه القصيدة المغربية التقليدية بالمغرب في الثلاثينيات، كانت وفاة حافظ وشوقي، إيذاناً بنهاية القصيدة التقليدية في المشرق وتونس، مما يفسر الوضعية المتأخرة والمنغلقة التي كانت تعيشها الثقافة المغربية آنذاك. وقف الشاعر المغربي في ظلها وقفة المصدوم، مما جعله يفكر في إعادة بناء الشعر المغربي، من حيث البنية والدلالة، معلناً عن بداية مغايرة ترفض التراجع والانغلاق، داعياً إلى الإصلاح والانفتاح في اتجاهات القراءة والأسئلة، التي تعمل على رجم المسلمات في قراءتنا للشعر المغربي الحديث. فبالرغم من التأخر التاريخي، الذي عرفته القصيدة المغربية الحديثة فإنها لم تكن لتوجد إلا بشروط حديثة ولكنها ضعيفة جداً. ومع ذلك عبرت عن زمن التحولات في مجتمع يبحث عن هويته الضائعة بين الجهل والاستعمار.

لقد كان كتاب المتنخبات العبقرية لطلاب المدارس الثانوية لعبدالرحمن السائح، أول كتاب تناول الشعر المغربي، حيث صدر سنة 1920، وقسمه مؤلفه إلى قسمين: قسم تناول فيه الشعراء المغاربة، وقسم ثان، أفرده للشعراء الأندلسيين، فهو يعد بمثابة إرهاص أولي لتاريخ الأدب في المغرب الأقصى، إلا أنه يظل ذا غاية تربوية، فهو كتاب موجه بالأساس إلى التلاميذ والأساتذة. وفي سنة 1929، صدر كتاب الأدب العربي في المغرب الأقصى للكاتب والناقد المغربي محمد بلعباس القباج، الذي يعتبر أول أنطولوجيا مكتوبة بوعي متقدم وتصنيفي. فكاتبه يعترف بنفسه أن إصدار كتابه، كان وليد التأثر بالتطور الذي عرفه المشرق. وفي ذلك قوله: «ومنذ عهد قريب وصل إلى المغرب الأقصى صدى تلك النهضة الفكرية التي انبعثت في الشرق العربي وأحدثت انقلاباً في الأفكار والأساليب». وهو أول من فتح باب القول عن الشعر المغربي الحديث، وإن لم يخرج في ذلك عن المفهوم التقليدي للشعر، ولا عن التصنيف الذي جاءت به الشعرية العربية القديمة، عندما اعتمدت توزيع الشعراء إلى طبقات بحسب الانتماء إلى طريقة أو ما يغلب على الشاعر منها. فمحمد بلعباس القباج أسس لنا صورة واضحة عن الأدب المغربي، من خلال وعيه الأدبي الذي يعد امتداداً للخطاب المشرقي. وفي سنة 1934 صدر كتاب عبدالله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، الذي تزامن وجوده مع تحركات الكتلة الوطنية بالشمال والجنوب. (فالكتابان تأسيس مضيء للذاكرة). وفي هذا السياق كان كتاب محمد بلعباس القباج، وموسوعة عبدالله كنون وعياً بإحدى مقومات الحضور المغربي في العالم الحديث.

انطلق الشعر الحديث في المغرب لمسايرة الواقع التاريخي لأحداث النهضة مما أطر لظهور القصيدة المغربية المنفتحة على المركز الشعري



وقد جاء صدور كتاب بلعباس القباج على إثر صدور كتاب الأدب التونسي في القرن 14، الصادر سنة 1927، لصاحبه زين العابدين السنوسي، كحلقة أولى في اهتمام المغاربيين بشعرهم، عكست وعياً ذاتياً بالممارسة الأدبية لتشكيل نموذج خاص بها، فأثار المؤلف، أوجه الاختلاف بين الممارستين: التقليدية والحديثة. فعاب عن التقليدية محاكاتَها للقديم، وعاب عن الحداثة تقليدَها للشعر الأوروبي، وفقدانَها لروح العربية والترنيمة الشعرية. واقتصر كتابه على الشعر دون النثر، وأورد مقطوعات شعرية، أغلبها، تصب في الموضوع الاجتماعي. وصدور كتاب زين العابدين السنوسي تُوِّج لضرورة ملحّة أرادت أن تعرِّف بالأدب التونسي، وتجاوز العوائق الفكرية والثقافية. وفي السنة نفسها (1927)، ظهر أولُ مصنَّف في الشعر الجزائري للمؤلف محمد الهادي الزاهري (1902 - 1974)، بعنوان شعراء الجزائر في الزمن الحاضر، جاء ليعلن، بدوره، أحقية انتمائه للثقافة العربية، «فقد ظل إلى حدود سنة 1967 الذخيرة الفريدة لهذا الشعر».

يمكن اعتبار سنة 1936 شاهداً على صدور أول ديوان شعري مغربي: أحلام الفجر لعبدالقادر حسن. وبعدها في 1937 نشر محمد بن محمد مكوار ديوان محمد بن محمد مكوار. وهي سنة جديدة في عالم النشر انتبه إليها عبدالله إبراهيم في تقديمه ديوان أحلام الفجر. لم يكن قبلها إلا مجموعتان اليمن الوافر لعبدالرحمن بن زيدان، الصادر عام 1923. والأدب العربي في المغرب الأقصى لمحمد بن العباس القباج المنشور بعد ذلك بخمس سنوات، والمجموعتان معاً، انتقائيتان لنماذج تنصب في أولهما على المديحين النبوي والسلطاني. ويدور ثانيهما حول تقديم منتخبات شعرية. إلا أنهما لا يزجيان إلا النصوص التي قيلت في العقد العشريني وما قبله.

وقد امتازت هذه الفترة المدروسة بميزتين مهمتين:

أولاهما: بداية التطور في لغة الشعر وأسلوبه وطريقة أدائه، بحيث أصبحت لغته قوية سليمة بالنسبة لثقافة شعراء هذه المرحلة.

وثانيتهما: انطلاق الشعر في آفاق جديدة، بحيث لم يقتصر على فنون القول التقليدية: المدح، والهجاء، والغزل، والإخوانيات، ولكنه انطلق مع اهتمامات النخبة بحالة الشعب، يسجل آلام الأمة منكودة الحظ، وينعي حالة التخلف الفكري والاجتماعي، ويوجه النقد الذاتي للأوضاع الاجتماعية والدينية والثقافية في المغرب.

أسماء من طراز علال الفاسي، ومحمد بن إبراهيم، ومحمد المختار السوسي، هي بالتأكيد أسماء الحركة الشعرية التقليدية في المغرب. وهي التي بلورت قصيدتها، ونشرتها الصحافة. كتبت هذه الأسماء، قصيدة، كانت ترغب في التخلص من ممارسة المدرسة المغربية - الأندلسية، باعتماد نموذج شعري مغاير. مهتدية بما حققته القصيدة التقليدية في مصر على الخصوص. إنه نموذج يدعو على لسان الجماعة لقيم تحديث لغوي (يصبو إلى الدفاع عن عربية حديثة)، واجتماعي (وفي مقدمته تعليم الفتاة)، وتحرري (أساسه رفض الاستعمار وتمجيد الرموز المغربية والعربية).

التقليدية حركة تحديثية ذات نزوع واضح نحو إنجاز قصيدة لها مبادئ نظرية لخصها محمد بنيس في التقدم والنبوءة والحقيقة والخيال

إن وعيهم بالأوضاع الجديدة التي عرفها المغرب، جعلهم يفكّرون في الجديد الذي يناسب الوضع الجديد، لأن القصائد السائدة، لم تعد تناسب مستجدات زمنهم، ولم تعد تستجيب لما في دواخلهم من أحاسيس ومكنونات. ومن ثم جاء الوعي الشعري الجديد لهؤلاء الشعراء الشباب مقترناً بالوعي المشرقي، وبالوعي الوطني المرتبط بالوضع السياسي الداخلي للمجتمع المغربي.

من هنا شكلت القصيدة التقليدية المغربية بداية الحداثة الشعرية في المغرب، تعبيراً عن زمن التحولات، ومنطلقاً لتغير فكري يبحث عن هويته الضائعة بين الجهل والاستعمار.

ذكريات من الصُّفَّة

الكتابة والقلق وأطياف من الماضي البعيد (12)



د. عاصم حمدان

كُنّـا ونحـن طلبة علـم، وهــواة أدب، في نهايــة الثمانينات وبداية التسعينات الهجرية؛ نسمـع أسماء جيل الروّاد دون أن نقرأ لهم شيئاً مكتوباً، ولـم يتوافر في المكتبات التي نرتادها إلا القليـل من إنتاجهـم. ولعلّ كتاب (سيرة بطـل)، للأستاذ الراويــة محمّــد حسن زيــدان؛ يأتي في مقدّمة ذلـك الإنتاج، ويعكس الكتاب ثقافة (الزيدان) الدّينية، التي تلقّاها في مطلع نشأتـه بالمدينة المنوّرة فـي حلقات العلم بالمسجـد النّبويّ الشّريف، كما كانت مجلّة العربي، التي أنشأها المؤرّخ والراوية حمـد الجاسر؛ تزوّدنا بمعلومات مهمة عـن الأماكن والمواقع التّاريخيـة بالجزيــرة العربيــة. وكان الجاســر مهتمّـاً بتاريخ المدينــة المنوّرة، وتجسّــد اهتمامه في تحقيق كتــاب المؤرّخ محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي الموسوم (المغانم المطابة في معالم طابة)، الجزء المخصّص للأمكنة والمواقع.

وكان الأستاذ المؤرّخ الدكتور جواد الطّاهر ينشر في (مجلّة العــرب) تباعاً حلقــات دراسته المهمة تحـت مسمّى (معجم المطبوعــات العربية فــي المملكة العربيــة السّعودية)، والذي خــرج لاحقاً في أربعــة أجزاء بالاسم نفســه، بمراجعة الشيخ الجاســر. ويمثّل الكتاب مرجعاً مهماً فــي الأدب السّعودي، ما بيـن **1340-1417هـ**. كما كانـت (العرب) تهتـمّ بالرحلات المدونـة: عن الجزيرة العربية عامــة ومكّة المكرمة والمدينة المنوّرة خاصة.

***

كان جيلنــا يسمع اسم رائدين كبيرين في الشّعر السّعودي، وهمــا: حمزة شحاتة، وحسين سرحــان. وكانت مجلّة الإذاعة السّعوديــة، التــي تصـدر آنــذاك عــن وزارة الإعــلام؛ تنشر مقطوعــات شعريّة لشحاتة. وفي عــام **1388هـ** بدأت صحيفة (عــكاظ) في نشر قصائد مطوّلة للشاعــر نفسه. وقد عرفت لاحقــاً أنّ رئيــس تحريــر الصّحيفة آنــذاك، الأستاذ عبدالله عمر خيّــاط، التقى الشّاعر شحاتة، عندمــا كان ضمن الوفد الإعلامي الذي رافق الملك فيصل -رحمه اللّه- إلى مصر بعد حرب حزيران **1387هـ - 1967م**، وطلب منه تزويد الصّحيفة بشيء من إنتاجه الشّعري. وقد سمعت من الأستاذ الخيّاط أنّ شحاتة آنذاك قد ضعُف بصره، ولكنّه حضر لقاء الملك فيصل بالطلبة السعوديين، الذين كانوا يتلقّون تعليمهم في القاهرة. وكان شحاتة قد عمل فــي السّفارة السّعودية في مصر، وذلك بعد نزوحه إليها في نهاية الستينات الهجرية.

ويضيف الأستاذ الخيّاط أنّ الملك فيصل أبدى قدراً كبيراً مــن الاهتمام بالشّاعر شحاتة. وكان الأستــاذ والأديب محمّد عمــر العامودي قد نشر قبـل مدّة وجيزة، فــي حديث أربعائه بصحيفــة (المدينــة)، رسالــة وجّهها شحاتــة للملك فيصل يشكره فيها على مواقفه الإيجابية إزاءه، فلقد أحاطت بالشّاعر ظروف عائليــة صعبــة، أدّت إلى اعتزاله الحيــاة الاجتماعية والأدبية على حدٍّ سواء.

كنّــا في مرحلة اليفاعة تلك نــردّد بعضاً من أبيات قصيدة شحاتة الموسومة (بعد صفــو الهوى). وكان مصدرنا الوحيد ترنُّم بعض المنشدين غناء بها، ومطلع القصيدة، كما تحفظ الذّاكرة، يقول:

بعدَ صفْوِ الهوى وطيبِ الوفاقِ
عــزَّ حتى السّــلامُ عند التّلاقي
يا معافى من داءِ قَلْبي وحُزني
وسليماً من حُرْقتي واْشتياقِي!

ومنها:

وتـهـيَّـأْتَ لـلـسَّـلام ولــم تفْعل

فـأغـريـتَ بـي فُـضُـولَ رفـاقـي

هبْكَ أهملتَ واجبي صَلَفاً منك

فـمـا ذنــبُ واجــبِ الأخــلاق؟

وتقـول خاتمـة أبياتها الرّائعـة ذات الجَرْس والموسيقى، والعبارة الشّعرية المصقولة:

قد يُطاقُ الصدودُ يُوجِبُهُ الذّنْبُ

وصَـــدُّ الــمــلالِ غـيــرُ مُـطــاقِ

أنت حُرٌّ، والحُسنُ لا يعرفُ القيْدَ

فـصـــادرْ حـريَّـتـي وانْـطـلاقـي

فـي تاريخ متقارب من شهـر ذي الحجّة **1391**هــ، ودّع كلٌّ مـن محمّد سرور الصبّـان وحمزة شحاتة الحيـاة، بعد حياة صاخبـة. فلقد كان الصبّان راعياً للأدب والأدباء، منذ صدور كتاب (أدب الحجاز) عـام **1344**هـ، برعايته الخاصّة. والتفّ حولـه أدباء تلك الحقبة ومثقّفوها، وكان كريماً ومتسامحاً مع الجميـع، ويصف البعض ذلـك التّسامح إلى الحـدّ الذي كان يسمـع فيه مـا يكره من القول ولا يلتفت إليـه، بل ربّما بالغ في إكرام من تفوّه به إن أجبرت ذلك الشّخص ظروف الحياة إلى اللّجوء بعد الله إليه.

ولم تكـن العلاقة بيـن الصبّـان وشحاتة تسلـم من بعض المنغّصـات، ولكـنّ شحاتـة - كمـا ذكـر الأستاذ زيـدان في مداخلته بإثنينية الخوجة- كان لا يرضى أن يذكر أحد شحاتة عنده بسوء. وضمـن الأعمال الكاملة التي قـام الشّيخ الأديب عبدالمقصـود خوجة بطباعتها عـام **1431**هـ - **2010**م، نجد قصيـدة تحمل مشاعـر ودٍّ خالص للشّيخ الصبّـان، باعتباره راعياً للأدب في تلك الحقبة. ويعبّر شحاتة عن إعجابه بالقيم والأخلاق الكريمـة التي تنطوي عليها شخصيّة الصبّان بلقبه المعروف لدى مجاليه (أبو حسن):

أبـا حسنٍ أوْلـتـكَ ذُخْـرَ ودَادهـا

قلوبٌ تُنـادي فيكَ فَجْرَ جِهادِها

وقد كُنتَ مرجُوَّ المعاد، ولمْ تَزَلْ

مدارَ المُنى، في جَزْرِها وامْتدادِها

فأنتَ اللِّسانُ الحُرُّ في ظلِّ صمْتها

وأنـتَ مثارُ الجَمْرِ تحت رَمَادِهـا

فكُنْ مُلتقى أحْـرارِهـا وعَقيْدهُم

وركُـنَ أمـانيـهـا، وصَــرْحَ عَتادِها

أبـا حسنٍ إنَّ الصُّـفـوفَ تآلفتْ

على صَوْتك العالي الحبيبِ فَنَادِها

ويصف شحاتة شخصيّة الصبّان قائلاً:

وأنتَ الشُّجاعُ الفَحلُ عقلاً وأُهْبَةً

وأفـقُ أمانيها وقطبُ احْتشادِها

وقد حملت القصيدة في خاتمتهـا تاريخ إنشائها، وهو عام **1958**م. ويستفـاد من ذلـك أنّ الشاعر أنشأهـا أثناء إقامته بالبلد العربي مصر.

لقد خلّفـت حادثة وفاة الصبّـان وشحاتـه المفاجئة تراثاً شعرياً ونثرياً بديعـاً، فلقد تسابق أدباء تلك الحقبة إلى تأبين كلا الشّخصيتيـن، ويمكن القول إنّه بمقـدار ما كان الصبّان شخصيّـة واقعية، حيث تبوّأ عن جدارة منصب وزارة المالية، ثـمّ الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي لاحقاً؛ كان شحاتة

مثالياً إلى الحدِّ الذي حمله على النُّزوح بعيداً عن الوطن لظروف عائلية محضة، والانزواء عن السّاحة الأدبية، التي كان أحد فرسانها، وهو ما تعبّر عنه رثائيات عارفيه من جيل الروّاد، فهذا الشّاعر محمّد حسين فقي يقول، واصفاً غربة صديقه شحاتة، في قصيدة حملت عنوان (وغربت الشّمس):

قدْ لازمَ الدَّارَ العَتيقةَ واجْتَوى

مَنْ كانَ أو مَا كانَ خارِجَ دَارِهِ

معتبراً أنّ عزلة الشّاعر تدخل ضمن ما يمكن وصفه بـ(الفرار الإيجابي):

بَعْضُ الفِرارِ مِنْ الثَّباتِ وربّما

نالَ المُجاهِدُ أجْرَهُ بِفِرارِهِ

إنّ الذي خلقَ الحياةَ حفيلةً

بالشَرِّ أنْقَذَنا ببعضِ خيارِهِ

إلا أنّ الشّاعر أحمد قنديل الذي يعدّ من حلقة الرِّفاق الأقرب إلى شحاتة؛ يرى أنّ الشّاعر كان في مطلع حياته مقبلاً على الحياة بكلّ أمل وطموح كبيرين، فيقول، مقارناً ماضي شحاتة المنفتح بحاضره المنغلق والزّاهد في كلِّ شيء:

وكُنْتَ لَدَى مَاضِيكَ روحاً طليقةً

وطَبْعاً رقيقَ الطَّبعِ في الجدِّ، في اللَّعِبِ

كان هذا الاحتفاء الرّثائي بشخصية (شحاتة)، ولم يطبع بعد ديوانه الشّعري، إلا أنّ الأمير عبدالله الفيصل بادر في عام **1408**هـ - **1988**م بطباعة ديوان شحاتة، ولقد راجع نصوصه الأستاذ الدكتور بكري شيخ أمين، كما كتب كلٌّ من الأديبين محمّد علي مغربي، وعبدالمجيد شبكشي كلمة تنويه بصنيع الأمير الشّاعر في السّعي لجمع شعر شحاتة، إضافة إلى دراسة موجزة عن شعره كتبها واحد من أقرب النّاس إليه، وهو صهره الأستاذ عزيز ضياء. ولعلّنا نشير هنا إلى أنّ المصادر الأولى للشّعر السعودي مثل، (أدب الحجاز)، و(وحي الصَّحراء)، و(شعراء الحجاز في العصر الحديث)؛ لم تتضمن شيئاً عن شحاتة وشعره، ويبدو أن شحاتة كان يرفض تقديم شيء لمن أخذوا على عاتقهم تقديم نماذج من الأدب السعودي، وتختلف الآراء إزاء هذا الرّفض وتلك الممانعة.

ولعلّي أختم هذه الحلقة بالقول: إنّ جيلنا قرأ شيئاً عن شخصية شحاتة من خلال تلك القصائد والمقالات النثرية الصّادقة والرائعة، التي كتبها أصدقاؤه من أمثال: محمّد حسن عوّاد، وأحمد قنديل، ومحمد حسين فقي، ومحمّد حسن زيدان، ومحمود عارف، وشكيب الأموي، وعبدالله خيّاط، ومحمّد صالح باخطمة، تأبيناً له، ورثاء لفقده المفاجئ.

وتشاء الأقدار أن يخصّني الأستاذ عبدالمقصود خوجة بثقته، مع بعض الزّملاء، في مراجعة القصائد التي كان يحتفظ بها المرحوم الأستاذ محمّد نور جمجوم في مكتبته، وذلك رغبة منه -جزاه الله خيراً- في الاحتفاء بمئوية الشاعر. وكان الأستاذ هشام جمجوم، ابن الشيخ محمّد نور، مثالاً كريماً في التّجاوب مع هذه الرّغبة، فأحضر المجموعة الكاملة من أعمال الشّاعر، حيث كان والده قد انتقل إلى رحمة الله، فوجدت أنّ جزءاً كبيراً من قصائد تلك المجموعة -لأسباب خاصّة- لا يمكن نشره، وأنّ بقاءها مخطوطة خير من نشرها.

لقد مضى بعد اطلاعي على تلك المجموعة، وقراءتي لمرثيات أصدقاء الشّاعر ما يقرب من نحو ثلاثين عاماً، فلقد رحل شحاتة في عام **1391**هـ، وتمت طباعة الأعمال الكاملة للشاعر عام **1431**هـ. فرحم الله الشّاعر الكبير شحاتة، وبارك في حياة أستاذنا عبدالمقصود خوجة، الذي اهتمَّ بجمع وطباعة ما خلّفه جيل الروّاد من أعمال أدبية تعكس مسيرة الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، والتي بدأت مع توحيد الجزيرة العربية على يد المغفور له الملك عبدالعزيز -رحمه الله-.

القضية

فهد المصبّح: الدمام

قبيل الفجر كان صلاح يغط في نوم عميق بعد ليلة مؤرقة، ساعة المنبه تمزق صمت الليل بدوي متخاذل، كأن النعاس امتد إليها.

كثر تفكير صلاح في هذه الأيام وتغير حاله، تضاعفت آماله، زوجته انكمشت مبتعدة عنه، فلزمه أن يمد يده ليسكت هذا المزعج، وما إن سحبها إليه، وعاد الصمت من جديد إلا وشعر أن نومه قد تبدد، وأخذت طلائع من سحب التفكير تغزو رأسه، ترك فراشه بتكاسل، وجر قدميه جراً إلى دورة المياه.. توضأ لصلاة الفجر.. تمنى غياب إمامهم، فهو يطيل القراءة، وكما ذهب عاد، لم ينشط فيه شيء.

اعتاد صلاح قبل ذهابه إلى عمله أن يسمع أخبار العالم من المذياع، حرك مؤشره إلى محطة يفضل سماعها، ومن أول كلمة تلقاها من المذياع جعلته يتحفز لسماع المزيد، طرح النعاس عنه جانباً، وأقبل بكل حواسه على المذياع، الأخبار تتوالى تباعاً مفعمة بالإثارة: (الفلسطينيون يعودون إلى بلادهم بعد طرد آخر صهيوني عنها.. إسرائيل تحتج لدى الأمم المتحدة على تصرف الفلسطينيين معهم.. الدول العربية تجمع على تحكيم الكتاب والسنة، وإلغاء جميع الأحكام الوضعية، ثم ينقطع البث ويتحدث مذيع آخر مستميحاً المستمعين العذر إرجاء الأخبار، لرفع آذان الفجر من القدس الشريف).

لا لا.. لابد أنه يحلم، ضرب رأسه بيده، وتوجه إلى غرفة نومه، وجد السكون شاهداً على أنه الوحيد اليقظ في المنزل، إنه ولا شك لا يحلم، لا في النوم ولا في اليقظة، وعاد مع انتهاء الآذان، وبدأت الأخبار تتواصل: البنوك العالمية تمنى بهزيمة ساحقة أمام المصارف الإسلامية، سقوط السلطة الأوروبية في جنوب أفريقيا، إشهار آلاف من سكان أمريكا إسلامهم، والحكومة تعدهم بمقاعد في الكونجرس، بدء الزيارة إلى القدس الشريف من الدول العربية بعد التحرير، وأخذت الأخبار تتدفق نحوه، من الدولة إلى المدينة إلى الحارة، وها هي تتركز على منزله، اسمه يعلن في المذياع لأول مرة، حيث كان على رأس المسافرين إلى فلسطين، فرك عينيه بيديه، ثم فتحهما جيداً، فوجد أمامه رجالاً غرباء أحاطوا به، وبمعاملة تفيض رقة أدخلوه مكاناً فسيحاً فيه خلق كثير، لابد أنها إجراءات السفر، وهؤلاء هم المسافرون بصحبته، نظراتهم إليه جعلته يسرد قصته عليهم دون أن يطلبوا منه ذلك، سألوه عن اسمه، فأجاب بتلعثم:

- صلاح.

اندفعوا إليه بهياج صاخب قائلين:

- أنت إذن قائدنا المظفر.

حملوه على الأعناق، تعالى الهتاف، استبد به الحماس، نظر حوله، تحركت يده إلى جيبه، امتشق قلمه ملوحاً به في الهواء، وهو يصيح بأعلى صوته:

- إلى بيت المقدس يا جند الله.

والت ويتمان

رائـــد الشـــعر الحر



د.هند عبدالحليم محفوظ: مصر

ولد والت ويتمان في 31 مايو 1819 م، في (لونج أيلاند) من ضواحي نيويورك، في فترة مهمة من التاريخ الأمريكي، إذ كانت البلاد قد خرجت لتوها من حرب جديدة مع بريطانيا، وتشهد توسعاً وامتداداً عظيمين لحدودها في الغرب والجنوب، ضمن صفقة (لويزيانا) التي اشتريت بموجبها تلك الولاية من نابليون بونابرت، حين كان إمبراطوراً لفرنسا. وكان الانقلاب الصناعي قد ظهرت بوادره في أمريكا، وتعاونت المخترعات الحديثة مع كل ذلك في إضفاء أهمية وتسارع على الاقتصاد والثقافة والفكر والسياسة وكل مناحي الحياة في العالم الجديد.



لم يقتصر تجديد ويتمان على مضمون قصائده بل تعداه إلى الشكل إذ ترك لخياله وقلمه العنان دون التقيد بالوزن والقافية

وكانت طفولة شاعرنا في بيئة شبه ريفية، فلم تكن لونج أيلاند بالعمران الحالي، بل كانت في معظمها مزارع وحقولاً منبسطة، تصل إلى المحيط الأطلسي الذي يحد المنطقة. وقد أولع ويتمان منذ صباه بالتجوال في الحقول، وصيد السمك والجلوس على شاطئ المحيط يرقب نوارس البحر في طيرانها الخفاق. كان أبوه من سلالة إنجليزية والأم من أصل هولندي، وكلاهما من أسر المهاجرين الأوائل إلى الأرض الجديدة، وارتبط الشاعر بأمه، بينما كانت علاقته بوالده متوترة على الدوام، فعلاوة على حدة طباع الأب؛ كان مشغولاً بنفسه وبعمله في البناء والتجارة والزراعة، وبمشاكله المالية التي زادتها تقلبات الأوضاع الاقتصادية في ذلك الوقت. ومن ناحية أخرى توثقت العلاقة بين الصبي والت وبين أجداده لأبيه وأمه، الذين كانوا يقصون عليه حكايات الثورة الأمريكية وحرب التحرير، وأمجاد واشنطون وآدمز وجفرسون وغيرهم من الشخصيات الأمريكية المهمة.

وتنقلت الأسرة إلى أماكن عديدة في نيويورك تبعاً لأعمال الأب ومشروعاته في بناء البيوت وبيعها بعد ذلك، خصوصاً في بروكلين التي كانت منطقة واعدة بالتطور والتوسع. بيد إن عدم الاستقرار المالي اضطر الصبي والت إلى ترك الدراسة وهجر المدرسة حين كان في الحادية عشرة من عمره، ليعمل في مكتب للمحاماة كي يزيد من دخل الأسرة التي نمت احتياجاتها بمجيء العديد من الإخوة والأخوات تباعاً. وقد حظي برعاية أصحاب مكتب المحاماة الذي عمل به، فأحاطوه بعنايتهم وقاموا بتدريبه على الكتابة بأسلوب حسن وطوروا لغته، ودفعوا له اشتراكاً في المكتبات المتنقلة التي كانت منتشرة أيامها، مما مكنه من قراءة الكثير من الكتب الأساسية التي بذرت في نفسه حب القراءة والكتابة، وكان أبرز تلك الكتب ترجمة ألف ليلة وليلة التي ذكر ويتمان فيما بعد أنه كان لها أبلغ الأثر في إذكاء مشاعره وخياله.

ومنذ ذلك الحين، وبعد أن ترك العمل في مكتب المحاماة، تنقل والت ويتمان في أعمال كثيرة متنوعة، فعمل منضد حروف في الطباعة، ثم شارك في تحرير سلسلة من الصحف التي تكاثر صدورها في تلك الحقبة من الفوران السياسي والاجتماعي، وساهم فيها بمقالات اجتماعية وسياسية، وأيضاً بقصص وقصائد، وإن كانت من النوع التقليدي، ويغلب عليها النزعة التعليمية، ولا تنبئ بحال عن النقلة الهائلة التي سيخطها الشاعر بعد ذلك مع ديوانه الذي أصبح علامة فارقة في تاريخ الشعر الأمريكي والعالمي.

وقد بدأت آراء ويتمان تتشكل منذ ذلك العهد المبكر، فقد ترعرع في ظل أسرة تؤمن بالمبادئ الديمقراطية وحرية التفكير، والإيمان بالمثل التي جاء بها الآباء المؤسسون للوطن الأمريكي. ولذلك ربط ويتمان نفسه دائماً بأفراد الشعب، خصوصاً الطبقات العاملة والمهمشة، وأصبح نصيراً لقضايا الضعفاء والمنبوذين. وتأثر الشاعر بما كان يقصه أبوه من خسارته للأموال بسبب استغلال رجال الدين له في المضاربة على صفقات خاسرة، لذلك نجده قد أصبح (ربانياً) يؤمن بالله الذي يدبر شؤون الكون والخلائق، ولكنه يأخذ من الأديان فضائلها الأخلاقية، وإن لم يكن بالضرورة يتعامل مع القسس والمؤسسات الدينية.



وقد عمل بالصحافة خلال الفترة من 1831 حتى عام 1845، إما بالاشتراك في التحرير أو رئاسة تحرير الصحيفة، وكثيراً ما كانت صلته تنقطع مع تلك الصحف نتيجة آرائه المتحررة الجريئة التي لا تتفق مع توجهات الصحيفة، أو تثير حنق القراء المحافظين. وقد زار ولايات: لويزيانا وبنسلفانيا، ووست فرجينيا، وميريلاند، وأوهايو، وكنتكي، وميسيسيبي. وأيقظته تلك الزيارات على مدى رحابة الأمة الأمريكية، واتساعها، وإمكاناتها الهائلة، والتنوع الثقافي والعرقي الكبير، وانصهاره في شخصية أمريكية متفردة. وقد تمثل إدراكه لكل ذلك في قصائده.

كما شارك في الأنشطة السياسية، متحالفاً مع الجماعات الليبرالية التي تدعو إلى التقدم والحرية في كل صورها، خصوصاً إلغاء الرق وتحرير العبيد، وهو ما كان على رأس القضايا أيامها.

وخلال تلك الفترة اهتم ويتمان بتيارين كانا قد شاعا في تلك الفترة، الأول هو علم الفراسة phrenology، الذي يقوم على معرفة شخصية الإنسان وقدراته العقلية من شكل جمجمته ورأسه ووجهه. وشارك ويتمان في دراسات هذا العلم، وقرأ عنه، وأخضع نفسه لتحليل علمائه، وتأثر بنظرياتهم. كذلك أغرم شاعرنا بعلم المصريات EGYPTOLOGY وتاريخ مصر القديمة وحضارتها، وهو الموضوع الذي أصبح (موضة العصر) في أوروبا وأمريكا في تلك الفترة التي أعقبت فك (شامليون) لرموز حجر رشيد وغيره من العلماء لطلاسم اللغة الهيروغليفية، وترتب على ذلك الكشف عن معلومات موثقة عن مصر القديمة وحضارتها وثقافتها ومعتقداتها الدينية. وبالإضافة إلى الكتب التي طالعها ويتمان عن مصر الفرعونية؛ تعرف بعد ذلك على الدكتور هنري أبوت مدير المتحف المصري في نيويورك، وكتب عدة مقالات تبرز معرفته واطلاعه على حضارة الفراعنة، وقد تضمنت قصائده من ديوانه (أوراق العشب) رموزاً عديدة وصوراً فخمة عن الإله المصري القديم (أوزوريس) وقدرته في الخصب.

كما اطلع على فروع متعددة من العلوم مثل: السلالات، والفلك والجيولوجيا، وتطور العنصر البشري، وحضر محاضرات عن الموضوعات السابقة. وقد تبدى الكثير من المعلومات التي تشرّبها في شعره اللاحق، وبخاصة الأفكار الكونية والكواكب والشهب، والمعلومات الجغرافية عن البلاد والشعوب في القارات المختلفة. كما طالع مؤلفات: دانتي وشيكسبير وسبينوزا وملتون وجونسون وبيرنز وسكوت وديكنز وكانط وكارليل وكولردج وشيللي وكيتس، علاوة على قراءاته في الهندوسية والبوذية والطاوية والإسلام.

وقد صدرت الطبعة الأولى من (أوراق العشب) في 4 يوليو 1855 في بروكلين على نفقته الخاصة، وكان الديوان يضم اثنتي عشرة قصيدة، ومقدمة ضافية عن فن الشعر. وفي قلب الديوان قصيدته الطويلة بعنوان (أغنية نفسي) المكونة من 52 مقطعاً، والتي تعتبر الركيزة التي صاغ فيها الشاعر أفكاره عن الإنسان والوجود والكون والعلاقات بين المخلوقات، وآرائه عن وحدة الجسد والروح، وكانت سبباً في هجوم خصومه من النقاد عليه، لما تبدت فيها من صور حسية لم تكن مألوفة في كتابات ذلك العصر. وشكلت نقلة نوعية كبيرة في التأليف الشعري.

كان ويتمان ينظر إلى النشاط الجنسي بوصفه نشاطاً طبيعياً يشكل جزءاً من الحياة.. ولذلك تغنى في شعره بعملية التوالد في الطبيعة والأجناس بكل صورها وأشكالها



أولع ويتمان منذ صباه بالتجوال في الحقول وصيد السمك والجلوس على شاطئ المحيط يرقب نوارس البحر في طيرانها الخفاق

ولم يقتصر تجديد ويتمان على مضمون قصائده، بل تعداه إلى الشكل، إذ ترك لخياله وقلمه العنان دون التقيد بالوزن والقافية، وابتدع لنفسه أسلوباً خاصاً به حتى في طريقة تهجئة الكلمات وقواعد الترقيم والتكرار المقصود والإكثار من العبارات الاعتراضية التي كثيراً ما يسطرها بين قوسين في وسط القصيدة.

وفي الطبعات اللاحقة أضاف ويتمان للديوان مجموعتي: (كالاموس)، و(بنو آدم) التي صورت العلاقات العاطفية والحسية بصورة جريئة. وكان ويتمان ينظر إلى النشاط الجنسي بوصفه نشاطاً طبيعياً يشكل جزءاً من الحياة، ولذلك تغنى في شعره بعملية التوالد في الطبيعة والأجناس بكل صورها وأشكالها. وقد خلع ويتمان على الحب بمختلف أشكاله ومعانيه ظلاً صوفياً بلغ به مرتبة عالية من دقة التعبير والتصوير في قصائده عن طريق الصور البلاغية ذات الأسلوب الخاص به.

وعندما نشبت الحرب الأهلية الأمريكية التي كانت تختمر منذ سنوات بسبب مشكلة الرق؛ كان ويتمان من أشد دعاة إلغاء الرق وتحرير العبيد، وقد زار جبهة القتال وشاهد المقاتلين يسقطون، وساعد الجرحى في المستشفيات، وشهد المحتضرين يموتون بين يديه، وعمقت تلك المشاهد الأليمة من وجود تيمة الموت في قصائده، فقد شاهده وعاينه عن قرب كل يوم.

وفي مقابل فكرة الموت، تعمقت أيضاً فكرة الحب في قصائده. فبعد أن كان الحب ذاتياً منعكفاً على ذاتيته؛ اتسع مجاله وأصبح أكثر شمولاً، بل أصبح عالمياً له أبعاد أسطورية. وهكذا اتخذ الشاعر وضع (المداوي) للروح والجسد، ولكل الأرواح الوحيدة التي تنشد العافية والحب. وقد نشر ويتمان قصائد الحرب الأهلية بعنوان (دقات الطبول) عام 1856، عبارة عن 53 قصيدة، ثم نشر القصائد في الطبعة الرابعة من (أوراق العشب).

وكان عام 1873 عاماً قاسياً على شاعرنا، إذ أصابته في مطلعه جلطة دماغية أقعدته عن الحركة، وأرجع بعض الأطباء سبب الجلطة إلى تراكم مواد سامة وفيروسات تعرض لها أثناء زيارته للمستشفيات خلال الحرب الأهلية، بينما رأى أطباء آخرون أن سببها هو الاضطرابات الانفعالية التي كان ويتمان عرضة لها على الدوام. وقد زاره الكاتب الإنجليزي الشهير أوسكار وايلد الذي ترك في نفسه أثراً بالغاً، وقد تبادل الأديبان النقاش العميق حول النظريات الجمالية لوايلد، التي كان ويتمان يختلف معه في بعضها.

وجاءت النهاية في 26 مارس 1892 بعد إصابة الشاعر بالحمى وانسداد في رئته اليمنى. وتوافد الآلاف على المنزل لإلقاء نظرة الوداع الأخيرة على جثمانه. وفي الجنازة تمت تلاوة نصوص من كونفشيوس، وبوذا، والكتاب المقدس والقرآن الكريم. لقد نجح ويتمان في تغيير مسار الشعر الأمريكي والشعر العالمي.

ماقل ودل

كلمات



سعد البواردي

ضاق العدل ذرعاً وقد تحول الحب إلى حرب.. واللغة إلى لعنة ونفاق.. والعقيدة السمحة إلى مصالح ذاتية لا إنسانية.. وسلامه إلى استسلام غيره دون قيد أو شرط.

وضاق العقل ذرعاً بمن تفكيره في تكفيره.. وإرادته في تدميره محكومة بإدارة رعناء لا تعترف إلا بنفسها وبنرجسيتها دون سواها من سائر خلق الله.. الحياة في قاموسه كراهية وقتل.. وفقدان عقل.

•••

الامتهان، والارتهان الواحد منهما أسوأ من الثاني.. كيف؟!

الامتهان نقيصة تعني السخرية، والازدراء.

والارتهان عملية تملّك واستحواذ لا تخلو من قسر، وقهر.

•••

تدخّل روسيا في سوريا دعماً لنظام الأسد الذي مازال قائماً والذي أدى إلى قتل الأطفال والرجال والنساء تحت ادعاء ودعاية محاربة داعش، هو بمثابة جريمة حرب تحرّمها القوانين الشرعية والوضعية والبشرية..

ما علاقة روسيا بسوريا إن لم تكن في سياق الاستعمار الجديد.. وفي السباق بين الكبار للسيطرة والهيمنة وتقاسم مناطق النفوذ الإستراتيجية في المياه الدافئة وما تحمله من ثروات طائلة؟!

•••

مؤشر خطير لا يبشر بخير.. وإنما يزداد سوءاً ومرارة..

ثمانية في المئة من سكان هذا الكوكب الأرضي الذي نعيش عليه متخمون بما يملكون من ثراء فاحش. وبالمقابل ستة ملايين من الفقراء المعدمين يموتون جوعاً كل عام.

خير الشيء الوسط، فلا متخم ولا معدم، وإنما بين بين. أي لا يموت الذئب ولا تفنى الغنم.

رسومات الحج

فن التعبير الشعبي المصري عن الرحلة المقدسة







مجدي إبراهيم: مصر

غالباً ما يصاحب السفر والترحال للحج عند المصريين ضجيج واحتفالات لتوديع الحُجّاج، تتخلّلها أغاني الحج للمطربين والمطربات: أم كلثوم، محمد الكحلاوي، ليلي مراد، ياسين التهامي. هذا فضلاً عن سقاية العصائر والشربات لزوار الحاج أو الحاجة، واصطحابه في مواكب احتفالية بالطبول والمزمار والإنشاد الديني.

أمّا العودة من الحجّ فلها تقليد شديد الخصوصية، يُبرز معاني الاحتفاء بالعائد إلى داره، بعد أداء هذه الفريضة. فعند حدود القرى الريفية، وبالقرب من نهايات شوارعها الواصلة إلى الطرق الرئيسة الكبرى؛ يتبارى الأصدقاء والأقارب في التعبير عن فرحتهم من فوق صهوات جيادهم، رافعين الأعلام البيضاء، ليكونوا أول المستقبلين، يستعرضون مهاراتهم فوق الطرق الترابية، ترافقهم طلقات الرصاص التي تندلع من الأسلحة النارية الصغيرة في الهواء، معلنة عودة الحاج سالماً إلى داره. وقبلها يتفنّن أهل الحاج في الاحتفال بوصوله بتكليف فنانين موهوبين للرسم على جدران بيته رسوماً مُعبّرة عن طقوس شعائر الحجّ.



رحلة الحج من أعظم التجارب في حياة المسلم.. وهي تمثل بالإضافة إلى أداء الواجب الديني نوعاً من الأبّهة الاجتماعية

رحلة الحجّ ومفردات الثقافة الشرقية

تُعدّ رحلة الحجّ إلى مكّة المكرّمة من أعظم التجارب في حياة المسلم، لأنها تُعتبر إنجازاً شعيرة تحض عليها آيات من القرآن الكريم، بشرط أن لا يترتّب على القيام بها مصاعب أو مضار تنعكس سلباً على أسرة الفرد الذي عزم على القيام بها، لهذا يقوم غالبية المسلمين برحلتهم هذه في أواخر سنوات عمرهم، عندما تكون ظروف الأسرة المالية قد أصبحت أكثر يسراً واستقراراً وأمناً، وبالنسبة إلى السيدات عندما يكون الأولاد قد أضحوا أكثر استقلالاً في حياتهم عن أُمّهاتهم.

ومن هنا يمكن القول إن رحلة الحجّ تُمثّل بالإضافة إلى أداء الواجب الديني نوعاً من الأُبّهة الاجتماعية. إنها تؤكد أن ربّ الأُسرة قادر على تلبية الحاجات الأساسية لأسرته، أو أن هذا الشخص بمعنى آخر قد بلغ مرحلة من النجاح في حياته الشخصية تؤهله للقيام بواحدة من التكليفات التي فرضها الله عليه.

«المجلة العربية» تعرض مجموعة من الصور وفق رؤية فنية ذات مغزى، لأنها من وجهة نظر مُبدعي رسومات الحجّ -كما تفرضها مفردات الثقافة الشرقية- تعكس عرضاً واقعياً لمدى التغيير الذي لحق بحياة الحُجّاج من أبناء المجتمع. ذلك لأن تقليد إبداع الرسومات التي تُعبّر عن أروع اللحظات في حياة الأفراد؛ مظهر قديم من مظاهر الحياة في وادي النيل، فمثل هذه الرسومات كانت تشير قديماً إلى معانٍ مهمة ضمن التعبير الجماهيري الذي وضع أصوله ملوك الفراعنة حين قاموا بعرض مشاهد من انتصاراتهم فوق جدران نُصُب تذكارية قاموا بتشييدها، كما فعل رمسيس حين أمر بتسجيل انتصاراته فوق لوحات معبد (أبو سمبل) جنوب مصر بالقرب من منطقة النوبة.

من الصعب الإشارة إلى رسومات الحجّ التي زيّنت بعض المنازل ثم زالت سريعاً، لكننا على ثقة من أن مثل هذه التجارب غير الناجحة هي التي فتحت الباب أمام تجارب أخرى ناجحة للمبدعين الذين جاؤوا من بعدهم ودام بعضها لعشرات السنين، ربما يكون التعبير عن تجربة روحية، عن طريق رسم مشهد من مشاهدها فوق جدار منزل أحدهم أمراً غريباً عند أبناء الحضارة الغربية.

القوة الدافعة وراء الرسومات

تؤكد المصوّرة الأمريكية آن بارك **Ann parker** صاحبة مجموعة صور (رسومات الحجّ) قائلة:

المرة الأولى التي لمحت فيها عيني بنظرة خاطفة عبر نافذة القطار رسماً من هذه النوعية، كانت منذ عام 1985م عندما كنت مسافرة من القاهرة إلى أسوان بالقطار السريع، لقد بُهتّ بمرأى هذا الجمال البسيط المفعم بالحياة، والذي يتحدى الزمن فوق حائط بيت من بيوت قرى الريف المصري النائية، وبعدما تعرّفت على القوة الدافعة التي تقف وراء هذه الرسومات، لم أقدر على مقاومة نداء تعريف العامل الخارجي بها، لقد اقتنعت بأنها فن تقليدي شعبي له تاريخ استثنائي. رسومات الحجّ كما يُسمّونها، يُقصد من ورائها تخليد شعيرة الحجّ أو رحلة الزيارة المقدّسة إلى مكّة المشرّفة.

وبعدما توسّع البحث الذي أقوم به اكتشفت أن لديّ كنزاً من الصور التي طبعتها يفوق بمراحل كل توقعاتي الأصلية. إن تسجيل اللوحات التي تُعبّر عن التقاليد الشعبية يُثير شهية الباحث بطبيعته، لذا كلما غاص الدارس في عمق الموضوع وجد الفن ذاته يواصل تعميق رسالته.

بالنسبة لي كلما عدت إلى مصر وجدت حشداً من الرسومات الطازجة التي قام بها فنانون مشهورون وفنانون غير معروفين، تلك الحقيقة مكّنتني من أن ألاحظ عبر السنين عدداً من الفنانين عديمي التجربة وهم يطوّرون من أسلوبهم الفردي مع كل موسم حجّ يمرّ عليهم، ويحزنني كثيراً أن واحداً من الرسّامين المبدعين الذين كنت أسجل أعمالهم توفي في مقتبل العمر قبل أن تتاح لي فرصة اللقاء به مطولاً، وأنا أعتقد أن فقده مثّل حينئذ خسارة كبيرة للفن الشعبي على مستوى العالم، مما جعلني أحزن عليه نظراً لبراعته في رسم العديد من جداريات الحجّ المبهرة، إلى جانب ذلك عثرت في أثناء تجوالي في محافظات مصر على بقايا رسومات غاية في الروعة، جعلتني أندم أشدّ الندم أنني لم أبدأ بحثي هذا حول



الفن الشعبي القابل للاندثار في فترة مبكرة، وغني عن القول أن الترحال عبر الريف المصري ليس أمراً سهلاً، هناك دائماً إلى جانب ما يثبط الهمة، معوّقات لا حصر لها: درجة حرارة الشمس يمكن أن تكون موجعة، كما أن ذرّات التراب وحبيبات الرمال يمكن أن تغطي كل شيء، ممّا يتطلّب توفير أقصى حماية لأجهزة التصوير. وندرة رسومات الحجّ على حوائط بعض المنازل التي زرتها في عدد من أقاليم مصر حيّرتني كثيراً، حتى أدركت أن بعض هذه القرى يسكنها غالبية من المسيحيين، لذلك إما أن يكون بقية سكانها من المسلمين غير القادرين على مواجهة تكاليف رحلة الحجّ إلى مكّة، أو أن مَنْ قاموا بها منهم لم يوفقوا في العثور على الفنان القادر على أن يسجل لهم رحلتهم العظيمة هذه إلى مكّة المكرّمة.

على الرغم ممّا تعرّضنا له من تجارب قاسية ومحن كثيرة، كان هناك دائماً التعويض المُفرح، فليس هناك أكثر إثارة للأحاسيس من مشاهدة مجموعة من المنازل التي تُزيّنها رسومات الحجّ بعد طول بحث.

رسومات الزينة الرمزية وذكريات الحجّ

بقي أن نوضح أن رسومات الزينة الرمزية هذه التي تسجل ذكريات الحجّ يطلق عليها (رسومات الحجّ)، أمّا البيوت التي تُزيّن بها تُسمّى بيوت الحجّاج، من منطلق أنها تخصّ المسلمين الأكثر ورعاً الذين سافروا إلى مكّة لأداء فريضة الحجّ، هؤلاء الحُجّاج موجودون في كل مكان على أرض مصر في المدن والواحات والمجمّعات الريفية، أمّا نماذج (الرسومات) الأكثر طرافة فيُمكن العثور عليها في قرى الريف المصري على امتداد نهر النيل.

هذه الجداريات التي تمتاز بالحيوية والتي أبدعها في الغالب فنانون علّموا أنفسهم بأنفسهم؛ تؤسس لظاهرة فن شعبي، يُعدّ بكل المقاييس رصيداً مضافاً لشجرة الفنون في هذا البلد العظيم، لأنها خاصية يتفرّد بها الريف المصري، كما أنها تعكس رؤية الفنان الفاحص للمجتمع أينما وُجد. وعلى الرغم من وجود رسومات الحجّ مبعثرة في عدد من البلدان الإسلامية الأخرى؛ فإن هذه الرسومات تقع في مرتبة متأخرة جداً عند مقارنتها بنظيراتها من الرسومات المصرية، مما يبرهن على أن المصريين يهيمنون بقوة على هذه الظاهرة المرتبطة برسومات الحجّ.

الرسومات الرمزية التي يُنفّذها رسّامون، ذوو ذوق وحساسية وعلى دراية؛ غالباً ما تحكي قصة الحجّ بأسلوب راقٍ في الرسم، وإذا أوحت مجموعات من الرسومات للعين المُدقّقة في بعض الأحيان بالتماثل في المحتوى أو الشكل الخارجي، أو اتّسمت بنفس أسلوب التصميم وفنية توزيع درجات اللون ومستوى الحرفية؛ فالاحتمال الأكبر أنها نُفّذت بمعرفة فنان واحد، لذلك لاحظنا أن معظم القرى لديها شخص واحد مستعد دائماً بما لديه من ألوان وأدوات أن يُلبّي رغبات قاطنيها.

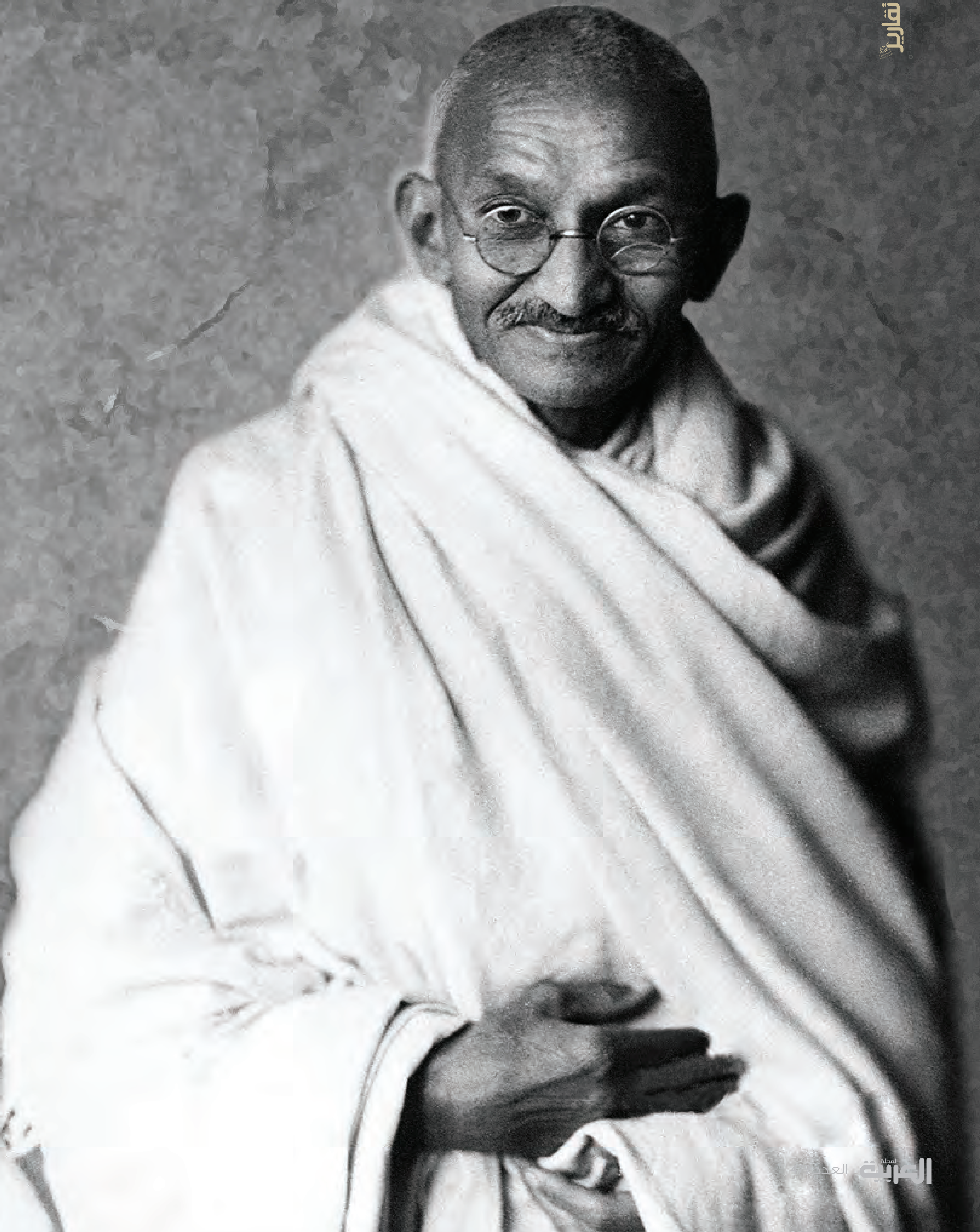
رسّامو بيوت الحُجّاج غالباً ما يكونون مُبجّلين بين أبناء المجتمعات التي يعيشون بينها، وإذا ما تحقّقت لهم السُمعة الطيبة، تعاقد معهم الكثيرون لتنفيذ رسومات متنوّعة بكلمة ينطقها اللسان.

ليست حرفة جوّالين

إن مهنة إبداع رسومات الحجّ ليست حرفة جوّالين، لذلك عادة ما يُقيم الفنان في نفس المنطقة المحلية التي يُنفّذ فيها إبداعاته، وهذا يُفسّر ظاهرة أن معظم مَنْ وجدناهم متخصّصين في هذا المضمار مدرسون بحكم الوظيفة، وأن بعضهم برع في تصميم الإعلانات التجارية، والبعض الآخر تفوّق في طلاء المنازل بالأسلوب التقليدي المتعارف عليه في الريف المصري، وكما في أي من الحركات الفنية المعروفة، يُلاحظ بين فنّاني رسومات الحجّ مَنْ يفتقد الأسلوب الفني المتميز، ومَنْ يتعايش مع قدراته التخيلية المحدودة؛ بينما يتمتّع آخرون بالموهبة الفذّة، وكلهم من الرجال على اعتبار أن احتراف المرأة لمثل هذه الفنون أمر غير مستحبّ. وعلى الرغم من أن الرسومات يُقصد بها الاحتفاء بعودة الحاج إلى بيته، فإنها تُعمّر طويلاً بعد انتهاء الاحتفالات، ولذلك نراها تُغطّي حوائط المنازل الخارجية برسومات تعكس ذكريات تجربة رحلة دينية يقوم بها المسلم مرة واحدة في حياته، وفي بعض الأحيان تُزيّن حوائط البيت الداخلية إلى جانب واجهته الخارجية.

رسومات الحجّ البسيطة كما ينظر إليها العالم، تعكس التقدير والعرفان الذي تعنيه الرحلة الإيمانية بالنسبة للشخص ولعائلته ومجتمعه، وعندما تحين عودة الحاج سالماً يتم الترتيب لإقامة وليمة كبيرة تعبيراً عن المناسبة السعيدة، تضم جمعاً غفيراً من الجيران إلى جانب الفرقة الموسيقية والراقصين، حيث تقدم الكثير من الأطعمة والمشروبات التي تطفئ الظمأ. لمَ لا، وهذا اليوم يُعدّ من أسعد أيام الحاج؟! لأنه يؤرّخ لعودته إلى منزله سالماً معافى. هذا الحاج الذي يتمتّع فور عودته بالاحترام من الجميع، يتميز بيته عن بيوت الآخرين بالرسومات التي تعلن لكل مَنْ يراها أنه قام بأداء ركن مهم من أركان الدين الإسلامي.

التعبير عن تجربة روحية عن طريق رسم مشهد من مشاهدها فوق جدار منزل أمر غريب عند أبناء الحضارة الغربية



غاندي

الثائر الذي بهر العالم بفلسفته

جميلة محمد المحمد: سوريا

ولد الزعيم الهندي (كرمشاند غاندي)، الملقب بـ(الماهاتما)، أو صاحب النفس العظيمة؛ في 2 أكتوبر/تشرين الأول، سنة 1869م، في بلدة تدعى (بورباندر)، وتعني المدينة البيضاء، وهي إحدى الإمارات الساحلية الواقعة في مقاطعة (كوجارات) شمال غرب الهند. ينتمي (غاندي) إلى عائلة هندوسية محافظة، لها باع طويل في العمل السياسي، وتصنّف من طبقات التجّار المرموقة في البلاد. عمل والده عضواً في محكمة (راجستايك)، ثم شغل منصب رئيس وزراء الإمارة. تعلّم منه غاندي الصدق في كلّ شيء، وورث عنه تعفّفه عن الملذات، والصلابة في مواجهة مشكلات الحياة. والدته تدعى (بوتلي باي)، كان شديد التأثّر بها، وهي التي استمدّ منها الكثير من طباعها وسماتها الروحية. تزوج في سنّ مبكرة (الثالثة عشرة) طبقاً لتقاليد وأعراف المجتمع الهندوسي، ورُزق من زوجته (كاستورباي) أربعة أولاد، وقد وصفها في مذكّراته الشخصية بأنها أهمّ إنسان في حياته.

غاندي: اللاعنف هو أعظم قوّة متوافرة للبشرية.. إنه أقوى من أفتك سلاح دمار تم تصميمه ببراعة الإنسان

تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة البلدة، ثم انتقل إلى مدرسة (راجكوت) حتى سنّ العاشرة، ومنها إلى مدرسة (كاتيافار) التي ظلَّ فيها حتى السابعة عشرة، ليلتحق بعدها للدراسة في (أحمد آباد). وكان طوال فترة دراسته الأولى طالباً عادياً من حيث تحصيله العلمي، ولم يكن أحد يعلم بأن هذا الرجل سيُدهش العالم بأخلاقه ومواقفه الإنسانية النادرة. سافر (غاندي) إلى لندن لدراسة الحقوق عام 1888، وكان عمره تسع عشرة سنة، وعاد منها بعد إتمام دراسته الجامعية التي خوّلته لممارسة مهنة المحاماة عام 1891، وخلال مدّة وجوده هناك شاهد أشكال التمييز العنصري الذي كان قائماً على أشده، لدرجة كان المتطرفون الإنجليز يمنعون الهنود من السير على الأرصفة. والأنكى أن هذا التمييز لم يكن يقتصر على المملكة المتحدة، وإنما كان يشمل جميع المستعمرات الخاضعة للتاج البريطاني، وفي هذه الأثناء بدأت ملامح شخصية غاندي الثورية بالظهور والتبلور.



حياته في جنوب أفريقيا وبدء مسيرة النضال

بعد أن أنهى دراسته الجامعية لم يتمكّن من ممارسة المحاماة في بلاده بشكل يضمن له العيش الجيد، فسافر إلى (جنوب أفريقيا) في مهمة قضائية عام 1893. وهناك رأى بعينه التفرقة العنصرية والمعاملة غير الإنسانية التي كانت تمارس ضد الهنود، وحدث أن مرَّ هو نفسه بتجربة مريرة، حيث أُهين وطُرد من أحد القطارات، لأنه حجز تذكرة في الدرجة الأولى، فطالبوه بالعودة إلى عربات الدرجة الثالثة، كونه ليس من البيض، الأمر الذي ولّد في نفسه براكين من الأسى وأجّج فيها الرغبة في تغيير الواقع، كما فتح عيونه على ما يجري في بلده الهند (درّة التاج البريطاني). وخلال فترة إقامته في جنوب أفريقيا، والتي استمرت حوالي 22 عاماً، تمسّك بحقوق العمال الهنود المقيمين هناك، ولم يتخل عنها أبداً، وقد أنشأ صحيفة «الرأي الهندي»، وأسّس حزب «المؤتمر الهندي لناتال»، لهذا الغرض.

وكان يندِّد بالتفرقة العنصرية التي تمارس ضدهم، ويطالب بحقوقهم في المساواة والعيش الكريم، وكثيراً ما كان يُسجن ويتمّ الاعتداء عليه، ويتعرّض للضرب -أحياناً- بسبب مواقفه هذه، حتى أوشك أن يُعدم إعداماً تعسفياً، لكن كلّ ذلك لم يمنعه من المناداة بحقوق أبناء جلدته، والتنديد بالممارسات العنصرية ضدهم، متبعاً أسلوب الاحتجاج السلمي والعصيان المدني، ومن وراءه كلّ أبناء الجالية الهندية التي سرعان ما التفّت حوله، وظلّت ملتزمة بتعاليمه ووصاياه.

نضاله في بلاده الهند

نتيجة للسياسات العنصرية لبريطانيا، والتي كان يتعرّض لها شخصياً، قرَّر غاندي مواجهة الاحتلال الذي كان يعبث في أرض الهند فساداً، ويحتكر ثرواتها، حتى أصبح جلّ أبنائها يعيشون تحت خط الفقر. فمع عودته من جنوب أفريقيا عام 1914، تزعّم الحركة الوطنية الهندية، وقاد حملتها التحرّرية، عن طريق ممارسة العديد من الأساليب السلمية كالمقاطعة والاعتصام والعصيان المدني، والتي كان يرى فيها طريقاً واضحاً لتحرّر بلاده. فبدأ ينشر مبادئه السلمية، بالعمل على الاستغناء عن السلع الإنجليزية، والاكتفاء بما هو ضروري للحياة، وفي غضون سنوات قليلة من العمل الوطني أصبح الزعيم الشعبي الأهمّ في الهند.

أثناء قيادته للحملة ضدّ الاستعمار البريطاني، رفض (غاندي) استخدام العنف رفضاً مطلقاً، وتمسّك بسياسة خاصة للوصول إلى الأهداف التي تبنّاها وعمل على تحقيقها. فأسّس فلسفة المقاومة السلميّة أو سياسة اللاعنف، والتي أطلق عليها: (ساتياجراها)، وهي المبادئ التي تقوم على مجموعة من الأسس الدينية والسياسية والاقتصادية، والتي تشكّل الشجاعة والحقيقة، واللاعنف قوامها. وتمتّع الخصم ببقية من ضمير، تمهّد لفتح حوار موضوعي مع الطرف الآخر؛ أهم شروط نجاحها، إلى جانب الصلابة المبدئية في المواقف، والتي لا تلغي المرونة التكتيكية أحياناً. من أساليب تحقيق السياسة التي انتهجها، وبهدف الحصول على المزيد من الصمود والثبات؛ الصوم أو الامتناع عن الطعام، وهو ما يمنحه القدرة على تغيير الواقع، بعد دراسته دراسة معمّقة. فكان يتخذ الصيام نوعاً من أنواع الاحتجاج على سياسات الاحتلال، ويعتبره وسيلة للتعبير عن رفضه للواقع الذي خلقه، ولمشاريعه العنصرية التي تكرّس التمييز، وبخاصة ضدّ فئات مقهورة من الهنود. كما كان يمارس الصوم حينما تشتغل المقاومة الوطنية





بطريقة تحمل العنف مع الأعداء، وأثناء الصراعات الأهلية بين الطوائف الدينية في الهند. ويذكر أنه في أحد الصراعات بين المسلمين والهندوس قرّر الصيام حتى شارف على الموت، الأمر الذي دفع الطائفتين لإنهاء صراعهما كما أراد.

كما كانت المقاطعة -إحدى سياسات المقاومة لدى غاندي- تنجح مراراً في تحقيق أهدافها المنشودة، فقد قرّر -مرةً- مقاطعة الأقمشة البريطانية، مما ألحق خسائر مادية فادحة بالمصانع البريطانية جراء هذه المقاطعة، حيث قام الشعب الهندي بإحراق كميات كبيرة من الملابس البريطانية تقليداً لزعيمهم الذي عرف بملاءته البيضاء المتواضعة، والتي كان يصنعها بنفسه من القطن أو الصوف. كان (غاندي) يؤمن بأنه في بداية المواجهة سيلتفّ حوله الكثيرون ممن يؤمنون بفكره ونهجه، لذا فالمطلوب أولاً: الثبات ثم الثبات ثم الثبات. ومع اتساع الفكرة وامتلاك الأساليب والأدوات سيكون قادراً على التغيير التدريجي للواقع وتحقيق النصر. وفي عمق هذه المعركة الوجودية، فإن الحرب بالنسبة له ساحة لا مجال للتراجع فيها، الخيار الوحيد هو المواجهة بالتصميم والإرادة، وهكذا تكون النتيجة النصر الحتمي دون أيّ احتمال للهزيمة، لأن من يدافع عن الحق سينتصر في النهاية. ولا يُهزم -في هذه المعركة- سوى الخائف والمتردّد. ظلّ (غاندي) يتذكّر هذا طوال مسيرته النضالية، فيقول: (في البدء يتجاهلونك، ثم يسخرون منك، ثم يحاربونك، ثم تنتصر).

أما سياسة (غاندي) مع شعبه، المتعدّد الأعراق والديانات، فقد كانت تقوم على عدم التمييز بين دين وآخر أو فئة طائفية وأخرى. فبالرغم من كونه هندوسياً، إلا أنه لم يكن يفرّق بين هندوسي أو مسلم، وبين سيخي أو مسيحي أو يهودي، وكان يدعو الهندوس -دائماً- إلى احترام حقوق المسلمين كمكوّن أساسيّ في البلاد، وكان يبذل الجهود العظيمة بهدف درء كلّ أشكال التوتر التي كانت تخرج في بعض المدن الهندية أوقات الأزمات، فكان أكثر ما يؤرّقه هو الوقيعة التي يحاول الاستعمار افتعالها بين مكونات الشعب الهندي، فيصوم عن الطعام كلما أوقدت شرارة للفتنة بين الهندوس والمسلمين، ولا يفطر إلا حينما يسمع بأن أعمال العنف قد انتهت، ولم يكن -الزعيم الذي جمع الهنود على اختلاف معتقداتهم- يعلم أنه سيكون ضحية التعصّب الأعمى.

مسيرة الملح

كانت السلطات البريطانية تشرّع لنفسها استخراج الملح الهندي، وتحصر تجارته بين شركاتها، في حين كانت تمنع تداول هذه المادة المنتجة محلياً، فأعلن (الرجل الثائر) رفضه لهذا القانون وتحدّيه له، حيث قاد مسيرة شعبية على مسافة (200) ميل، ضمّت آلافاً من الهنود، وتوجّه بهم إلى البحر لاستخراج الملح. دوّى صدى هذه المسيرة في العالم أجمع، وتحرّك الضمير الإنساني، فنجحت المسيرة في تحقيق أهدافها وبلوغ مراميها، رغم أن السلطات سجنت منظّمها، وحاولت معه مراراً للعدول عن رأيه، لذا فقد أوقعت فكرة (صناعة الملح الهندي) والتي فُرضت على السلطات البريطانية -بعد هذه المسيرة- في مأزق كبير، وأجبرتها على توجيه الدعوة إلى غاندي للتفاوض معه حول استقلال الهند في نهاية المطاف. كان مقتنعاً بأن نضاله سيقود إلى استقلال بلاده، وأنه ما من قوّة في العالم تستطيع الوقوف بوجه الزحف المقدّس نحو الحرية، حتى وإن كانت قوّة الإمبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس.

لقد قاد (المهاتما غاندي) بلاده نحو الحرية والانعتاق باقتدار، وأوصلها بفضل فلسفته التي قامت على المقاومة السلمية والعمل النضالي الشعبي إلى برّ الاستقلال الذي تحقّق عام 1947. وأثناء ذلك عرفت حركة المقاومة الشعبية، التي تزعّمها؛ انتشاراً هائلاً في مختلف أنحاء الهند، واستطاعت أن تنهي حقبة الاستعمار التي استمرت نحو ثلاثة قرون، وتنتقل إلى مرحلة جديدة من العمل السياسي الجماهيري. نعم لقد تحرّرت بلاده الهند التي أحبّها وأحبّته، وراحت تأخذ مكانتها الطبيعية بين الأمم

ظلّ غاندي يردد طوال مسيرته النضالية: (في البدء يتجاهلونك ثم يسخرون منك ثم يحاربونك ثم تنتصر)

والشعوب الحرّة، وأصبح اسم غاندي منتشراً في أرجاء العالم رمزاً للمقاومة ومناهضة الظلم والطغيان، بل بات يتردّد على كلّ لسان توّاق للحرية والانعتاق.

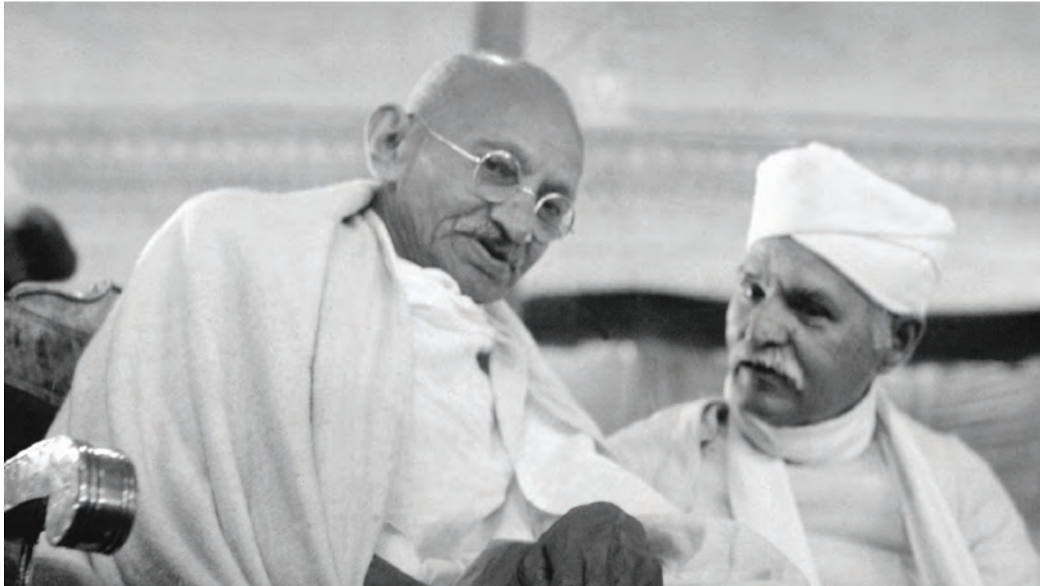
فلسفته وأخلاقه وإنسانيته

ارتكزت فلسفة (غاندي) على تبني سياسة المقاومة السلمية والعصيان المبرمج، إذ ليس بالسلاح القاتل وحده ينتصر الإنسان. وتقوم هذه «العقائدية السلمية» على عدد من الأسس التي تندمج معاً، وتشكّل صورة من أبهى صور المقاومة الشعبية ضدّ الظلم والاحتلال. يقول غاندي: (وحده اللاعنف قادر على استعادة الحقيقة). ويقول أيضاً: (إن اللاعنف هو أعظم قوّة متوافرة للبشرية، إنه أقوى من أفتك سلاح دمار، تمّ تصميمه ببراعة الإنسان). ويبيّن الكاتب عصام عبد الفتاح في كتابه (المهاتما غاندي.. محرّر المقهورين): الهدف من هذه السياسة -كما يرى غاندي- هو إبراز ظلم المحتل من جهة، وتأليب الرأي العام على هذا الظلم من جهة ثانية، تمهيداً للتخلص منه. كما ارتكزت فلسفته على أن قيمة الإنسان الحقيقية لا تكمن في لونه أو جنسه أو عرقه، وإنما في ذاته وفي القيم التي يحملها، وأنه يمكن له أن يبلغ قلب الحرية عن طريق المقاومة الروحية، وثالوثها المتمثّل بالصمود والثبات والحبّ. وكان يقول دائماً: (حارب عدوّك بالسلاح الذي يخشاه، وليس بالسلاح الذي تخشاه أنت)، أي بالمحبة ونشر السلام. لقد قيّدوه وسجنوه وضربوه مراراً، لكنهم لم يفلحوا في حجر أفكاره والقضاء عليها، لأنها سرعان ما كانت تتوسّع وتنتشر كالنار بالهشيم.

كان إنساناً على قدر هائل من التضحية، ومستعداً لها في أية لحظة، وبالمقابل لم يمتلك ذرة استعداد للقتل. وكان أسلوب حياته وطريقته في التعاطي مع الآخرين تقوم على الحبّ بأعمق أشكاله وأقصى حدوده. يقول: (أنا مستعد لأن أموت، ولكن ليس هنالك أي داع لأكون مستعداً للقتل). كان صاحب شخصية فذّة، ظلّت تؤمن بالنصر وتبشّر به على مدى خمسين عاماً أو يزيد، حتى تحقّق بأبهى صوره وأشكاله. لقد وهب حياته لنشر المحبّة والسلام، عاش ومات من أجل كرامة شعبه باختلاف طوائفه، فاستقر في الذاكرة الجمعية، وتحوّل إلى بطل قومي وروحي، واستحق لقب بطل الهند العظيم بكلّ جدارة، ومن يقرأ سيرته النضالية، ويطّلع على تفاصيل حياته الممتزجة بتفاصيل حياة شعبه؛ يدرك مكامن هذه العظمة وأسرارها. كان غاندي صاحب إرادة قوية، لا تحطّمها لحظات اليأس أو الفشل الطارئة، وصاحب صبر لا يعرف المستحيل، كان يبحث عن نصر دائم لا يزول ولا يمحى أمام تقادم السنين، فيقول: (إن النصر الناتج عن العنف هو مساوٍ للهزيمة، إذ أنه سريع الانقضاء). وكان يؤكد على أن سياسة «العين بالعين» تجعل العالم أعمى بأكمله.

كان (غاندي) ذا حسٍّ بشري مرهف، ونزعة إنسانية عميقة، وصاحب إيمان وعزيمة صادقة بانتصار القيم النبيلة كالحبّ والخير والجمال، كان يقول: (أين يوجد الحبّ توجد الحياة). وكان يخشى حرمان الآخرين منه، فيقول أيضاً في عبارة عميقة ترسّخت في الذاكرة الإنسانية: (إن حرمان شخصٍ من حريته الطبيعية

كان غاندي يؤمن بأنه في بداية المواجهة سيلتفّ حوله الكثيرون ممن يؤمنون بفكره لذا المطلوب أولاً: الثبات ثم الثبات ثم الثبات





بعض ما قِيل في غاندي

- شاعر الهند العظيم: (رابندرانات طاغور): (لقد جاء المهاتما غاندي فوقف على عتبة الأكواخ التي تضمُّ الملايين من أبناء الإنسانية المحرومين، مرتدياً لباسهم، ومحدّثاً إيّاهم بلغتهم).

- (برتراسل): (لا نزاع في أن غاندي كان رجلاً عظيماً سواء في قوّة شخصيته، أو في أثره السياسي).

- (طه حسين): (أبلغ درس ألقاه غاندي على الإنسانية المعاصرة والمستقبلة، هو هذا الإيمان الخالص الواثق بعميق الحرية التي لا سبيل إلى أن يقهرها البغي، أو يضائل منها الطغيان، أو تغضّ منها القوّة، مهما كان البغي والطغيان والقوّة).

وإنكار أسباب راحته العادية هو أسوأ من تجويع الجسد، إذ أن ذلك تجويع للروح القاطنة في الجسد). كان منفتحاً على الثقافات البشرية، ومؤمناً بتلاقحها وأهمية انتشارها، ويعتبر أن الإنسانية هي أهم القواسم بين البشر على الإطلاق، وفي الوقت نفسه كان يرفض أن تذوب ثقافته في بوتقة الثقافات الأخرى، لذلك اكتسب احترام وتعاطف العالم كلّه مع قضيته الإنسانية العادلة، فيقول: (أنا لا أريد أن يكون منزلي محاطاً بجدار من كافة النواحي، ولا أريد أن تكون نوافذي مسدودة، أريد أن تكون ثقافات كافة البلدان منتشرة حول منزلي بحرية، ولكني أرفض أن أُنسَف من قِبل أيّ منها). قرأ (غاندي) القرآن الكريم، وأعجب بشخصية النبيّ محمّد (صلى الله عليه وسلم)، وبخاصة بعدما قرأ كتاب (الأبطال) لـ(كارليل). وقد خلّف العشرات من المؤلفات، جميعها باللغة الهندية، تُرجم عدد منها إلى العربية، ككتابي: (قصة تجاربي مع الحقيقة) و(الحكم الذاتي للهند).

وفاته

في يوم 30 يناير/ كانون الثاني، عام 1948، تلقى جسد غاندي الناحل رصاصات ثلاث من مسافة قريبة، استقرت إحداها في صدره، وقد جاءت هذه الطلقات على يد أحد المتعصبين الهندوس، وهو أحد المحرّرين بجريدة متطرفة لم تكفّ يوماً عن اتهام (الرجل العجوز) بخيانة قضية الهندوس وتسامحه الزائد مع المسلمين، ولم تكن هذه المحاولة الأولى لاغتياله. فسلم الروح لبارئها بعد أن أطلق جملة قصيرة: (يا إلهي)، فأسدل بذلك الستار عن حياة مليئة بالكفاح والنضال. ورغم الجهود العظيمة التي بذلها بهدف إبعاد التوتر الطائفي والتعصّب، قضى غاندي ضحية التعصّب والتطرّف، وانتهت حياته بهذه المأساوية عن عمر يناهز 79 عاماً، فكانت فعلاً مأساة أمّة بأكملها. يقول الكاتب فتحي رضوان: (كانت وفاته رمزية حقاً، ويزيد في دلالة رمزها أنه كان في الليلة السابقة يرتل نشيداً ذائعاً في بلدة (بورباندر) التي ولد فيها، وكان مطلع النشيد: (هذه دنيا غريبة.. فإلى متى سألعب فيها لعبة الحياة). كان لمقتل غاندي -الأب الروحي لشعوب الهند- أثرٌ بليغ على هذا الشعب، وكلّ الشعوب الحرّة في العالم. فكان شعور الخجل أمام ما حدث، ثم الشعور العميق بالحزن؛ هما أقوى ما استولى على المشاعر. لكن، وبالنهاية؛ فإن أفكاره ونظريّاته في الحبّ والثورة والحياة ظلّت باقية، وستبقى رمزاً لأسمى المعاني الإنسانية، ونبراساً لمعنى الحرية ومقارعة الظلم. وُصف غاندي بأنه من أهمّ رجالات القرن العشرين، وصاحب المكانة المرموقة بين الزعماء الوطنيين في العالم ممن تركوا بصمات واضحة في تاريخ النضال الإنساني من أجل الحرية والعدالة والتسامح، وتجمّعت فيهم كلّ مقاييس البطولة والشرف والأخلاق.

طوال فترة دراسته الأولى كان غاندي طالباً عادياً ولم يكن أحد يعلم بأن هذا الرجل سيُدهش العالم بأخلاقه ومواقفه الإنسانية

المعروف

محمد عبد الشافي القوصي: مصر

ضاقت نفسه من نفسه، بعدما أوصدت الدنيا أبوابها في وجهه، وطاف يميناً وشمالاً عساه أن يجد عملاً.. ولم يجد!!

ذهب إلى أحد زملائه، ليقترض منه بعض النقود... فاعتذر له!

توجّه إلى آخر، فشكا له مما يشكو منه.. فبلغ به اليأس مبلغه!

تحامل على نفسه، وقام بمحاولة أخيرة يائسة، فتوجّه إلى صديق قديم له في قرية نائية... فعلم أنه غادر البلاد مع أسرته!

فاستبدّ به الضّيق، وأصابه من الهمّ والحزن ما أصابه، لسطوة الدّين، وشبح الضّياع الذي نسج خيوطه في طريقه... فتمتم يائساً: ليس هناك من خير يرتجى في هذا الزمان!

ظلّ سائراً بين الحقول الشاسعة... يجوب الآفاق بنظراته القلقة، فاقداً الأمل في إكمال دراسته، بل كارهاً البقاء في الدنيا... فإذا به يبصر من بين البساتين الكثيفة رجلاً نحيلاً، تكاد قربة الماء التي على كتفه ترديه على الأرض!

فانطلق نحوه ليحملها عنه.. وما إن وصل إليه، تهلّل الرجل بالسرور، ورحّب به، وقدّم له طبقاً مملوءاً رطباً جنياً.. فأكل بنهم حتى شبع.

ثمّ ما لبث أن قصّ عليه مأساته... فمسح على كتفه، وقال: اعلم أنّ دوام الحال من المحال، ومادام رزقك على الله فلا تحزن.. والأجر على قدر المشقة!

ثم استدار قليلاً، وتناول جرعة ماء، وأردف قائلاً: تفاءل يا ولدي ولا تقنط، فإنّه عندما يجيء أوان الفرج، فلا قيمة للأسباب.. فقد خرج (يهوذا) بالقميص، فسبقته الرياح بالبشرى (إنّي لأجد ريح يوسف)! و(مريم) التي (كفّلها زكريّا) كان (كلّما دخل عليها زكريّا المحراب وجد عندها رزقا)!

تسلّلت هذه الكلمات إلى أذنه كاللّحن الجميل، وظلّ يستمتع بالوصايا الغالية، حتى سجى اللّيل، وتلألأت السماء، وغطّت الحقول قطرات النّدى.. فتمنى ألاّ يغادر المكان، بعدما استهوت مسامعه الحكم الرفيعة، وهزّت فؤاده المواعظ البليغة! قبل أن يقوم من مقامه، سأل: هل تمتلك كل هذه الزروع والمحاصيل والفواكه، والنخل ذات الأكمام؟!

فابتسم الرجل، وقال: لا أخفي عليك سراً، لم يكن عندي سوى نخلة واحدة، فكنت أتصدّق بنصف طلعها، وكما قيل في الأمثال: المطر لا يهدي الأرض ثوباً زاهياً، بل سرير أحلام! وفي النّاموس الإلهي (من جاء بالحسنة فله خير مّنها)!

اندهش الشاب من يقين ذاك الرجل، الذي إذا نطق بان نطقه عن الحقائق، وإذا سكت نطقت عنه الجوارح.. وتعجّب منه كتعجّب موسى من الخضر!

فزال عنه القنوط الذي كان يتغشّاه، وتبخّر اليأس الذي كاد يقتله.

قال -وهو يهمّ بالرحيل-: لو ضاقت بي السبل، هل تأذن لي أن أقيم في خيمتك؟

لا مانع، مادمت تؤمن بأنه (من جاء بالحسنة فله خير مّنها)!

ازداد تعجّبه من إيمان الرجل ويقينه، فتنزّلت عليه السكينة، وغشيته الرحمة، ثمّ ودّعه قائلاً: أشكرك يا سيّدي على كرمك... وعسى أن نلتقي.

أنا خادمك (رشاد فؤاد) طالب بكلية الطب.

فقال: لا شكر على واجب يا بنيّ.. جعلك الله عوناً لعباده، وسلماً لأوليائه.

* * *

مرّت الأعوام سراعاً... وأصبح طالب الطب، أحد الجرّاحين الذين يشار إليهم بالبنان!

في إحدى الليالي، تمّ استدعاؤه إلى (المستشفى الجامعي) لوصول حالة حرجة للغاية.. سبق أن اعتذر عنها (المستشفى الدولي) لأنّها ميئوس منها. كما رفض استقبالها (المستشفى الاستثماري) بحجّة أنها حالة شبه ميتة!

بمجرد أن اطّلع (الدكتور) على اسم المريض، واسم القرية التي ينتمي إليها.. تذكّره على الفور! فقرّر أن يفعل ما في وسعه لعلاجه.

بالفعل، فلم تمض ساعات قلائل حتى نجح في علاجه بمهارة فائقة، وأعاده للحياة، مخيّباً ظن الآخرين الذين توقعوا خلاف ذلك.. ثمّ ما لبث أن اشترى له الدواء اللازم، وكتب عليه:

هذه هديتي إليك، لأنه (من جاء بالحسنة فله خير منها)!

توقيع: خادمك القديم (رشاد فؤاد) طالب كلية الطب.

* * *

في تلك الأثناء، كانت الظنون تحيط بالرجل من كل جانب... إذ توقّع أنه سيبيع أرضه، وبيته، بل سيقضي حياته كلها ليسدّد أجر العملية الجراحية!

فلمّا قرأ الورقة المرفقة بالدواء.. غمرته البهجة، وراح يضمّها بشوق ويقبّلها، كأنّها قميص يوسف في أجفان يعقوب!

ثمّ ذرفت منه دموع الفرح، ورفع يديه نحو السماء، قائلاً بصوت خاشع:

سبحانك.. سبحانك! إذا كان المعروف لا يضيع في الدنيا، فكيف يضيع في الآخرة؟!

آمنت.. آمنت أنّه (من جاء بالحسنة فله خير مّنها)!

ربطات العنق.. مشانق الرجال!





حسام فتحي أبو جبارة: الإمارات

تعد ربطة العنق من المقومات الأساسية في الزي الرسمي للرجل، فهي تنعش البذلة وتجعل صاحبها أكثر أناقة، كما أنها تعبر عن شخصية من يرتديها وتعكس ذوقه الخاص، بل مركزه الاجتماعي والوظيفي أحياناً.

شأنها شأن الكثير من منتجات الموضة؛ أثارت ربطة العنق الكثير من الجدل والنقاش في معظم المجتمعات والدول التي دخلتها. بعض الرجال نظر إليها على أنها رمزٌ للامتثال والخضوع للتقاليد. نبلاء فرنسا وصفوا كل من يرتديها بأنه من المرتزقة، بحكم أنهم عرفوها أول مرة من خلال الجنود الذين دعموا الحكم الملكي في فرنسا ضد نفوذ النبلاء. بعض العلماء المسلمين اعتبروها تقليداً صارخاً للغرب، وبالتالي فهي مرفوضة و(محرمة). أحد الكتاب الإنجليز عرّف ربطة العنق بأنها (مشنقة ملونة وضعتها يد الموضة حول عنق الرجل!).

ورغم هذا الجدل العقيم، فإن ربطة العنق لم تتراجع، وبقيت ضمن قائمة منتجات الموضة الرجالية الأكثر طلباً، بل أصبحت تتطور حجماً وشكلاً وطولاً حسب الأزمنة والمواسم.





أول ربطة عنق عرفها الإنسان كانت في عهد الإمبراطور الصيني شيه هيوانج تي (توفي عام 210 ق.م)

الصينيون ابتكروها

يقول المؤرخون إن أول ربطة عنق عرفها الإنسان، كانت في عهد الإمبراطور الصيني شيه هيوانج تي (توفي عام 210 ق.م)، حيث كان جنوده يرتدون قطعاً من القماش شديدة الشبه بربطات العنق المعروفة حالياً. وفي عام 1665، حضر آلاف الجنود المرتزقة إلى باريس لدعم جهود الملك لويس الرابع عشر في مواجهة نفوذ النبلاء الذين كانوا يسيطرون على شؤون الدولة. كان معظم المرتزقة من الكروات، وقد ميزوا أنفسهم من خلال لف أعناقهم بقطع من القماش الأبيض اللون، ربطوها من الأمام لتعطي زيهم رونقاً خاصاً. وسرعان ما انتشرت هذه (الموضة الكرواتية) في فرنسا، ومنها إلى بقية الدول الأوروبية. ومن (كرواتيا) اشتق اسم ربطة العنق في معظم اللغات واللهجات، ففي الفرنسية اسمها Cravate، وفي الإيطالية Cravatta، وفي الألمانية Krawatte، وفي البرتغالية Gravata، وفي الإسبانية Corbata.

ويقال إن السبب الرئيس لابتكار ربطات العنق، كان تمييز الجنود عن بعضهم البعض، من خلال تخصيص ربطات عنق موحدة لكل رتبة عسكرية، وكذلك لحماية الرقبة والعنق والصدر من البرد.

الفرنسيون طوروها

كعادتهم دائماً، لا يكتفي الفرنسيون بابتكار منتجات الموضة والتوقف عند حدود معينة، أو اقتباس عادات الشعوب الأخرى وتسليط الأضواء عليها وتحويلها إلى موضة، وإنما يسعون دائماً إلى التطوير والتحديث، وهذا ليس غريباً على شعب يعشق التحرر، ولا يتوقف عن الإبداع.

شاهد الفرنسيون ربطات العنق أول مرة وهي مصنوعة من قماش رخيص خشن سريع الاهتراء، فقرروا اختيار مواد أكثر جودة وأفضل نعومة. صنعوا ربطاتهم الأولى من الكتان والقطن والصوف للرتب العسكرية الدنيا وللفئات الأقل ثراءً، في حين اختاروا الحرير والتافتا والدانتيل مواداً أولية لصناعة ربطات الأثرياء والرتب العسكرية العليا.

كان شكل الربطة يختلف كثيراً بين بلد وآخر، فقد كانت أحياناً تشد بشكل مبالغ فيه بحيث تعيق حركة العنق، وكان بعضها بثنيات كثيرة من الدانتيل فتظهر وكأنها جزء من القميص، فيما اشتهرت الربطات في مناطق أخرى، بشكلها المستطيل والعريض جداً. لم تعجب هذه الأشكال الفرنسيين الذين تمكنوا في منتصف عام 1800 من ابتكار ربطة عنق حديثة بشكل طويل ورفيع.

وفي عام 1920، أنتجت شركة The American Jesse Langsdorf أول ربطة عنق بخطوط مائلة، وظل هذا التصميم دارجاً حتى يومنا الحاضر.

موضة رجالية.. ونسائية!

لم ينجح الرجال في الاستحواذ على ربطة العنق وجعلها موضة حصرية بهم، فما لبثت النساء إلا وأصبحن هن الأخريات من المعجبات بها، وقدّم كبار المصممين موديلات نسائية تعتمد على ربطة العنق، وفي هذا المجال تشتهر الماركات الإيطالية، ثم الفرنسية، أكثر من غيرها، فهي الأجمل تصميماً، والأجود صناعة.

وقد أثارت ربطة العنق مؤخراً جدلاً كبيراً في أوساط الموضة، بعد أن تخلى العديد من النجوم والمشاهير





عنها، وفصلوها عن البذلة التي كانت جزءاً لا يتجزأ منها، وأصبحوا باسم (الموضة الرجالية) يظهرون في مناسبات كبيرة وهم يرتدون بذلات رسمية بدون ربطات عنق. من أبرز النجوم الذين تخلوا عن ربطة العنق: نجم كرة القدم الإنجليزي ديفيد بيكهام، والممثلان: براد بيت وجود لو. وفي بريطانيا، تصدّر عناوين الصحف قبل عدة سنوات، خبر حضور الطباخ الشهير جيمي أوليفر إلى حفل أقامته الملكة إليزابيث الثانية في قصر باكنجهام، من دون ربطة عنق، وهو الأمر الذي كان غير مسموح به في الماضي، لكن الموضة تتغيّر، وحتى في أكثر البلدان تشبثاً بالتقاليد، ما انعكس على تعامل الناس مع الأزياء، ومع البروتوكول أيضاً.

ومن النساء الشهيرات اللواتي ظهرن بربطة عنق عدة مرات: أميرة موناكو كارولين، ولاعبة التنس سيرينا ويليامز، والمطربة الكندية أفريل لافيني، والممثلة ومقدمة البرامج الفرنسية سيفرين فيرير.

أنواعها وأشكالها

يكمن جمال ربطة العنق في تصميمها ولونها، وأيضاً في شكل ربطتها أو عقدتها، فالعقدة هي التي تعطي للربطة أهميتها وتبرز تأثيرها. وهناك عدة أشكال معروفة وشائعة لربطات العنق، لا يتجاوز عددها أصابع اليدين، إلا أن العالمين الأمريكيين د.فنك ود.يونج تمكنا من خلال الاستعانة بالرياضيات من ابتكار عُقد جديدة، إلى أن توصلا إلى ابتكار 85 عقدة مختلفة.

ومن أشهر الربطات الدارجة:

- العقدة البسيطة (الكلاسكية): وهي الأكثر استعمالاً لسهولة ربطها وحلها، ولملاءمتها لمعظم ياقات القمصان.
- العقدة المزدوجة: مناسبة لقصيري القامة، ولياقات القمصان الإيطالية التصميم ولربطات العنق الرفيعة.
- عقدة ويندسور الكبيرة: وهي تناسب الأجسام الكبيرة، ومن الصعب تطبيقها مع الربطات السميكة.
- عقدة ويندسور الصغيرة: ملائمة لربطات العنق الرفيعة والمصنوعة من الحرير.



هاشم محمد البغدادي

فارس حروف لغة الضاد

أحمد هاشم العطار: العراق

في ربيع العام 1393هـ الموافق 1973م ترجل الفارس الأخير عن صهوة جواده الأثير ليرحل إلى عالم الخلود، وترك أحرفه حزينة خوفاً من المجهول، حياة قصيرة لرجل أدرك أن عليه عبء مدرسة عمرها ألف سنة، فكيف السبيل للحفاظ على إرث قرون عديدة ولمن ستؤول تلك التركة الغنية، إنه أبو راقم الأستاذ الخطاط هاشم بن محمد بن الحاج درباس القيسي البغدادي عميد الخط العربي وفارس حروفه الأنيقة.

ولد الخطاط هاشم بحي خان اللاوند برصافة بغداد عام 1335هـ الموافق عام 1917م، بدا منذ طفولته مغرماً بالخط العربي وميالاً لتعلم فنونه، فأخذه عن شيخه الملا عارف الشيخلي مدة من الزمن، وتتلمذ أيضاً على يد الحاج علي صابر، وبعد ذلك بدأ بمراجعة الملا علي الفضلي، وقد منح الإجازة الأولى في الخط العربي عام 1363هـ/ 1943م.

كان هاشم البغدادي تواقاً لتعلم الخط العربي والاستزادة من معرفة فنونه وأسراره، ولأن موهبته الفطرية وبراعته وإصراره على التعلم جعلته لا يكتفي بما أخذه عن شيوخه ومعلميه في بغداد؛ فقد شد الرحال إلى مصر وانتسب هناك في معهد تحسين الخطوط بالقاهرة، ولما عرض على أساتذة المعهد نماذج من خطوطه وإجازته قررت إدارة المعهد مشاركته في الامتحان للصف النهائي بالمعهد، فحاز البغدادي الدرجة الأولى بامتياز، وقد أخذ إجازتين في الخط العربي، الأولى من الخطاط المصري الشهير سيد إبراهيم، والثانية من الخطاط محمد حسني في نفس العام، وهو العام 1364هـ / 1944م، وقد طلبت منه إدارة المعهد البقاء للتدريس في المعهد، فأبى وعاد إلى بغداد، وقام في العام 1365هـ / 1946م بافتتاح مكتب الخط في بغداد، وبعد فترة قصيرة سافر إلى إسطنبول للتعرف على الخطاطين الأتراك، وكان قد تعرف على الخطاط التركي الشهير حامد الآمدي، فحصل منه على الإجازة مرتين، الأولى عام 1370هـ / 1950م، والثانية عام 1372هـ / 1952م، ثم عاد إلى بغداد وعين خطاطاً في المديرية العامة للمساحة، بعدها انتقل عام 1380هـ / 1960م ليرأس فرع الخط والزخرفة في معهد الفنون الجميلة ببغداد.

استطاع هاشم البغدادي بموهبته وأناته وصبره أن يعيد أمجاد مدرسة الخط العربي إلى حاضرتها الأولى بغداد، فهو وريث ابن مقلة، وابن البواب، والشجري، والمستعصمي... وغيرهم من الخطاطين البغداديين الذي أسسوا مدرسة الخط العربي في بغداد إبان العصر العباسي.

خرج هاشم بنتائج مذهلة من خلال مزجه بين مدارس الخط العربي الثلاث، البغدادية والدمشقية والتركية، ليبتكر ما يشاء من حركات الخطوط، ضارع من خلالها أكبر وأقدر الخطاطين يومذاك مع التزامه الشديد بقواعد وأصول هذا الفن.

إن براعة هاشم الخطاط لم تكن في الخط وحده، فهو خطاط مبتكر، فقد كان يصمم تراكيب جميلة للوحاته الخطية، وحافظ على نظام السطر، وعنى عناية كبيرة بالحروف والمقاطع. لقد أسس هاشم مدرسة فنية جديدة في الخط العربي، كان من أهم أساليبها الالتزام الصارم بقواعد الخط من جهة ومحاولة إعطاء صورة متحررة للحروف العربية في اللوحة بطابع إيقاعي فريد زاد من جمالية الخط ورشاقة الحرف العربي التي عرف بها.

أجاد هاشم كافة الخطوط العربية، ولكنه اهتم بخطوط النسخ والثلث والتعليق والديواني بنوعيه، والإجازة والرقعة، وكانت له تجارب مهمة في الخط الكوفي.

لقد أنجز في حياته القصيرة أعمالاً غاية في الأهمية،



فمازالت آثاره باقية حتى الآن في عدد من مساجد بغداد، منها خطوطه في جامع الحاج محمود البنية بكرخ بغداد، والتي نقشت على الحجارة بخط الثلث، وجامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني بمحلة باب الشيخ برصافة بغداد، وجامع الحيدر خانة في شارع الرشيد، وجامع المرادية في محلة الميدان برصافة بغداد، وجامع الوزير بالقرب من قشلة بغداد. وصمم هاشم خطوط النقود لدول عربية، منها: العراق وتونس والمغرب والسودان، وأشرف على طباعة مصحف وزارة الأوقاف العراقية في ألمانيا الذي كتبه الخطاط محمد أمين الرشدي سنة 1236هـ. وألف كراسة بخط الرقعة عام 1946م، لكن أفضل آثاره العلمية التي تركها هي كراسته الشهيرة (قواعد الخط العربي) التي لم يستطع خطاط آخر أن يأتي بمثلها، فهي كانت وما تزال أفضل كتاب لتعليم فن الخط العربي على الإطلاق. نشر الأستاذ هاشم هذه الكراسة سنة 1381هـ / 1961م، وقد احتوت على تعليم عدد من أنواع الخط العربي، منها: الديواني والجلي الديواني والرقعة والإجازة والثلث والنسخ والفارسي، كما ألف كتاب طبقات الخطاطين، وقد طبع عام 2008. وقد أقام هاشم عام 1964م معرضاً لأعماله الخطية، وكان هذا المعرض الوحيد في مسيرته الفنية.

استطاع هاشم البغدادي بموهبته وأناته وصبره أن يعيد أمجاد مدرسة الخط العربي إلى حاضرتها الأولى بغداد

لقد أثمرت حياته القصيرة إنجازات كبيرة ظلت شاهداً على موهبة الرجل وتفانيه في عمله، وقد عاش هاشم جل تلك الحياة للخط العربي، فحروف لغة الضاد كانت الهواء بالنسبة له، واستحق أن يكون عميداً للخط العربي بامتياز، وفي ليلة الثلاثين من نيسان عام 1973 أصيب بجلطة قلبية، وتوفي على إثرها. وقد قال في وفاته الخطاط التركي الشهير حامد الآمدي (ولد والخط في بغداد ومات فيها).

عبر هاشم البغدادي في خطه عن التناغم التام بين الحروف في تكويناتها، رغم أن بعض تكويناتها فيها بعض الصعوبة في القراءة، خاصة من قبل المتلقي الذي ليست لديه دراية بفن الخط العربي، لكن هاشماً لم يمتلك الموهبة فحسب، لكنه امتلك الجرأة الفنية إن صح لنا أن نعبر في تكوين لوحات غاية في الاتساق والتناظر، وبرع في تضمين تكويناته ذلك التمازج الرائع الذي استطاع أن يولده بخبرته بين مدارس الخط العربي المختلفة.

لقد أنتج في فترة ستينات القرن الماضي روائع خطية ستبقى خالدة مدى الدهر، ذلك أن تلك الفترة كانت فترة نضجه الفني، رحم الله هاشماً لما أسداه من خدمة جليلة لكتاب الله العزيز القرآن الكريم وللأمة الإسلامية.

إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

١٣٧١

قل كل من عند الله

١٣٩٣

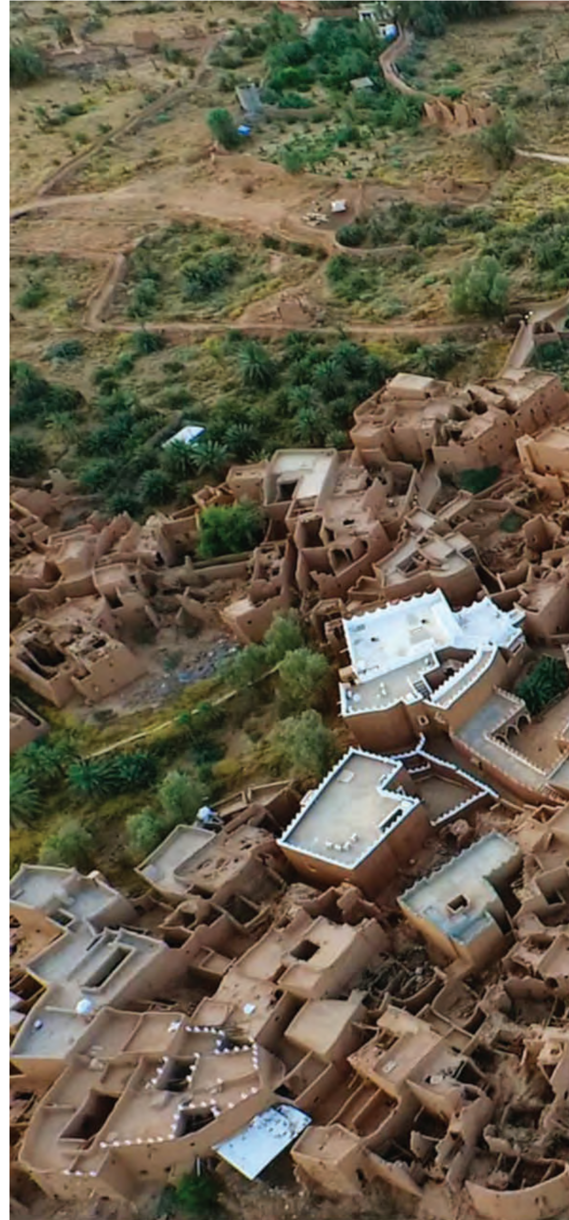
(أشيقر) القديمة

أنموذج للسياحة التاريخية



فهد الحمود: الرياض

قبل نحو عقدين من الزمن طرأت لأحد وجهاء أشيقر وأبنائها ميسوري الحال فكرة ترميم بيت عائلته الكبير، والمبني من الطين، ليكون استراحة لقضاء نهاية الأسبوع فيه، لأنه يعيش في الرياض، وقرر ألا يحدث أي تغيير فيه، وأن يستخدم المواد نفسها التي بني منها «الطين»، وألا يدخل أي شيء حديث عدا الكهرباء والتكييف، وفعلاً نفذ الفكرة ونجحت وأصبح بيتهم مزاراً لأبناء أشيقر وغيرهم، وقد أعجب الأهالي بفكرته وسار الكثير منهم على السياق نفسه، فقاموا بإعادة ترميم وإحياء منازلهم القديمة في (أشيقر) والتي أصبحت أطلالاً وخرابة بعد أن هجرها أهلها وتهدم الكثير منها بحكم عوامل الزمن.





الصانع: تم تطوير أشيقر بمجهود الأهالي وتستقبل الزائرين والوفود السياحية على مدار العام

ومع نجاح تلك الفكرة تطورت القرية لتصبح معلماً سياحياً مكتمل الخدمات، بالإضافة للصناعات الحرفية التقليدية القديمة والبرامج الثقافية التي تسلط الضوء على تطور التعليم وكيف تتم بعض الصناعات وبيع التحف القديمة، أيضاً تم إنشاء متحف متكامل بمجهود شخصي لأحد الأهالي، وكذلك إنشاء مطعم في الهواء الطلق يقدم الأطباق الشعبية من إنتاج الأسر المنتجة وتباع الأطباق المتنوعة بأسعار رخيصة ومقننة، بمعنى بيع الطعام بالوزن وليس بالطبق حتى لا يكون فيه إسراف وكل يأخذ حسب حاجته.

قرية سياحية بامتياز

عبدالرحمن بن محمد الصانع نائب رئيس لجنة السياحة الوطنية، أكد أن مدينة أشيقر أصبحت قرية سياحية بامتياز وأنموذجاً يحتذى به بمجهود الأهالي، وأضاف أن أشيقر تستقبل الزائرين والوفود السياحية على مدار العام ومن جميع الأجناس حتى السفراء والوزراء وغيرهم، كما تنظم شركات السياحة رحلات سياحية ليوم واحد من مدينة الرياض عبر حافلات مريحة ومكيفة نظير مبلغ مقطوع شامل تكاليف الرحلة مع المرشد السياحي ووجبة الغداء.

شواهد تاريخية

أما خالد آل دغيم الباحث في الشؤون السياحية فيقول: عند مشاهدة المباني القديمة والأسوار والأبواب التراثية التي بنيت من مئات السنين في بلدتَي شقراء وأشيقر، تتأكد لنا نعمة الأمن والأمان التي تعيشها بلادنا، ويظهر لنا ما كانت تعيشه هذه البلاد قبل توحيدها على يد الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه، من تناحر وتقاتل وخوف ورعب وفقر وقطع الطرق، وتعد هذه القلاع والأسوار شواهد تاريخية عما كان يدور فيها واعتصام الناس بها للدفاع عن أنفسهم وممتلكاتهم آنذاك.

3 بوابات رئيسة

ويضيف آل دغيم: إن الاهتمام بمسجد الحسيني الذي يعود بناؤه إلى ما يزيد على 350 عاماً، والسور القديم لمحافظة شقراء، ويرجع تاريخه لعام 1232هـ، والسور الجديد، وتم تشييده في 1319هـ، وهناك أيضاً أبراج المراقبة على الجبال المحيطة بالبلدة، ومنها المرقب الشمالي والمرقب الجنوبي، والسد القديم في شرق البلدة عند ملتقى وادي الغدير مع وادي الرمة، وبئر الحميضية غرب السور القديم وداخل السور الجديد، وسد وادي الرمة الذي تمت إقامته عام 1396هـ؛ كل هذا له أثر مهم جداً في الحفاظ على الموروث الإنساني، وهناك أيضاً البوابات الرئيسة الثلاث: باب الطلحة وباب العطيفة وباب العقدة في السور القديم، وبوابتان ثانويتان: باب هداج وباب الثقاب.

وعدّ الجهود التي بذلت بإعادة ترميم وتأهيل الأسوار والمنازل التراثية والمدارس والمحلات القديمة والمساجد التاريخية والمتاحف والبلدة القديمة؛ جهوداً موفقة، تعبر عن تفاعل المجتمع المحلي واستشعاره أهميتها والمحافظة عليها، وهذا هو المكسب الحقيقي. مشيراً إلى أن كل تلك الجهود الرامية إلى الكشف عن الوجه السياحي لمدينتَي شقراء وأشيقر تجربة رائدة يستفاد منها في مناطق المملكة، وعودة الأهالي إلى هذه القرى التراثية هو المطلب الضروري.



موقع أشيقر وطبيعتها

تقع مدينة أشيقر في منطقة الوشم في نجد وسط المملكة العربية السعودية تقريباً، في الشمال الغربي من الرياض عاصمة المملكة، وتبعد عنها حوالي 200 كم، وتتبع إدارياً محافظة شقراء، وهي أقرب المدن منها، حيث تقع جنوبها بحوالي 12 كم، وهي من بلدان إقليم الوشم التاريخي التابعة لمحافظة شقراء، وتسمى قديماً «عكل» نسبةً لقبيلة عكل من قبائل الرباب، وتعد أشيقر أقدم بلدان نجد، حيث يعود تاريخها لما قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وخرج منها عدة شعراء في الجاهلية وفي عصر صدر الإسلام.

تتميز أشيقر بالآثار القديمة حيث ما زالت بيوتها الطينية تقاوم عوامل التعرية المتغيرة، ويوجد بأشيقر جبل معروف ومشهور على مستوى المنطقة الوسطى يدعى (جبل الأشقر) أو (ضلع الجنينة)، ويحتوي على استراحات وحدائق وصالة احتفالات وألعاب للأطفال، ويعتبر رئة يتنفس من خلالها أبناء الوشم وسدير، وتعتبر أشيقر مدينة هادئة تحيطها الطبيعة العربية من كل الجهات، فمن نفود إلى ضلوع إلى مزارع النخيل.

(أُشيقر) بضم الهمزة وفتح الشين وسكون الياء وكسر القاف على وزن (أُفيعل) التصغير من (أشقر)، وهو اللون المعروف، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى جبل الأشقر الذي يحدها من الشمال ويمتد بشكل قوس من الشرق إلى الغرب مائلاً إلى الشرق يسيراً، وهو معروف عند أهل البلدة بـ(ضلع الجنينة) الملاصق للبلدة من جهة الشمال، وأضيف الضلع إلى (الجنينة) بسبب مجاورته لها، كما أن تربتها وبيوتها الطينية تميل إلى الحمرة، والشقرة والحمرة لونان متقاربان وأطلق العرب أحدهما على الآخر في ألوان الجبال والخيل والإبل، وهذا اللون عام لمعظم بلدان الوشم الواقعة غربي النفود (أشيقر وشقراء والقرائن وثرمداء ومرات) فتربتها وجبالها حمراء.



(ألف ليلة وليلة)
في الدراما العالمية والعربية



محمد محمود فايد: مصر

انتبهت المحطات التليفزيونية الأمريكية والهندية واليابانية وغيرها، إلى إمكانية صناعة مسلسلات طويلة شائقة عن حكايات (ألف ليلة وليلة) كانت معظمها عن (الرحلات السبع للسندباد البحري ومغامراته)، لعل من أشهرها المسلسل الذي أنتجته محطتا ABC الأمريكية وBBC البريطانية في تسعينيات ق 20م، والمسلسل الهندي الذي حمل اسم (ألف ليلة وليلة) باللغة العربية، واستمر عرضه خمس سنوات من العام 2000 إلى 2005م وتضمن 143 حلقة! وفي معظم الدول الأجنبية والعربية ظهرت العديد من الأعمال الدرامية الألف ليلية التي استلهمت مثلاً، شخصية (السندباد البحري) في بعض مسلسلات الرسوم المتحركة، كالمسلسل الياباني الذي أخرجه فوميو كوروكاوا، وتكون من 52 حلقة، عرض لأول مرة في (نيبون أنيميشن)، وتدور قصته حول (سندباد) الفتى البغدادي ابن أحد التجار المشهورين، الذي يتسلل إلى الحفل المقام بقصر الوالي ليرى مع صديقه سقاء المياه الفقير حسن (يفترض الشاطر حسن)، العروض السحرية والبهلوانية المبهرة التي يؤديها عدة عارضين جاؤوا من جميع أنحاء العالم، فيقرر أن يرتحل حول العالم لتعميق رؤيته وخبراته مع عمه الرحالة الذي أحضر له طائراً يتكلم، اسمه (ياسمينة) تشارك (سندباد) البطولة.





المعالجات الغربية لدراما الليالي جاءت عبر العين الغربية لتلائم ثقافة وسيكولوجية الإنسان الغربي وليس العربي

الدراما الخليجية

كان الاستلهام التليفزيوني لحكايات الليالي قد بدأ منذ العام 1969م، بانطلاق حلقات الدراما التعليمية الطويلة للطفل (افتح يا سمسم) في الولايات المتحدة الأمريكية، بنجاحها المذهل اقتبست منه بعض النسخ، منها النسخة العربية التي عرض الجزء الأول منها عام 79 في الكويت، تبعه الثاني عام 82، فالثالث عام 89، لكنه توقف في أغسطس 92، بعد بث 44 حلقة، تذكر الناقدة/ كوليت بهنا، شخصية (نعمان) التي أحبها الأطفال كثيراً وتعلقوا بها، فطرحت بالأسواق كدمية، سرعان ما حققت أرباحاً، وكان من الممكن لهذه التجربة التليفزيونية الناجحة أن تستمر، بل وأن تكون أنموذجاً للجدوى الاقتصادية، لمنتج عربي إبداعي، لكنها لم تستمر أو تستثمر! من ناحية أخرى يرى بندر عبد الحميد أنه منذ العام 2010م قامت الإعلامية الإماراتية نورة الكعبي، برئاسة إحدى المؤسسات التنفيذية، فوفرت 54 فرقة عمل، أنجزت كل المراحل العملية التحضيرية لإعادة إنتاج مسلسل (افتح يا سمسم)، كمشروع ثقافي حيوي في أبوظبي. عام 2014 م قدم تليفزيون الكويت الكثير من الأعمال الدرامية للطفل، ومنها مسلسل (علاء الدين). عام 2015م أنتج مسلسل (علي بابا)، تأليف نادر خليفة، إخراج حسين الصالح، بطولة إبراهيم الحربي، جاسم النبهان، محمد السريع، إيمان العبيدي، موسيقى وألحان مرزوق المرزوق، أشعار المقدمة كتبها فايق عبد الجليل، أداء جماعي لفرقة التليفزيون. في سلطنة عمان اشتهر التليفزيون بإنتاج دراما التراث الثقافي عامة، والتراث البحري خاصة منذ العام 1974م، ومنها مسلسل (رحلة السندباد) الذي أعده فريق من كبار المخرجين العالميين.

الدراما السورية

عام 2011م أنتج التليفزيون السوري مسلسل (دليلة والزيبق) المستوحى من ملاعيب الشطار والعيارين بقصة (الشاطر علي الزيبق مع زينب النصابة) في (حكاية أحمد الدنف وحسن شومان مع دليلة المحتالة)، كأضخم إنتاج لذلك العام، حيث بنيت له خصيصاً مدينة إنتاجية، نقلت المشاهد إلى أجواء بغدادية وقاهرية بعوالمها السحرية، كما استقدم لها العديد من مصممي الديكورات والأزياء والماكياج العالميين. استلهمت الدراما بدائع الحيل العقلية لدليلة والزيبق والتي قامت بشكل رئيس على النصب وإتقان فنون التنكر والملاعيب، إضافة لأجواء المعارك الضخمة، ورؤية الإنسان إلى العدالة، التي تمثلت في الخط الفاصل بين الحقد والطمع، ورمزت دليلة بأحقادها للمرأة المتمردة التي لا تنظر إلى العدالة، أما علي الزيبق فمثّل حالة من الشرف والثأر والعشق، ووازنت الدراما بين العدل والطموح. كتب الدراما السيناريست/ هوزان عكو، وأخرجها سمير حسين، وجسدها سامر المصري (الزيبق) وكاريس بشار (دليلة).

الدراما المغربية والأمازيغية

عام 2014م قدمت فضائية مغربية سلسلة من حكايات (ألف ليلة وليلة) مزجت بين القصص والخيال، وتمحورت حول الشخصيتين الرئيسيتين شهرزاد وشهريار، والتزمت بالنصوص الأصلية، كمحاولة لتوظيفها في قالب درامي مشحون بالصراع. جسّد أدوار البطولة النجوم يونس البواب وأيوب اليوسفي وجاد شقيف وفاطمة الزهراء الجوهري وعبدالله بن سعيد وأمينة العلام. لكن تسليط السيناريست الضوء على التراث المغربي، أدى إلى خلل رؤيته البصرية



والفنيـة لحكايـات (ألـف ليلـة وليلـة)، رغـم جـودة توظيـف المخـرج للتقنيـات الحديثـة، التـي حاول مـن خلالهـا إعادة السحـر البصري والخيالي لعالم الحكايات، فقدما بالأحرى قصة اكتنزت بمفردات الثقافة الشعبية المغربية، إضافة إلى استخدام مساحات ممتدة من الصحراء حيث الأسوار والخيام والواحـات والمناظـر الطبيعيـة والديكورات المستوحاة من التراث المغربي، ما أدى بمبدعي العمل إلى التأكيد على البعد الحرفي، وربمـا الدعائي لفنـون المعمار المغربـي، وابتعدوا بالدراما عن فضاءات قصور الليالي، وما دار داخلها وخارجها مـن حكايات وقصص متوالدة. عكسـت الدراما أيضاً العادات والتقاليد والمعتقـدات والمعارف الشعبية المغربية، وليست الخاصة بمجتمعات وأبطال (ألف ليلة وليلة)، وكان للقفطان المغربـي دور رئيـس، بأقمشتـه وتصميماتـه وتطريزاتـه وألوانـه وزخارفـه التـي توحـي بثقافـة مرتديـه، ناهيـك عن الإكسسـوارات والمجوهـرات والأقـراط البربريـة والتيجـان التي أضافت معاني جمالية عريقة، نقلت المشاهد إلى أجواء ساحرة وخيالية، استمدت جمالها الفني من المأثور الثقافي المغربـي، ورغـم أنهـا دراما استدعـت الكثيـر مـن الموروثات العربيـة المغربيـة، والتقنيـات الفنيـة المتطـورة، إلا أنها لم تجسـد فنيـات حكايـات (ألـف ليلـة وليلـة) بكل الأفكـار التي أكد عليهـا مبـدع الليالـي عبـر نصوصـه الغرائبية، رغـم محاولة مبدعي المسلسل محاكاتها بكل تحدياتها وتقنياتها إلا أنهم لـم يتمكنوا من استلهامها الجيد، بقدر ما وفقوا في توظيف التقنيات الحديثة، والقـدرات الفنية للممثلين، خصوصاً في مشاهد القتال والاستعراضات والشلالات، والتحكم في حركة الصورة بالتصوير ثلاثي الأبعاد، ابتكاراً لخدع بصرية حاكت شخصيـات وأحداث خيالية. من ناحيـة أخرى يحظى الإنتاج الأمازيغي بالمغـرب بالمتابعة والاهتمام، ورغم حداثة عهده مقارنـة بالدرامـا ككل، يحظـى بتقنيـات تصويـر عاليـة، على غرار المسلسـلات التركيـة والمكسيكيـة، واستغلال المناظر الطبيعية الجميلة لمدينة أغادير الشاطئية. ومن مسلسلات الأطفـال استلهـم المسلسـل الكوميـدي خماسـي الحلقـات (بوتفوناسـت والأربعـون لصـاً)، (حكاية علي بابـا والأربعين حرامـي)، وهـو مـن إخـراج الأمازيغي الشهيـر العربـي التيت، بطولة محمد أبو عمران ومحمد أشرطور، وفاطمة تابوكوت، ويحكي عـن عصابة تتسلل للقرى بهـدف السرقة، فيتصدى لها بوتفوناست (علي بابا).

الأكاديميات الفنية والمعاهد السينمائية والتليفزيونية العالمية تعتبر نصوص (ألف ليلة وليلة) أنموذجاً معيارياً رفيع المستوى

الدراما المصرية

لمـا كان الفـن الإذاعـي يعتمد علـى حاسة السمـع، متفرداً بيـن الفنـون بالآنية، اعتمدت الإذاعـة المصرية في بداياتها، على إعـداد التمثيليات المستلهمة من التراث، لتوافر عنصر الراوي الذي يحكي للمستمعين الملاحم والحكايات والسير الشعبيـة، فأخـرج محمـد محمـود شعبـان عـام 1955م أول مسلسلات (ألف ليلة وليلة)، إعداد طاهر أبو فاشا، ليبلغ قمة الإبداعات التي عبرت عن الأجواء الزمانية والعوالم المكانية، الخارقـة والخياليـة والغرائبيـة بالاعتمـاد علـى المؤثـرات الصوتيـة، وموسيقـى (شهـرزاد) لكورساكـوف، وتناغمـت أغنية التتر بألحانها وكلماتها مع أصوات المجموعة، تناغماً هارمونيـاً رفيعـاً، كمـا تميـزت فـي الخلفية موسيقـى الكمان المنفـرد، برقتهـا ورمزيتهـا لشهـرزاد، مـع بدايـة كل حلقـة. وأبدع المخرج في توظيف قدرات زوزو نبيل (شهرزاد)، وعبد الرحيـم الزرقانـي (شهريـار) وغيرهمـا، ملتزمـاً بنصـوص الحكايـات الأصليـة خلال ستيـن حلقـة. أما باقـي الثمانمئة

معظم الأعمال الدرامية العربية التي استلهمت (ألف ليلة وليلة) انحصرت في مجرد الترفيه السطحي ولم تمس فكر المشاهد أو وجدانه

حلقة التي قدمت في 26 تمثيلية، فقد استلهم فيها أبو فاشا حكايات وحواديت أخرى من وحي الخيال الشعبي وحكي الجدات. ليضرب ثنائي الإبداع (أبوفاشا - شعبان) المثل في الاستلهام الدرامي الشائق والثري لحكايات (ألف ليلة وليلة) بالاستفادة من القدرات الإبداعية، وأفكار وقيم وتطورات العصر وإسقاطها على الدراما. وعلى مدار أكثر من ثلاثين عاماً مضت، جسدت حكايات (ألف ليلة وليلة) تليفزيونياً، بأساليب عديدة، بدأت لأول مرة في سبعينات ق 20 بمسلسل (حكاية دليلة والزيبق)، فحقق نجاحاً جماهيرياً باهراً. عام 1981م قدم مسلسل لنجلاء فتحي وحسين فهمي التزم بأحداث الحكايات وطبيعة عصرها قدر المستطاع، ورغم تمكن أحمد بهجت كاتب العمل، ويحيى العلمي مخرجه، إلا أنهما لم يوفقا في استلهام النصوص الأصلية، في رؤية أبو فاشا الذي أوضح أن شخصيات الأساطير وملوك الجن - فنياً- لا تتحدث بشكل روتيني كأن يقول الجن، مثلاً: (هات لي كوب ماء)، فالأفضل أن يتميز الحوار بالسجع ليعطي الشخصية روحاً مختلفة، وبعداً فنياً عميقاً يهب الشخصية مذاقها الخاص، كأن يقول: (دموعك يا إنسي أثرت في نفسي). في الثمانينات أنتج التليفزيون المصري مسلسل (علي الزيبق) بطولة فاروق الفيشاوي. بالإضافة لحلقات رسوم متحركة للأطفال عن سندباد وعلاء الدين وعلي بابا. في السنوات التالية قدمت نسخ جديدة من مسلسلات (ألف ليلة وليلة)، فلم يوفق معظم مبدعيها في الكثير من التحديات الفنية والإبداعية، رغم محاولاتهم تقديم حكايات (ألف ليلة وليلة) بشكل جديد وأبطال مختلفين، آملين النجاح، لكن أحداثها لم تجتذب الجماهير إلا قليلاً، ولعل أبرزها وأشهرها في تاريخ الدراما المصرية، مسلسل نجلاء فتحي وحسين فهمي، وفوازير (الليالي الألف) لشريهان، ورغم الإعداد الدرامي لألف ليلة في أكثر من أربعين تمثيلية، والاستعانة بأداء كبار النجوم، إلا أنها لم تنجح، اللهم إلا مسلسلات (عروس البحور) لشريهان ومحمود الجندي وعمر الحريري عام 85، ثم (مشكاح وريما) إنتاج 87 لشريهان وزوزو نبيل وجمال إسماعيل، والأخير رويت أحداثه بأسلوب درامي شيق وأداء حركي رفيع، وتوظيف للرسوم المتحركة خلال مقدمات حكايات شهرزاد، واستعارة صوت زوزو نبيل بالحلقات الإذاعية الأولى، وتوظيفه الجيد. عام 90 أنتج مسلسل كتبه أحمد بهجت وأخرجه عبد العزيز السكري، أشعار محمد بهجت، ألحان حلمي بكر، غناء وتمثيل إيمان الطوخي (شهرزاد) التي تروي فيه لشهريار / يوسف شعبان، عدة حكايات ممتعة، منها (حكاية الصياد والجني المارد) - (الأربع سمكات) - (ست الحسن والشاطر حسن) - (الملك يونان والحكيم رويان) - (السبع بنات) - (القضاء والقدر) - (بنت السلطان) - (الأمير المسحور). عامي 93 و1994م استلهم الكاتب يسري الجندي (ألف ليلة وليلة) على غرار مشروعه لتوظيف التراث الشعبي، طارحاً قضية الشكل ومفردات الخطاب الفني المستلهم من مفردات التراث وعبقه وزخمه الروحي، بجانب ما يطرح من قضايا، مجتهداً في تقديم دراما تستلهم التراث برؤى معاصرة في عدة أعمال، منها مسلسلان لألف ليلة، اختار البدء في أولهما بالحكاية الإطارية (شهرزاد وشهريار)، مؤكداً على علاقة الرجل بالمرأة في امتدادها وتسلطها الذكوري الأحادي الرؤية، حيث تقتحم شهرزاد عقلية شهريار الجائرة، لتزيل استبداده. اختار الجندي حكايتي (علاء الدين أبي الشامات)، و(معروف الإسكافي). كما تصرف واستعار







ووظف بعض الحكايات الأخرى، لتوفير إضافة مهمة تقدمها شهرزاد خلال معركتها لإعادة صياغة عقل شهريار. بعده كتب دراما (علي بابا) ليحيى الفخراني، إخراج جمال عبد الحميد، موسيقى وألحان عمار الشريعي، أشعار سيد حجاب، غناء حسن فؤاد. عام 96 قدم اتحاد الإذاعة والتليفزيون مسلسل الأطفال (السندباد البحري). عام 2001م قامت نيللي ببطولة فوازير (ألف ليلة وليلة)، شاركها البطولة الفنان محمود قابيل، كتب حلقاتها الشاعر عبد السلام أمين، لحنها عمار الشريعي، وأخرجها عمرو عابدين. كما قدم فاروق الفيشاوي ونيرمين الفقي مسلسل لألف ليلة لم يكن جيداً، رؤية وإخراج عادل مكين، سيناريو وأشعار وحوار مصطفى حافظ، كلمات المقدمة رضا أمين، ألحان ياسر عبد الرحمن، غناء هبة أمين، استعراضات حسن عفيفي، أداء صوتي إيناس جوهر.

هل أصبحنا فقراء درامياً؟

رغم أن هناك العديد من أعمال الدراما التليفزيونية التي حاولت أن تستلهم حكايات (ألف ليلة وليلة) بسياقاتها الدرامية الخيالية الفانتازية، وإنتاجها في مسلسلات ضخمة مادياً، لم يوازها بالفعل ثراء درامي يستحق، ورغم أن هناك مسلسلات أجنبية مبهرة تقنياً وفنياً، كان لإطارها الدرامي مرجعية فكرية عميقة استمدها مبدعوها من حكايات الليالي، فاستحقت عن جدارة واستحقاق، التكلفتين المادية والبشرية الضخمتين في سبيل إخراج عمل درامي ناضج وجيد، إلا أن معظم الأعمال الدرامية العربية التي استلهمت (ألف ليلة وليلة) انحصرت في مجرد الترفيه السطحي، ولم تمس فكر المشاهد أو وجدانه أو سيكولوجيته، ولم تتأمل وتحلل وتربط بين موضوعاتها وبين العديد من الإشكاليات والقضايا العربية المعاصرة التي كان من الممكن توظيفها درامياً، خصوصاً أن حكايات (ألف ليلة وليلة) تضم العشرات من المشتركات القديمة - المعاصرة، كما تضم الكثير من العبر والمثل والقيم والتيمات الفلسفية والفكرية والنفسية، التي تمنح الخيال قوته وتأثيره الوجداني العميق، بل ومن الممكن أن ينقل المبدعين، العديد منها إلى دراماتهم، إذا وجدت من يستخلصها ويبرزها، ناهيك عن الحكاية الإطارية والمحتوي الفانتازي المبهر للحكايات. وفي المسلسل المصري (ألف ليلة وليلة) لعام 2015م، كان المفترض والمأمول، أن يعتمد ذلك الأسلوب الإنتاجي، وأن لا يقتصر على التقنية التكنولوجية والخدع البصرية فحسب، بل وإمكانيات وقدرات الممثلين أيضاً، وكان لا بد أن يتوافر قبل كل هذا، نص درامي مكتوب بحرفية عالية، لذا لم ينجح، وانقسم المسلسل إلى ثلاث حكايات، الأولى جسّدها شريف منير ونيكول سابا (شهريار وشهرزاد)، ودارت حول مشكلات الحكم والطمع فيه وأرجعت عقدة خيانة الزوجة الأولى لوالد شهريار وليس لشهريار. الثانية جسّدها أمير كرارة وعائشة بن علي، ودارت حول البحار نجم الدين، الذي يسعى وراء الكنز، ويتعرض لبعض مؤامرات رفاقه، بجانب مغامراته خلال محاولات اكتشافه الكنز. أما الثالثة فجسدها آسر ياسين ونسرين طافش، عن ساحر، تحبه أختان توأم. المسلسل تأليف محمد ناير، إخراج رؤوف عبد العزيز. ويرى الناقد رامي عبد الرازق أن بالعمل مشكلتين أساسيتين، الأولى عدم وجود مضمون فكري أو فلسفي أو نفسي يؤكد عليه، الثانية عدم احتوائه أي إسقاطات سياسية أو اجتماعية، فجاء سطحياً مفتقداً المضمون الدرامي القيم، رغم انقسامه بين زمنين مختلفين، الأول: زمن شهريار الذي تحكي له شهرزاد حكاية نجم الدين وقمر الزمان، الثاني: زمن حكاية نجم الدين الأسطورية أو الخيالية نفسها. الزمن الأول ميلودرامي نمطي، على مستوى علاقة شهريار بشهرزاد، صحيح أن الكاتب زاد على علاقتهما، فكرة أن شهرزاد تريد التخلص من شهريار -ثأراً لأمها- لكن يظل الإطار العام لزمن شهريار وحاشيته والمشاكل التي يواجهونها، مشكلات نمطية مكررة، وامتلأ بالمغامرات بغض النظر عن المعاني والدلالات العميقة، إضافة لعدم تقديم رؤية تناسب الحكاية الإطارية، وعوالم فانتازيا ألف

انتبهت المحطات التليفزيونية الأمريكية والهندية واليابانية وغيرها إلى إمكانية صناعة مسلسلات طويلة شائقة عن حكايات (ألف ليلة وليلة)

ليلة، ولم تتضمن صراعاتها أبعاداً درامية عميقة. إضافة إلى الاقتباسات الكثيرة الفجة من أفلام أجنبية لا تنتمي إلى عوالم الليالي، وتراثها الخيالي والفكري، بدلاً من الاستقراء العميق لحكايات (ألف ليلة وليلة)، فبدا السياق الدرامي غريباً عن ثقافتنا. وكان من اليسير أن يكتشف المشاهد تلك الاستعارات، وأن توظيف فكرة مثل، سيد الخواتم في عنصر خاتم حجر الغرام الذي ارتداه الملك طاهروز القبيح ويحبه حباً جنونياً (مذكراً إيانا بشخصية غولوم في ثلاثية مملكة الخواتم) والذي يجعل الجميع يرون الملك في صورة جميلة، كذلك نلمح تأثيراً لفيلم (مملكة الخواتم) في عناصر: الأرض السوداء التي تذكرنا بمملكة موردور أرض الملك الشرير سارون بالبرج العظيم الذي ينتصب عالياً فيه، أما تأثير فيلم (قراصنة الكاريبي) فحدّث ولا حرج، مثل توظيفه أفكار: ضوء القمر الذي يكشف الخريطة التي على جسد الفتاة قمر الزمان كما كان يكشف القراصنة الموتى في الفيلم، أما نجم الدين بطل القصة فقرصان بحري كالكابتن جاك سبارو، خلال سعيه إلى كنز عظيم تماماً، كالقرصان الأيقوني، وفي سبيل هذا الكنز يسير على خلفية خريطة يجمعها من أماكن عدة، منها جزر متحركة، أهلها من آكلي لحوم البشر، تماماً مثلما جاء في أحد أجزاء الفيلم الأمريكي الشهير، إضافة لاقتباسات عديدة من أفلام مثل (ماتريكس) عندما يقوم الجن (شاركان) بإغلاق فم الملك طاهروز، كي لا يتكلم، مثلما فعل العميل سميث مع نيو، في الجزء الأول من سلسلة المصفوفة الشهيرة، ولا يتسع بنا المجال لذكر كل الاقتباسات والتحويرات، مما فرّغ الدراما





من مضامينها الفكرية والوجدانية العميقة، إضافة لقيامها على مفردات لا تمت بصلة إلى الاستلهام الإبداعي لحكايات ألف ليلة. الأمر الذي نتساءل معه عن جدوى إنتاج ضخكم مادياً، لا يوازيه قدرات فنية وفكرية وإبداعية رفيعة، تحلل وتناقش إشكاليات معاصرة عديدة تتناص مع حكايات (ألف ليلة وليلة)، يمكن أن يعاد قراءتها واستلهامها وتقديمها، بشكل يجتذب العقل قبل العين، لكن يبدو أننا أصبحنا فقراء في الاستقراء الإبداعي لأهم وأشهر حكاياتنا العربية (ألف ليلة وليلة)، رغم جهود كبيرة لفريق العمل، لكنها لم تكن في مكانها السليم من خريطة الاستلهام الدرامي. إن إعادة إنتاج مسلسلات (ألف ليلة وليلة) بشكل مختلف، لم تفد المشاهد، ورغم توظيف التقنية التكنولوجية، لم يستطع مبدع الدراما استخلاص أو تقديم ما تحتويه الحكايات الأصلية من قصص وأفكار كثيرة، يمكن أن تستغل بنجاح في عمل كبير، بدلاً من الاقتباس من موضوعات ومفردات الثقافات والآداب الشعبية الأجنبية.

أنموذج الدراما العالمية

ستتعجب طويلاً إذا عرفنا أن الأكاديميات الفنية، والمعاهد السينمائية والتليفزيونية العالمية تعتبر نصوص (ألف ليلة وليلة) أنموذجاً معيارياً رفيع المستوى، تتميز قيمه الفنية والبنائية والجمالية، ويفضل أن ترتقي إليه نصوص الدراما المرئية، بل ويتمنى كل الكتاب الغربيين الارتقاء بدراماتهم إليه، والتي لن يكون من السهل الارتقاء إلى مستويات الغرائبية والتشويق ومتابعة الشخصيات والأحداث والأمكنة، لأن نصوص ألف ليلة حالات عبقرية في تاريخ الكتابة الفانتازية الدرامية، لذا كانت ولا تزال من سنوات وإلى الآن قيد الدراسة والتدريس، وهي تحتاج بالفعل إلى بحث أكاديمي خاص لكيفية تشكيل منهج للكتابة التليفزيونية منها، كما تحتاج لعمل تليفزيوني يليق بثرائها وقوتها. ورغم أن الغرب حاول وضع معالجات لحكايات ألف ليلة من الناحية الفكرية والجمالية في خطابه السمعي البصري، ورغم علاج مقومات الموضوعات التي تناولتها الشخصيات بأدوارها وأبعادها الفكرية والاجتماعية والأخلاقية، بالقدر الذي تقتضيه آليات المعالجة بالكشف عن نوع القص ونظامه البنائي وأشكال تناوله والدوافع التي قادت إلى حدود التشابه والاختلاف، إلا أن كل المعالجات الغربية لدراما الليالي جاءت عبر العين الغربية لتلائم ثقافة وسيكولوجية الإنسان الغربي وليس العربي، وهذه هي المشكلة التي أوضحها المخرج العراقي المبدع صالح الصحن في دراسته المهمة (ألف ليلة وليلة في السينما والتليفزيون عند الغرب)، خلال بحثه الكيفيات الدرامية العربية التي ينبغي أن تكون في وضع وتطبيق المعالجات الجمالية والفكرية المناسبة لخطاب الدراما العربية، والتي تحلل وتستلهم نصوص حكايات (ألف ليلة وليلة) من منظور فني سليم، ورؤى إبداعية عربية، تستقرئ جيداً نصوص الحكايات الأصلية، على ضوء ما خرجت به نتائج عصر من دراسات وبحوث التنظير الأكاديمي يبلغ أكثر من 75 عاماً منذ أول دراسة أكاديمية للدكتورة سهير القلماوي عام 1941م.





المومياء
رائعة «شادي عبد السلام»

د. فهد اليحيا: الرياض

عصر ذات يوم في عام 1871 كان الشقيقان محمد وأحمد عبد الرسول (من قبيلة الحُرَبات أو الحروبات) يرعيان أغنامهما بالقرب من سفح جبل في قرية القرنة على الساحل الغربي من النيل مقابل مدينة الأقصر (طيبة الفرعونية) الآثارية الشهيرة. ومع حلول الغروب سقطت عنزٌ في بئر فتدلى محمد في البئر مستعيناً بحبلٍ ربطه في وسطه ومصباحٍ في يده وعندما وصل القاع وجد ممراً منحوتاً في الصخر يفضي إلى قاعة فيها العديد من توابيت المومياء.

حافظت عائلة عبدالرسول على كتمان سر هذا الكشف، إذ كان يمثل منجماً يدر النقود عليها جراء بيع الحُلي الفرعونية والأواني والتماثيل الصغيرة ووثائق ورق البردي وغيرها.

مع تسرب هذه القطع إلى السوق المصرية (ومن ثم الأوروبية) تنبه علماء «المصريات» والآثار الفرعونية مثل ماربيت وماسبيرو وبروجش وأحمد كمال (أول عالم آثار ومصريات مصري) وغيرهم عن طريق ترجمة النصوص بالدرجة الأولى ومقارنة الخصائص، أن هذه الآثار تخص أسراً فرعونية حاكمة لم تكتشف مقابرها بعد! وبذلت السلطات وعلماء الآثار جهوداً كبيرة للوصول إلى لصوص الآثار هؤلاء (عائلة عبد الرسول) دون جدوى وبعد عشر سنوات تم القبض على أحمد عبد الرسول ووضع في الحبس قيد التحقيق ثم أُفرج عنه بعد شهرين لعدم وجود أدلة أو شهادات تدينه.

إثـر هـذه الواقعة ظهر خلاف بين أفراد عائلة عبدالرسول مـا بيـن مؤيـد لكشـف الخبيئـة* للسلطـات ورافـض لهـذا والاستمـرار فـي نهبهـا والعيش مـن ورائها. وفـي النهاية ساد الـرأي الأول فتـم الكشـف عـن الخبيئـة وأعلـن مديـر الآثـار المصرية جاستون ماسبيرو في خطاب عالمي رسمياً اكتشافاً استثنائياً يضم 44 مومياء. وتم استخراج هذه المومياوات بعد أيام خلال 48 ساعة.

ولعائلـة عبـد الرسول الفضل أيضاً فـي الكشف عن مقبرة رمسيـس الثانـي. ورفضـوا المكافـأة بعشـرات الأفدنـة. وكان طلبهـم أن يسـك جنيـه إنجليـزي ذهـب توضـع فيـه صـورة عبدالرسول مثل ملكة بريطانيا، وتم سك عملة باسمه يوجد منها نسخة بالمتحف البريطاني.

من واقعة الخبيئة هذه استوحى المخرج المصري الراحل فيلمـه الروائـي الأول «المومياء» أو «يـوم أن تُحصى السنين» 1969.

يبدأ الفيلم بلقطة للنص الفرعوني:

«يا من تذهب ستعود،

يا من تنام سوف تنهض،

يا من تمضي سوف تبعث،

فالمجد لك،

للسماء وشموخها،

للبحار وعمقها.»

على خلفية جزء علوي من تابوت لمومياء ثم تنزل العناوين ثـم المشهـد الافتتاحـي لاجتمـاع صغيـر دعـا إليـه «جاستون ماسبيرو» وحضره «أحمد كمال» وآخرون يحدثهم عن تسرب قطـع آثارية تعود للأسرة الفرعونية الحادية والعشرين التي لـم تُكتشـف مقابرهـا بعـد وأن الشخـص المجهـول (اللص) موجود في القاهرة.

يليه المشهد الرئيس عن مراسم جنازة «سليم» زعيم قبيلة الحربـات ودفنـه. وإطلاع العـم نجليّ الراحـل ونيس وشقيقه الأكبـر علـى سـر الخبيئـة. يرفض الابـن الأكبر مـن البداية بشـدة ويدفع حياته ثمناً. أما «ونيس» فيعيش صراعاً يحسمه فيذهب إلى «أحمد كمال» في السفينة الرسمية ويكشف له سر الخبيئة. وعلى جنح الظلام قريباً من الفجر يتم نقل توابيت المومياء إلى السفينة في موكب مهيب.

تطـور الصـراع الداخلـي لـدى «ونيـس» يحدث بـذكاء من السيناريسـت (شـادي) وكاتـب الحـوار (بالفصحـى السهلة) «عـلاء الديـب»! فـي البدايـة يكون «ونيـس» مصدومـاً بالسر الـذي باح لـه العم به ثم يأنف من سرقة ثـروة الموتى وبيعها ولكنـه يعـرف أن هـذا مصـدر عيـش القبيلـة ورفاهيتهـا. ثـم يتكشـف له صراع بين شبـاب القبيلة ممثلين بثلاثة من أبناء عمومتـه وشيـوخ القبيلـة على اقتسـام الكنز المخبـوء! ولكن لحظة التنوير لديه عندما يخبره العالم الغريب أن الأفندية (أحمـد كمال ومساعديه) يسمون أصحاب المقابر بالأجداد!

هنـا يصل الصـراع ذروته ولكنـه يُحسم عندما يخبـره «مراد» بمقتـل أخيـه الأكبر. فيكشـف سر الخبيئـة للأفندية.. ولكنه يعاني من جراء فضحه سر قبيلته فيجري هائماً مذهولاً.

شادي عبدالسـلام مفتون بالتاريخ الفرعونـي، (ولذا لقّبه محبوه والنقـاد بالفرعون؛ فرعون السينمـا المصرية. ولكن البعض أطلق ذات اللقب على عمر الشريف!) وهنا يقدم قصة بسيطـة لا تعقيـد فيها، بأسلوب سينمائي رفيـع، وسرد فيلمي متميـز. ومع أن الحبكة أقرب للقصـة البوليسية: البحث عن لصوص آثار. إلا أن الفيلم أشبه بالحلم! فهو وإن كان بالألوان الطبيعيـة إلا أن الألـوان فيه باهتة علـى الأغلب خصوصاً في مشاهد الجبل! وساهم في هذا الموسيقى الغرائبية المترقبة للإيطالي «ماريو ماشيمبيني».

ومع أنه متخصص بالعمارة من كلية الفنون الجميلة إلا أن «شادي» رسام، ومصمم مناظر، ومهندس ديكور، ومصمم أزياء (هو مصمم أزياء الفيلم) ولذا اهتم بالصورة من كل جوانبها وتكوينهـا وتوازنهـا وإيحائهـا واستخـدام تباين لـون العمامة والثوب الأبيض مع الرداء الأسود فوقه.

بل هو مفتون أيضاً بجعل الحركة من مكونات الصورة فلا يختـل توازنهـا بفعـل الحركة وخصوصـاً الحـركات المركبة! أحـد الأمثلـة: عندمـا يمشـي «ونيس» خلـف الكثيـب الأصفر بعكـس منحدره متابعاً تحية فرقة الشرطة لوفد الآثار فيكاد يختفـي ولكنه يرتقي الكثيب فيلفت نظـر «أحمد كمال» الذي يسير باتجاهه!

كان شـادي فـي الموميـاء يتحاشى الإضـاءة الصناعية قدر الإمكان فيصور المشاهد التي تدور صباحاً في الصباح، والتي تـدور عصراً فـي العصر وهكذا! أما الجـزء الأخير من الفيلم وهـو نقـل التوابيـت إلـى السفينـة وطولـه 12 دقيقـة ويتكون مـن 28 لقطـةً فقـد صوّر «شـادي» كل لقطة في يـوم واحد أي استغرق تصويرها 28 يوماً. ففي سبيل عدم استخدام الإضاءة الصناعية تم تصوير كل لقطة في «الصُبح» أي ما بعد الفجر وقبل شروق الشمس!!

الفيلـم ذو إيقـاع بطـيء فهو يعتمد على اللقطـات الطويلة زمنيـاً ولهـذا جـاء سيناريـو ما بعـد التنفيـذ 45 صفحة بينما مـدة الفيلم تبلـغ الساعتين! ولعـل هذا ما جعـل المشاهدين يعزفون عنه وربما بالإضافة إلى اللغة الفصحى. ولكنه تحفة سينمائية وجدير بالمشاهدة!

حصل الفيلم على جوائز عالمية متعددة ومازال يحظى بالتقدير أينما عُرض. وعام 2009 قام المخرج الأمريكي «سكورسيزي» بترميم النسخة الوحيدة منه في مؤسسته المخصصة لترميم كنوز السينما من الأفلام وتم عرض الفيلم في مهرجان كان ذلك العام. ويعتبره معظم النقاد والسينمائيين العرب أفضل فيلم عربي.

* الخبيئـة فـي علم المصريات (بالفرنسية Cacher) هـي مجموعة الآثار التي أُخفيت عن الناس بقصد حمايتها من اللصوص على الأرجح.

موسيقى المخاض

محمد هدار: المغرب

قلمٌ وشعاع ضوء من أعلى يضيء المكان الذي يجلس فيه الشاعر..

مسرح مفتوحٌ على كل المارة في الشارع، لا ستار ولا كواليس ولا حتى مخرج، أو مهندس صوت أو إنارة..

كل شيء على السجية..

وأن يكون كل شيء على السجية ذاك هو أصعب تحدٍّ أمام الشاعر، ومن يقابله في تلك الجلسة، ضاماً إلى صدره آلة موسيقية تحمل في بطنها أبناءه. ولادتهم ليست رهينة بأيام أو أشهر، هي متوقفة على مدى بقاء الشاعر على طبيعته

لا يتصنع قلمه المشاعر..

وأن يكون مصيرك مرتبطاً بأيام أو أشهر، أرحم من أن يكون رهيناً ببقاء شاعرٍ على سجيته، وسط شارع يغص بالمارة.

القلم بين أنامله يتراقص في قلق، كأنه شاب خجول في أول رقصة له مع حبيبته.. يراقصها وعيناه لا تفارقان شفتيها المكتنزتين الحمراوين كحبتي فراولة.. متردداً.. كان يقترب منها شيئاً فشيئاً، إلى أن أطبق شفتيه على حبتي الفراولة..

وكتب..

وتراقص الأطفال في رحم الأم هناك بين يدي الأب الحزين.. ورقصوا رقصة الصف.. على أرضية رطبة لا تصدر صوتاً سوى أنين الأم.. واشتد المخاض..

واشتد الأنين..

واهتزت الأوتار، كل الأوتار..

أنامل الشاعر تنزف..

أنامل الأب هناك تنزف..

والمارة يبكون..

سقط القلم..

اكتملت الرقصة والقصيدة والمقطوعة..

ولا ستار ليسدل.









تمبكتو

غضب الطيور والتاريخ

د.ناصر أحمد سنة: مصر

يعتبر فيلم (تمبكتو.. غضب الطيور) أنضج عمل سينمائي موريتاني، فهو يترجم إبداعات الموريتانيين وموروثهم الثقافي، وحصيلتهم من الفن السابع. حيث نافست به موريتانيا لأول مرة في مهرجان (كان) السينمائي. كما أنه يلقي الضوء الكثيف ويُذكر بمدينة (تمبكتو) التاريخية المهمة، منارة العلم، ومنجم المخطوطات. ويعكس (غضب التاريخ) لها عندما يرى ما صارت إليه.

كان الموريتانيون قد أطلقوا اسم (سيارة العفاريت)، على الشاحنة التي جاء بها الفرنسيون لتقديم عروض سينمائية متنقلة لهم منتصف القرن الفائت. ثم وصل إليهم الفرنسي (غوميز) ومعه شاشة كبيرة، وافتتح عدداً من دور السينما. ومن ثم آلت ملكيتها إلى (أبي السينما الموريتانية)، ورجل الأعمال (همام أفال). الذي أنتج أيضاً ثلاثة تسجيلات سينمائية هي: (تيرجيت)، و(ميمونة)، و(بدوي في الحضر). شكلت أساساً لعلاقة الجمهور بالسينما المحلية.

ثم توقفت السينما المحلية الموريتانية ردحاً من الزمن أسيرة لبعض المنتجات العابرة. وذلك في ظل غياب التجهيزات، وكتّاب السيناريوهات، والممثلين. كذلك لسطوة تأثير التليفزيون الموريتاني، وظهور الفضائيات، ومحلات بيع وإعارة أشرطة الفيديو. فضلاً عن نأي الشباب عن الفن واعتباره رافداً طارئاً على ثقافة البلد الأصيلة. ومن ثم غياب الرعاية الرسمية وضعف الاهتمام الشعبي الذي يعدّ من أهم روافد تحديث السينما. لكن مع بداية الألفية الثالثة، اختلفت النظرة وتوفر المفقود من دعائم السينما. وبسبب الوعي الذي راكمه بعض المهتمين مما شكّل نقطة انطلاقة لتأسيس جذور قوية للفن السابع الموريتاني.

أثار الفيلم موجة من الانتقادات في موريتانيا قابلتها موجة دفاع على مواقع التواصل الاجتماعي.. فاعتبره البعض نقلة نوعية للسينما بينما عده آخرون عملاً أيديولوجياً

ثم ظهر الشريط السينمائي (تمبكتو.. غضب الطيور) كنقلة نوعية في هذا المضمار. وهو حصيلة لإنتاج ضخم شارك فيه سينمائيون ينتمون إلى 35 جنسية بينها 15 من الأوروبيين. قام بإخراجه المخرج الموريتاني (عبد الرحمن سيساغو). وهو من أهم وأشهر المخرجين الموريتانيين والأفارقة. فهو (محارب عتيد) في بلد لا يملك صناعة سينمائية، ولا تدخل السينما في حيز اهتماماته، لكنه استطاع القفز به إلى منصة أشهر مهرجان سينمائي. وكان قد برز اسمه ككاتب ومخرج من خلال أفلام عالجت الهجرة، والبطالة، والعولمة وديون العالم الثالث ومعاناة الدول الأفريقية. كما عمل مستشاراً للرئاسة في نواكشوط لمدة ثلاث سنوات.

وشارك الفيلم في الدورة السابعة والستين لمهرجان (كان) السينمائي الدولي. ونافس على جائزة (السعفة الذهبية) كبرى جوائز المهرجان. كما فاز العمل بجائزتين إحداهما جائزة (الديانات) في مهرجان (كان)، وجائزة تقديرية من لجنة تحكيم المهرجان. وحظي بإشادة كبيرة، وتقويم نقدي إيجابي. ويناقس لحصد إحدى جوائز مهرجان (الأوسكار) العالمية. لذا ذرف (سيساغو) دموعه في مهرجان (كان) تأثراً باحتفاء النقاد به وباسم بلده الذي شارك في مهرجان عالمي. وفي موريتانيا تم الاحتفاء بالعمل من خلال عرض رسمي وجماهيري. ففي احتفالية خاصة (الأحد 21 سبتمبر 2014) بقصر المؤتمرات في نواكشوط تم العرض الأول للفيلم بحضور الرئيس الموريتاني (محمد ولد عبد العزيز). في سابقة أولى من نوعها حيث لم يسبق لرئيس موريتاني أن حضر عرض فيلم سينمائي. مما يعد نقطة تحول في تبوء الفن السابع مكانة معتبرة في المجتمع.

وكان (سيساغو) قد غامر بالتصوير في مدينة (تمبكتو). وهي ما تزال غير مستقرة وتتعرض يومياً لهجمات مسلحة. وحين اشتد الصراع رحل مع أبطال فيلمه إلى مدينة (النعمة) و(ولاتة) الموريتانية، ومناطق محاذية على الحدود الموريتانية المالية، حيث تم تصوير أغلب مشاهد الفيلم.

ويروي الفيلم، الذي تصل مدته إلى 97 دقيقة، الصيرورة التاريخية لمدينة هي مهد التراث والحضارة العربية والأفريقية في غرب القارة السمراء. فهي مدينة (تينبكتو) أو (تمبكتو)، Timbuktu من أعمال شمال شرقي مالي، و(درة الحضارة في غرب أفريقيا، وجوهرة الصحراء المتربعة على الرمال). ولقد حافظت عبر العصور على تسامحها، وتعايش سكانها مع الوافدين إليها. ويقدم صورة مقربة لما عانته المدينة خلال الفترة الأخيرة من صراعات، وتأثير التدخل العسكري الفرنسي في مالي. مما جعلها ساحة مطاردات لا تعرف التوقف بين مقاتلين محليين وقادمين من بعيد لرصدهم. كما يروي الفيلم صراعات غيبت أو كادت تفعل ملامح المدينة العريقة، التي ظلت قروناً من الزمن (أنشودة) الصحراوي الباحث عن جذوره الثقافية. كما يشخص (غضب الطيور) جوانب من المعاناة اليومية للسكان على الحدود المالية الموريتانية.

منارة علم ومنجم مخطوطات

شكلت (تمبكتو) التي تأسست في أوائل القرن الخامس الهجري، الموافق لسنة 1080م، بوابة أقصى المغرب العربي، ملتقى القوافل التجارية البرية، وكذلك تجار الملح القادمين من (تودني). وأنجبت المدينة العديد من العلماء والأدباء والفقهاء، وازدهرت فيها الحركة العلمية والثقافية، وتعاقب عليها الغزاة. لكن أغلب سكانها من الأنصار والطوارق وحلفائهم والقبائل المتفرعة من الأشراف الأدارسة القادمة من الشمال المغربي وبعض القبائل الأخرى ذات الأصول العربية.

ولفتت (تمبكتو) الأنظار إليها كمركز إشعاع علمي، وتعمق أهلها بالإسلام، وحضارته، بعد رجوع ملك المندينغ (منسا موسى) من رحلة الحج الشهيرة التي قام بها عام 1325م. وزع السلطان في طريقه إليها آلافاً مؤلفة من سبائك الذهب، وبخاصة في القاهرة. مما تسبب في هبوط أسعاره، وقد أمر السلطان الشاعر الغرناطي الملقب بالسهيلي بتصميم جامع كبير والإشراف عليه (هو جامع تمبتكو القائم إلى اليوم)،







وكانت تلك النواة الأولى لبناء صرح علمي في (تمبتكو)، حيث صار مع مرور الأيام مركزاً للعلم. كما تبرعت امرأة من سركولو (إحدى القبائل المالية) ببناء جامع آخر فيما بعد، وقد ازدهر العلم مع تقاطر الطلبة من شمال وغرب أفريقيا عليها، وقد ساعد على ذلك الإنفاق السخي الذي قام به التجار على دور العلم، فكان أروع (تزاوج بين المال والمعرفة) في عروس الصحراء، إذ وصل عدد المدارس في ذلك الوقت إلى 180 مدرسة، تضم أكثر من 25،000 طالب، كما وصل مستوى التعليم في (تينبتكو) في ذلك الوقت إلى نفس المستوى الذي وصل إليه في قرطبة وتلمسان، والقاهرة. وخلال تلك الفترة الذهبية، ضمت المدينة العلماء والرحالة والأطباء في جامع جامعة (سنكوري)، يتباحثون في أرجائها، ويتبادلون المعارف والتجارب عبر المخطوطات التي نسخها وتناقلها طلاب العلم، وشكل هذا التبادل أساس التعليم في المدارس القرآنية.

وعُدت (تمبكتو) (منارة للعلم، وذاكرة حية)، وجسر مرور الحضارة العربية الإسلامية الوافدة من مصر والمغرب والأندلس (خصوصاً بعد سقوط مملكة غرناطة 1492م)، في القرنين الخامس عشر والسادس عشر. ففيها (القراءة نبع فياض، والتعليم تجارة رابحة). ولقد عادت، حديثاً، بمخطوطاتها المهمة إلى موقع الصدارة الثقافية. استحوذ (كنز المخطوطات)، حيث الكتب بوزن الذهب، وتُقايض بالمنازل، وتتناقلها العائلات، وتنقلها في حقائب أو أكياس على الطرق، وتحفظها، كتراث ثمين، عبر الأجيال؛ على اهتمام الأجيال الجديدة التي تحاول التعريف بها، وحمايتها من عوامل الزمن، وأذى المهربين.

تحتفظ (تمبكتو) بحوالي 200 ألف مخطوطة (منها نحو 2500 مخطوطة أندلسية مهمة)، كتبت بخط يدوي منمق، كان الغرض من بعضها تعليم الفلك الرياضيات. بينما كانت تحكي أخرى قصصاً من الحياة الاجتماعية ومن دنيا الأعمال أثناء (عصر تمبكتو الذهبي). فعلى الرفوف المسيَّجة، تطالعك أحكام قانونية، تشهد على النشاط التجاري الكثيف في تلك الحقبة. كما أن بيع وتحرير الرقيق، وأسعار الملح والتوابل والذهب والريش كلها واردة في المخطوطات الرقيَّة المسندة إلى مجموعة من الرسائل المتبادلة بين حكّام ضفتي الصحراء، والمزيَّنة بالزخارف الذهبية. وأغلبها وضع باللغة العربية، غير أن بعضها كتب بالحرف العربي فقط، تعبيراً عن مختلف اللغات الأفريقية كالبول والتاماشيك، مما يدحض فرضية تفرد التراث الشفوي بنقل الحضارة الأفريقية.

الذكاء الاصطناعي
الإشكاليات والخطورة







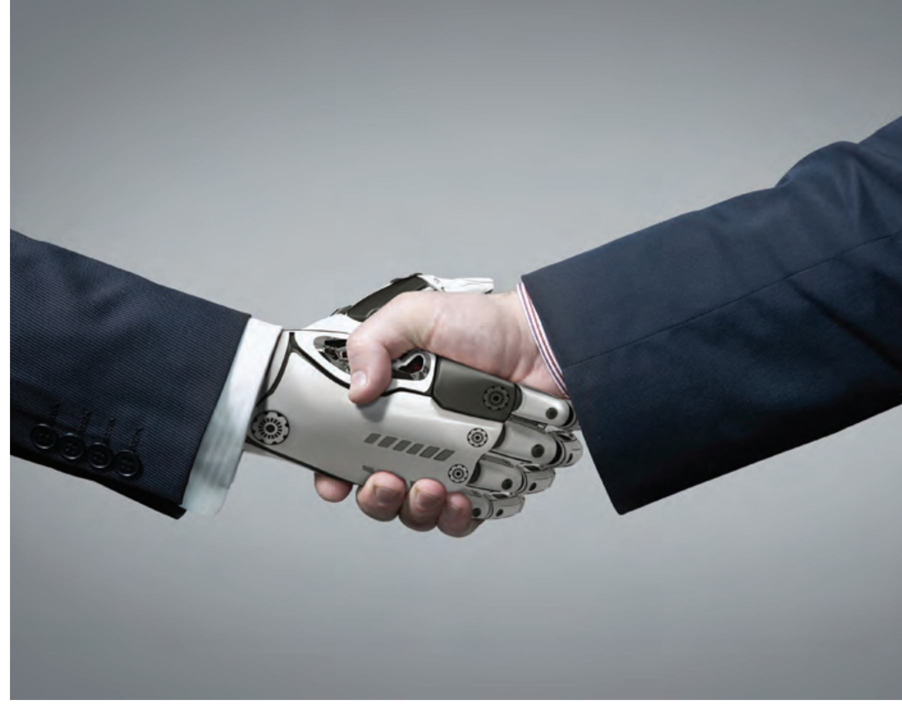
رضا إبراهيم محمود: مصر

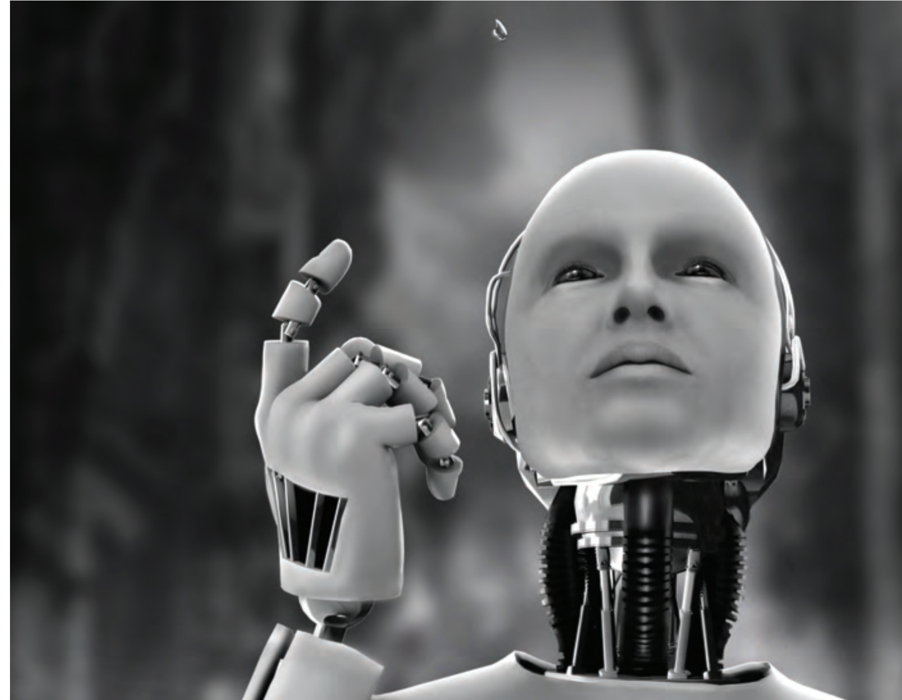
جرى تعريف أسلوب محاكاة العقل البشري، أو (الذكاء الاصطناعي)، على أنه الذكاء الذي تبديه الآلات والبرامج بما يحاكي القدرات الذهنية البشرية وأنماط عملها، مثل القدرة على التعلم والاستنتاج ورد الفعل على أوضاع لم تبرمج في الآلة، كما أنه اسم لحقل أكاديمي يعنى بكيفية صنع الحواسيب والبرامج القادرة على اتخاذ سلوك ذكي، ويعرف كبار الباحثين الذكاء الاصطناعي بأنه دراسة وتصميم أنظمة ذكية، تستوعب بيئتها وتتخذ إجراءات تزيد من فرص نجاحها، في حين يعرفه آخرون بأنه علم وهندسة صنع الآلات الذكية.



تعلم واستنتاج ورد فعل

والذكاء الصناعي هو سلوك وخصائص معينة تتسم بها البرامج الحاسوبية، تجعلها تحاكي القدرات الذهنية البشرية وأنماط عملها، ومن أهم هذه الخاصيات القدرة على التعلم والاستنتاج ورد الفعل، على أوضاع لم تبرمج





في الآلة، وهناك الكثير من المؤلفات عرّفت الذكاء الاصطناعي، على أنه دراسة وتصميم العملاء الأذكياء، والعميل الذكي هو نظام يستوعب بيئته ويتخذ المواقف التي تزيد من فرصته في النجاح لتحقيق مهمته أو مهمة فريقه، وفي عام 1956م قام عالم الحواسيب (جون مكارثي) بصياغة ذلك المصطلح بالأساس، وعرفه بنفسه بأنه علم وهندسة صنع الآلات الذكية، وقد تأسس هذا المجال على افتراض أن (ملكة الذكاء)، يمكن وصفها بدقة بدرجة تمكن الآلة من محاكاتها، وهذا يثير جدلاً فلسفياً حول طبيعة العقل البشري وحدود المناهج العلمية، وهي قضايا تناولتها نقاشات وحكايات أسطورية وخيالية وفلسفية منذ القدم.

وهناك من العلماء، من أكد بأنه من الممكن من الناحية التقنية (نسخ الدماغ مباشرة) في المعدات والبرمجيات، وأن هذا سيتم بشكل مطابق للأصل تماماً، ففي نهاية العقد الأول من القرن الواحد والعشرين، باتت أبحاث الذكاء الاصطناعي على درجة عالية من التخصص والتقنية، وانقسمت إلى مجالات فرعية مستقلة بشكل عميق، لدرجة أنها أصبحت قليلة ببعضها البعض، كما نمت أقسام المجال حول مؤسسات معينة، وعمل الباحثون على حل مشكلات محددة، وظهرت خلافات في الرأي نشأت منذ زمن، حول الطريقة التي ينبغي أن يعمل وفقاً لها الذكاء الصناعي.

حقيقة واقعية ببعض المجالات

بدت محاكاة العقل البشري، ببعض المجالات حقيقة واقعية تحقق من خلاله إنجازات كبيرة، كالتعرف على الأشكال مثل الوجوه أو التعرف على خط اليد وغيرها في العديد من المجالات الأخرى، كما يتم استخدام الذكاء الاصطناعي في التشخيص والتحكم اللاخطي مثل التحكم بالسكك الحديدية، كما تستخدم (الروبوتات) وهي شكل من أشكال الذكاء الاصطناعي في المفاعلات النووية، وتمديد الأسلاك وإصلاح التمديدات السلكية تحت الأرض، واكتشاف الألغام.

وتستخدم الروبوتات كذلك، في الصناعات كصناعة السيارات والمعالجات وغيرها من المجالات الدقيقة، كما تم استخدام برامج الذكاء الاصطناعي في تحليل البيانات الاقتصادية مثل البورصة، ويستخدم أيضاً في الألعاب الحاسوبية، حيث تم تطوير نظرية الألعاب، وذلك بالاستفادة منه، حيث ساهم الذكاء الاصطناعي كثيراً في هذا المجال.

تطور علم التحكم الآلي

تعد بحوث الذكاء الصناعي، من الأبحاث عالية التخصص والتقنية، لدرجة أن بعض النقاد ينتقدون

تفكك هذا المجال، وتتمحور المجالات الفرعية للذكاء الاصطناعي حول إشكالات معينة، وتطبيق أدوات خاصة حول اختلافات نظرية قديمة في الآراء، وتتضمن المشاكل الرئيسة للذكاء الاصطناعي قدرات، مثل التفكير المنطقي والمعرفة والتخطيط والتعلم والتواصل، والإدراك والقدرة على تحريك وتغيير الأشياء.

وفي منتصف القرن العشرين، بدأ عدد قليل من العلماء استكشاف نهج جديد لبناء آلات ذكية، بناء على الاكتشافات الحديثة في علم الأعصاب، ونظرية رياضية جديدة للمعلومات، وتطور علم التحكم الآلي، وقبل كل ذلك عن طريق اختراع الحاسوب الرقمي، تم اختراع آلة يمكنها محاكاة عملية التفكير الحسابي الإنسانية، وبحلول منتصف الستينات أصبحت تلك البحوث تمول بسخاء من وزارة الدفاع الأمريكية (بنتاجون)، وهؤلاء الباحثون كانت لهم توقعات حول الآلات بأنها ستكون قادرة في غضون عشرين عاماً، على القيام بأي عمل يمكن أن يقوم به الإنسان، وبمرور عامين فقط أكد العالم (مارفين مينسكاي)، على أنه في غضون جيل واحد، سوف يتم حل مشكلة خلق الذكاء الصناعي بشكل كبير.

نجاحات تقليدية وغير تقليدية

في أوائل الثمانينات، شهدت أبحاث الذكاء الاصطناعي صحوة جديدة من خلال النجاح التجاري للنظم الخبيرة، وهي أحد برامج الذكاء الاصطناعي التي تحاكي المعرفة والمهارات التحليلية لواحد أو أكثر من خبراء البشر، وبمنتصف الثمانينات وصلت أرباح أبحاث الذكاء الاصطناعي في السوق لأكثر من مليار دولار، وبدأت الحكومات التمويل من جديد، وفي التسعينات وأوائل القرن الواحد والعشرين، حقق الذكاء الاصطناعي نجاحات أكبر من الناحيتين التقليدية وغير التقليدية.

كما يستخدم الذكاء الاصطناعي باللوجستية واستخراج البيانات، والتشخيص الطبي والعديد من المجالات الأخرى في جميع أنحاء صناعة التقنية، ويرجع ذلك النجاح إلى عدة عوامل من أهمها، القوة الكبيرة لحواسيب اليوم، وزيادة التركيز على حل مشاكل فرعية محددة، وخلق علاقات جديدة بين مجال الذكاء الاصطناعي، وغيرها من مجالات العمل في مشاكل مماثلة، وفوق كل هذا بدأ الباحثون الالتزام بمناهج رياضية قوية ومعايير علمية صارمة.

تحديات فلسفية وتساؤلات عدة

لقد شكل الذكاء الاصطناعي، تحدياً وإلهاماً لعلم الفلسفة لزعمه القدرة على إعادة خلق قدرات العقل البشري، وظهرت تساؤلات عدة من أهمها هل هناك حدود لمدى ذكاء الآلات؟ وهل هناك فرق جوهري بين الذكاء البشري والذكاء الاصطناعي؟ وهل يمكن أن يكون للآلة عقل ووعي؟ وجاءت إجابات على تلك الأسئلة، أهما إذا كان الجهاز يعمل بذكاء يضاهي الإنسان، إذاً فذكاؤه يماثل ذكاء الإنسان، كما تفيد نظريات أخرى بأنه في النهاية، لا يسعنا إلا أن نحكم على ذكاء الآلة بناء على أدائها، وتلك النظرية تشكل أساساً على العديد من الاختبارات.

ثم برزت (أطروحة دارتموث) المقدمة في عام 1956م، إذ يمكن من خلالها وصف كل جانب من عملية التعلم، أو غيرها من مظاهر الذكاء بدقة شديدة تمكن الإنسان من تصميم آلة تحاكيه، ثم برزت تأكيدات لنظريات أخرى تؤكد أن الخبرات البشرية، تتشكل بشكل غريزي لا واعي، ولا تعتمد على التلاعب بالرموز بشكل واعي، فهي تتطلب أن يكون لدى الإنسان شعور بالموقف، حتى وإن لم تكن لديه المعرفة الكافية بالرموز، ثم وضعت نظرية أخرى حدوداً لما يمكن أن تفعله الآلات، بما أنها وضعت حداً لما يمكن استنتاجه حسابياً، ولكنها لم تضع حدوداً لما يمكن أن يفعله الإنسان، أعقبها نشوء فرضية حول الذكاء الاصطناعي القوي، حيث يمكن أن يكون للحاسوب عقل يماثل عقل الإنسان، إن تمت برمجته بشكل ملائم بالمدخلات والمخرجات الصحيحة، والتي تتطلب منا أن ننظر داخل الحاسوب، لنحاول أن نعرف أين قد يكون هذا العقل.

أينشتاين قال: (أخشى اليوم الذي تتفوق فيه التكنولوجيا على تفاعلنا البشري حينها سيصبح العالم جيلاً من البلهاء)

سمات إنسانية مصطنعة

يحدو معظم الباحثين الأمل في أن تدمج أعمالهم في نهاية المطاف في صورة آلة ذات ذكاء عام، تجمع كل المهارات السابق ذكرها، تتجاوز معظم أو كل القدرات البشرية، ويعتقد البعض أن هذا المشروع يتطلب سمات إنسانية مصطنعة كالوعي الاصطناعي أو المخ الاصطناعي، وكثير من العثرات تعد جزءاً لا يتجزأ من مسألة الذكاء الاصطناعي التام لحل مشكلة واحدة، ويجب حل كل هذه المشكلات، فعلى سبيل المثال، تتطلب مهمة محددة مثل الترجمة الآلية أن تتابع الآلة رأي الكاتب، ومعرفة ما يجري الحديث عنه، وإعادة كتابة نية الكاتب بأمانة الذكاء الاجتماعي، ولذلك يعتقد أن الترجمة الآلية وثيقة الصلة بالذكاء الاصطناعي التام، وقد يحتاج الذكاء الاصطناعي القوي لكي يترجم مثلما الإنسان.

ولا توجد نظرية موحدة، أو نموذج يوجه بحوث الذكاء الاصطناعي، واختلف الباحثون حول العديد من القضايا، ومن أكثر المسائل التي ظلت دون إجابة لمدة طويلة هي، هل ينبغي للذكاء الاصطناعي محاكاة الذكاء الطبيعي من خلال دراسة علم النفس أو علم الأعصاب؟ أم أن البيولوجيا

البشرية لا تمت بصلة إلى أبحاث الذكاء الاصطناعي، مثلما لا تمت بحوث بيولوجيا الطيور بصلة لهندسة الملاحة الجوية؟ وهل يمكن وصف السلوك الذكي باستخدام مبادئ بسيطة وأنيقة كالمنطق أو التحسين؟ أو هل يحتاج بالضرورة إلى حل عدد كبير من المشاكل غير المتعلقة ببعضها البعض؟ وهل يمكن إعادة إنتاج الذكاء باستخدام رموز رفيعة المستوى، على غرار الكلمات والأفكار؟ أم أنها تحتاج إلى معالجة شبه رمزية.

خوارزميات ومفاهيم من الاحتمالية

انقسمت إشكاليات محاكاة، أو خلق الذكاء إلى عدد من المشاكل الفرعية المحددة، وتتكون هذه من سمات أو قدرات معينة يود الباحثون أن يجسدها نظام ذكي، حيث الاستنتاج والتفكير المنطقي، والمقدرة على حل المشكلات، فقد وضع الباحثون الأوائل في علم الذكاء الاصطناعي الخوارزميات التي تحاكي التفكير المنطقي المتسلسل، الذي يقوم به البشر لحل الألغاز والاستنتاجات المنطقية، وأدت أبحاث الذكاء الاصطناعي إلى التوصل لوسائل ناجحة للغاية، للتعامل مع المعلومات غير المؤكدة أو غير المؤكدة، مستخدمة في ذلك مفاهيم من الاحتمالية والاقتصاد.

وبالنسبة للمشاكل الصعبة، فقد تتطلب معظم هذه الخوارزميات موارد حسابية كبيرة للغاية، ما يؤدي إلى انفجار اندماجي، حيث يصبح مقدار الذاكرة أو الوقت اللازم للحواسيب، عندما تتجاوز المشكلة حجماً معيناً، إذ إن البشر يقومون بحل معظم مشاكلهم باستخدام أحكام سريعة بديهية وليست واعية، بالاستنتاج التدريجي الذي تمكن الباحثون الأوائل في علم الذكاء الاصطناعي من محاكاته آلياً.

أشبه بـ(استحضار الشيطان)!

في إحدى مقولاته أكد آينشتاين قائلاً: (أخشى اليوم الذي تتفوق فيه التكنولوجيا على تفاعلنا البشري، حينها سيصبح العالم جيلاً من البلهاء)، وفي حالة الحديث عن خشية البعض من الذكاء الاصطناعي، فقد بات البعض يتخوف من أنه قد يعني سيطرة الآلات واضمحلال دور البشر، على الرغم من أن الواقع ما يزال بعيداً للغاية عن الاقتراب من هذا التصور، وجاءت تحذيرات تؤكد على أن تطور الذكاء الاصطناعي قد يهدد البشرية، فها هو الفيزيائي الكبير (هوكينغ) الذي يعد من أشهر المحذرين من مخاطر الذكاء الاصطناعي وقدرة الآلات على إعادة تصميم نفسها ذاتياً، جاء قوله في ديسمبر من عام 2014م صراحة أن تطوير ذكاء اصطناعي كامل قد يمهد لفناء الجنس البشري، محذراً من قدرة الآلات على إعادة تصميم نفسها ذاتياً.

كما أعلن (بيل جيتس) مؤسس شركة (مايكروسوفت) الشهيرة عام 2015م عن رغبته في بقاء الروبوتات غبية إلى حد ما، وقال: (أنا في معسكر من يشعر بالقلق إزاء الذكاء الخارق)، كما وصف المخترع والمستثمر الأمريكي (إلون موسك) في أكتوبر عام 2015م الذكاء الاصطناعي بأنه (من أعظم المخاطر التي تهدد الوجود البشري)، كما شبه تطوير الآلات الذكية بـ(استحضار الشيطان)!، مؤكداً في الوقت نفسه أنه على الرغم من الشكل البشري الذي تبدو عليه بعض الروبوتات البشرية، فإنها ما تزال حتى الآن غبية!، وذلك وفقاً لمقاييس الذكاء الاصطناعي.

خطورة تسليم الأمور للآلة

على غرار ما سبق حذّر دكتور (ستيوارث أرمسترونج) بجامعة أكسفورد، وهو الأستاذ بمعهد (مستقبل البشرية) من مغبة صناعة حواسيب فائقة الذكاء، التي في النهاية سوف تدمرنا نحن البشر حتى وإن تم برمجتها على عدم الإضرار بنا، كما تنبأ بمستقبل حيث تصبح الآلات المدارة بالذكاء الاصطناعي، لا غنى عنها في حياة البشر، وبالتالي سوف تتولى مسؤولية إدارة كافة المهام الموكلة إلينا، جاعلين منا نحن البشر مجرد كائنات ثانوية، أو بلغة أكثر دقة وواقعية كائنات زائدة عن الحاجة، إذ إن تلك الرؤية المشؤومة والمثيرة للقلق يمكنها أن تصبح حقيقة ملموسة خلال العقود القليلة القادمة، وأضاف دكتور أرمسترونج بقوله: (نحن البشر نقوم بتوجيه المستقبل ليس لأننا الأقوى أو الأسرع بل لأننا الأذكى، وبمجرد تفوق الآلات علينا في مسألة الذكاء نكون بذلك قد سلمناها عجلة القيادة، فهناك أفلام ودراما تلفزيونية عديدة، باتت ثير مخاوف البشرية من مخاطر صناعة الآلات، التي في النهاية لها القدرة على الهيمنة علينا نحن البشر).

كما أزاد أرمسترونج في حديثه فقال: (إن أي شيء يمكنك تصور أن تقوم به البشرية من مهام في المئة عام القادمة، يمكن أن ينهيه الذكاء الاصطناعي بدقة متناهية، وبسرعات فائقة، ورغم أن عملية تسليم المهام الحياتية إلى الآلات قد تبدو جذابة في ظاهر الأمر، إلا أنها تنطوي في داخلها على بذور نهاية العرق البشري، لأن بعض الأوامر أو التعليمات للآلات والتي تبدو في ظاهرها حميدة مثل أنه معين البشر، يمكن أن تؤول من منطق الحواسيب فائقة الذكاء، على إنهاء البشر جميعاً، وبالتالي إنهاء الاثنين معاً، علاوة على ذلك فتعليمات مثل حافظ على البشر آمنين سعداء، يمكن أن تترجم من قبل المنطق الرقمي عديم الرحمة، ادفن الجميع في توابيت خرسانية)!

الآلات ستكون قادرة في غضون عشرين عاماً على القيام بأي عمل يمكن أن يقوم به الإنسان

القلب
إذا هوى

سهيل نجيب مشوّح: الرياض

خَمسٌ عِجاف..
ودّعتها فرحاً، لأمضي خلف حلمي في حقول الجلّنارْ
وأرى دمشقَ -كسالف الأيّام- ترفل بالورودِ
وتنحني أشجارها من زحمة الأطيارْ
خمسٌ مضتْ.. وأنا هنا
ألهو بقلبي مثلما يلهو الصغارْ
وجعٌ.. وشوقٌ.. وانتظارْ
وتارةً مثل الكبارْ
أدري بأنّ القلبَ صار فراشة
يزهو برقصته الأخيرة فوق نارْ
•••
وإن اشتكى قلبي من الوجع الذي أُسقيه
قلتُ له:
ماذا يفيد القلب إنْ نأتِ الديارْ؟!
وتفرّق الأهلونَ قسراً في الجهاتِ
وأوغلوا في التيه
حتى مسّهم ذُلّ المنافي والحصارْ
ماذا يفيد القلب إنْ جاع الصغارْ؟!
ماذا يفيد القلب إنْ فقدوا براءتهم
وشبّوا مثقلين بخوفهم.. وبحقدهم
وترعرعوا بين الحرائق والبنادق والدمارْ؟!
ماذا يفيد إذا الصبايا لا تدقّ قلوبهنّ
لهمسةِ العشّاق في عزّ النهارْ؟!
ماذا يفيد إذا الأحبّة أصبحوا
صوراً على الجدران يعلوها الغبارْ؟!
ماذا يفيد إذا جلسنا حول مائدة الطعام
وشاشةُ التلفاز تبصقُ آخرَ الأخبارْ؟!
جوعٌ هنا.. موتٌ هناك.. ولا مغيث!
ولا نكفّ عن الطعام
ولم نبالِ بالضحايا بين أمواج البحار!

ماذا
يفيد
ا لقلب
إنْ ذُلّ
الكبار؟!
مـاذا يفيـد
القلـب إنْ غابَ
العبيرُ عن الحدائق
والقبـور تمـدّدت
فيها،
وهاجرتِ الطيورُ،
وماتتِ الأزهار؟!
مـاذا يفيـد (إذا المنيّـة أنشـبتْ
أظفارها)؟!
وإذا اليتامى والأيامى في العراءِ
تقاسموا بردَ الشوارعِ!
والمقابر أَغلَقَتْ أبوابها في وجههم!
فاستسلموا للواحد القهّار
ماذا يفيد إذا دمشق تصحّرتْ؟!
وإذا المجالس أقفرتْ، وتفرّق السُّمّار!
ماذا يفيد القلب ياروحي إذا القلب هوى؟!
هل يُطرِبُ الموّال دون الناي والمزمار؟!
•••
يا قلبي لن أرعاك بعد اليوم، إنّك خافق
وأنا بريء من عقوقك..
مُذْ ضَللتَ وخُنْتَني.. وخَذَلْتني
وتركْتَني كسفينة في لجّة الإعصار

إعداد : أحمد الواصل



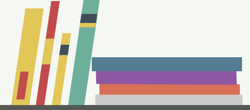
الكتاب: (البلابل لا تُغرد) - رواية
المؤلفة: أمل بورتر
الناشر: مؤسسة شمس للنشر والإعلام بالقاهرة 2016

تعالج الرواية مسألة تأثر الهوية بالصراعات المختلفة، من خلال ثلاثة أجيال لعائلة عراقية مسيحية ذات ثقافة شيوعية عايشت الأزمات والتغيرات السياسية والأيدلوجية والعرقية منذ نهاية الخمسينات إلى الوقت الحاضر، والانعكاسات التي نتجت عن النعرات الطائفية وتخلخل التماسك المجتمعي لمدينة بغداد.
كما ترصد الرواية الاختلافات الدينية في المجتمعات العربية، من خلال قصة حب تصطدم بأحكام وقوانين وطقوس تمنع الاختلاط، ليبرز الصدع المجتمعي الذي تخلفه الأديان والطوائف وراء أسوار الانغلاق، إضافةً إلى الشرح النفسي الذي يصيب أبناء هذه الديانات المختلفة، والتي ربما تعزز الاختلاف والانفصال بينهم.



الكتاب: رباعيات الخيام - بين الأصل الفارسي والترجمات العربية
المؤلف: عبد الحفيظ حسن
الناشر: سلسلة (كتابات نقدية) الهيئة العامة لقصور الثقافة 2016

يتناول الكتاب من منظور البحث الأدبي المقارن مجموعة كبيرة من الترجمات العربية التي تمت للنص الفارسي الشهير (رباعيات الخيام) مبيناً ما بينها وبين النص الأصلي من علاقات تباعد وتقارب، أمانة وعدم أمانة، وما تمليه اختلاف ثقافة المترجم ولغته بل واختلاف الثقافة التي يترجم إليها من تأثير على النص الأصلي المُتَرجَم، كذلك قدم الباحث د. عبد الحفيظ حسن قراءة نقدية مدققة في الترجمات التي أوردها فضلاً عن وقفته التحليلية المتأنية والرصينة لنص الخيام الشهير، ووضعه في سياقه التاريخي والأدبي والفلسفي.
الكتاب يضم ثلاثة أبواب هي على الترتيب: الأصول الفارسية لرباعيات الخيام، الترجمات العربية للرباعيات، وأخيراً: بين الأصل الفارسي والترجمة العربية.



الكتاب: كمال الصليبي - الإنسان والتاريخ
المؤلف: مجموعة مؤلفين
الناشر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات 2016

يستعيد عبد الرحيم أبو حسين، تلميذ الصليبي وصديقه وزميله في التعليم بالجامعة الأمريكية في بيروت، في بحثه كمال الصليبي الإنسان والمؤرخ حوادث دالة على شخصية الصليبي ومساهماته في الدراسات التأريخية، والتاريخ السياسي أو التقليدي، ونقد التاريخ، خصوصاً أن الصليبي أخضع مصادر التاريخ اللبناني للنقد، وانطلق في كتاباته التاريخية من منظور لبناني، ما أضفى عليها صبغة التاريخ المحلي. كما فتنته التفصيلات والغوامض التي صادفها في بحثه. ويقول أبو حسين إن الصليبي كان ميالاً إلى الكتابة عن فترات زمنية منفصلة من تاريخ لبنان، وفي حدود جغرافية محدّدة، بدلاً من كتابة تاريخ عام للبلاد، فجاءت أحكامه أشد حسماً، خالية من هشاشة المفارقات التاريخية التي تنتج من المزج بين فترات زمنية متمايزة داخل مساحة جغرافية واحدة.



الكتاب: صندوق النقد الدولي
المؤلف: أرنست فولف
المترجم: عدنان عباس علي
الناشر: سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت 2016

من الناحية الرسمية، تكمن وظيفة صندوق النقد الدولي الأساسية في العمل على استقرار النظام المالي، وفي مساعدة البلدان المأزومة، على تلافي ما تعاني من مشكلات. غير أن تدخلاته تبدو في الواقع أشبه ما تكون بغزوات جيوش متحاربة. فقد كان في كل تدخلاته ينتهك سيادة هذه الدولة أو تلك، ويجبرها على تنفيذ إجراءات ترفضها الأغلبية العظمى من المواطنين، وتخلف وراءها مساحة عريضة من خراب اقتصادي واجتماعي.

وفي هذه التدخلات لم يستخدم الصندوق أسلحة أو جنوداً، بل كان يستعين بوسيلة غاية في البساطة، وبواحدة من آليات النظام الرأسمالي: أعني عمليات التمويل.

ومضات من النور في «علم وخيال»



صدر عدد (يونيو 2016) من مجلة علم وخيال، وما زالت رحلة الخيال العلمي والعلوم مستمرة في العدد الذي يحمل الرقم 26.

نأتيكم هذه المرة بعدد من المقالات نتمنى أن تكون مستفزة لعقولكم لأقصى درجة، وأن تدفعكم للقراءة أكثر حول مواضيعها المختلفة التي تنوعت بين الخيال العلمي والعلوم.

بدأ العدد بمقال من المقالات التي تربط الخيال العلمي مع العلوم، ورواية أخرى من روايات ويلز، وموضوع من موضوعات الفيزياء الحديثة وهو الليزر. ورحلة أخرى عن التأثير المتبادل بين الخيال العلمي والعلوم.

يليه د.سائر بمقال عن مصطلح فيزيائي، وهو الأثير، وكيف كان ظهوره في الخيال العلمي؟

ولأول مرة تتشرف علم وخيال بأن يكتب لها د.محمد علي حسن واحد من علماء مصر، في خاطرة علمية سريعة، بها من الخيال العلمي ما يذكرنا بآرثر كلارك.

ثم إنفوجرافيك صغير يتحدث عن بعض الفروق بين مخ الذكر والأنثى، بواسطة طبيب المجلة أحمد إبراهيم.

ثم واحد من أفضل المقالات التي قرأتها في تصنيف تاريخ العلم، وهو مقال (ومضات من النور) لواحد من أعمدة المجلة، م.عبدالحفيظ العمري. ستستمتعون به كثيراً، لا ريب في ذلك.

ثم مراجعة لكتاب علمي يحمل بين طياته تجربة مريرة عاشها الكاتب المكلوم، وهو كتاب (يوميات السرطان) لـ(جورج جونسون).

ويُختتم العدد بقصة قصيرة جداً من الخيال العلمي، هي قصة (ما يمكن أن يفعله رضيع)، وتأتينا هذه المرة من تونس لفاتن رايدان رايسي.

إذاً، تخيلوا، وليكن خيالكم رشيقاً مهذباً، كما هو حال (الخيال العلمي). واتخذوا العلم طريقة للتفكير في حيواتكم، وانتظروا الفارق.

التنويري المجهول في «أدب ونقد»



صدر العدد رقم 351 من مجلة أدب ونقد / مايو 2016 من السنة الثانية والثلاثين. تأسست عام 1984م، وهي تصدر شهرياً عن حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي، يرأس تحريرها: عيد عبدالحليم.

ومن موضوعات العدد: دفاتر التنوير عن التنويري المجهول محمد عياد الطنطاوي 1810–1861: من بواكير الاستغراب (الاسم مكتوب بالخطأ على غلاف المجلة)، وابن بطوطة أمير الرحالة.

أما الديوان الصغير فاحتوى: متاهة إبراهيم- شعر: محمد آدم.

وفي مرايا نقدية: الإشكالية النقدية السبعينية، (الحريم) لحمدي الجزار: لوحات بورتريه، فؤاد قنديل في دولة العقرب، رواية (قهوة سادة) للسيد حافظ- مقام البوح على شرفة الجسد، آفاق المكان في ديوان (هواء العائلة) للشاعر شريف رزق، رواية (ثرثرة بلا ضفاف) لفاطمة يوسف العلي، تجليات الوعي بالآخر في (إنت متورط معايا) للشاعر أشرف عتريس، في تصاوير نيفين الرفاعي: تغريد الذات من الإسكندرية لقناة السويس.

وفي باب نصوص متنوعة لكل من علي عبد الكريم- أشرف البولاقي- جابر بسيوني- محمد أبو الدهب- سهير توفيق- أشرف الخريبي.

وانتهى العدد إلى مقالة وداعاً أمبرتو إيكو عاشق القرون الوسطى، وفي الصفحة الأخيرة مقالة الكولا وأخواتها- صنع الله إبراهيم.

الاحتفالات الإسلامية في مجلة «العربي»



العدد 691 من مجلة العربي - يونيو 2016م، مجلة شهرية تصدر عن وزارة الإعلام بالكويت. يرأس تحريرها: عادل سالم العبد الجادر.

محتويات العدد: حديث الشهر لعادل سالم العبد الجادر: شهر رمضان والاحتفالات الإسلامية. وفي فكر وقضايا عامة: محمود باكير: في ظلال الرياضيات. مصطفى النشار: قوة الثقافة العربية. وفي استطلاعات وتحقيقات: عبدالله عطية عبدالحافظ: فتح القسطنطينية.. ذكرى غالية تتكرر كل عام.

أما ملف العدد: رمضان كريم. هيا محمد: (الأمريكاني) من أول مشافي الكويت إلى متحف الفنون الإسلامية. فؤاد مرسي: عادات وتقاليد العرب في شهر رمضان.

أما في العربي في مثل هذا الشهر، أحمد فؤاد الأهواني: الغزالي.. مؤسس علم النفس الإسلامي.

وفي أدب ونقد ولغة: فاروق شوشة: جماعة (أبولو).. ثورة شعرية تجديدية. هند عبد الحليم محفوظ: رحلة شوقي إلى الأندلس. عادل القريب: عندما يرثي الشاعر المفكر. منذر فتح الغزالي: المتوالية القصصية.. هل تصبح جنساً أدبياً مستقلاً؟ عبد الكريم الرحيوي: جماليات التصوير في شعر المتصوفة. عبد المنعم عجب الفيا: خرافة (من المؤلف). رضوى الأسود: إليف شافاق وفلسفة الخلاص الصوفية. لويس ماتيو ديث: شجرة الزيزفون (قصة مترجمة)، ترجمة مصطفى سالم. ومن ترجمة محمد مصطفى: مختارات من شعر بوليفيا المعاصر.

وفي ديوان العربي: بشرى البستاني: شجن. لؤي صادق الزبيدي: صلاة.

أما في تاريخ وتراث وشخصيات: محمد لؤي توفيق: حلب.. مدينة عتيقة وحضارات عريقة، وصراعات لا تنتهي. محمد الأسعد: تراث الغناء الأفريقي.. سمات حضارية على حافة النسيان.

وفي باب فن: جمال عمر: دراسة تحليلية للنص المسرحي (محاكمة جان دارك) لبريخت. وفي باب علوم: على محمد الهاشم: جاسوس بمليون دولار. محمد سلمان المندعي: تحلية المياه بأغشية الجرافين النانوية. أحمد فؤاد باشا: خصوصيات التربية العلمية في الثقافة العربية الإسلامية.

وفي البيت العربي: محمد أبو غيور: المرأة العربية هل تؤدي دوراً ذا قيمة في السياسة والتنمية؟ أيهم العاني: زها حديد وأنا.. كل تصميم عظيم يبدأ بتخطي القيود. جهاد فاضل: في بيتنا مكتبة. منصور مبارك: الكاذبون وأنوفهم الطويلة.. الخديعة والحيلة في التواصل الإنساني.

وفي باب إلى أن نلتقي: محمد المنسي قنديل: كيف تكتب رواية؟ إلى جانب الأبواب الثابتة في المجلة شهرياً.

التعصب أو عسكرة القبيلة

الكتاب: توازن النقائض: محاضرات في الجاهلية وصدر الإسلام
المؤلف: سليمان بشير
الناشر: منشورات الجمل، 2015

يفضل القول قبل عرض مراجعة الكتاب بتعريف هذا الباحث العربي المنسي، سليمان بشير (1947-1991)، ولد في قرية المغار في الجليل شمال فلسطين. درس في الجامعة العبرية في القدس ونال درجتي البكالوريوس والماجستير متخصصاً في موضوع الشرق الأوسط. انتقل للدراسة في جامعة لندن ونال درجة الدكتوراه عن أطروحة (الشيوعية في الشرق العربي). عمل أستاذاً في جامعتي بير زيت في رام الله، والنجاح في نابلس بالإضافة إلى تدريسه في جامعته العبرية بالقدس.

وقد أصدر مجموعة من الأبحاث الأكاديمية والكتب.

يعد بشير ضمن مجموعة من الباحثين العرب الذين اعتنوا بدراسة تاريخ المرويات الإسلامية، وقد مهد لهذه المدرسة التي تكرست في الربع الأخير من القرن العشرين، فانطلق من دراسة تاريخ الحضارة العربية، حضارة الممالك العربية ما بين القرن التاسع قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي أي ما بين مملكة قيدار حتى مملكة الغساسنة.

وخصصت أكثر من دراسة حول التراث الثقافي العربي غير المادي، في حقول خصصت موادها حول المجتمع والدين والثقافة والعمران.

لعل أول هذه الكتب ما وضعه العلامة محمود شكري الألوسي (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب) (1896) ثم وضع القاضي محمد نعمان الجارم (أديان العرب في الجاهلية) (1923)، ونشر عبدالمعيد خان كتاب (الأساطير والخرافات عند العرب) (1937)، ومحمود سليم الحوت وضع كتاب (في طريق الميثولوجيا عند العرب) (1955).

وفي مرحلة لاحقة وضعت المفكرة أبكار السقاف موسوعتها (نحو آفاق أوسع: المراحل التطورية للإنسان) (1962)، وأعقبتها إسهامات المؤرخ جواد علي الذي أصدر موسوعة تاريخ العرب قبل الإسلام (ثمانية مجلدات)، (1956-1960)، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (عشرة مجلدات)، (1968-1974).

وتوالت من بعد ذلك مرحلة في دراسة التراث الثقافي غير المادي (اللغة، والمجتمع، والدين، والأسطورة) للحضارة العربية، سواء في عصر الممالك العربية، أو الخلافة الإسلامية، عند أكثر من باحث بإسهامات تستحق التأمل عند كل من نجيب البهبيتي وفراس السواح وسيد القمني وفاضل الربيعي وزكريا محمد.

ويأتي هذا الكتاب الذي ربما تأخر طويلاً لكي يخرج من حبسه الجغرافي إلى القارئ العربي، ولم يتسن ذلك في طبعتيه الأوليين (1978 و1984)، وإنما أتيح الآن في طبعة أخرجته إلى مساحات أولى به من سواه.

هذا الكتاب هو مجموعة من المحاضرات التي ألقاها بشير في جامعة بير زيت بين سنوات (1977-1978)، وقد وضع محددات منهجية لما أنجزه من محاضرات، وهي:

- يشكل البحث العلمي في التاريخ عملية تراكم مستمرة في محاولات استخلاص خبرات الماضي الذي يرتبط بدوره ويؤثر في الحاضر.
- فهم العربي ووعيه لتاريخه يرتبطان بمسألة تكوينه في الحاضر ويؤثران في وعيه لهذا التكوين أيضاً.
- تستحق المرويات التاريخية الإسلامية، عن عرب الممالك العربية (أو الجاهلية)، وعرب الخلافة الإسلامية، أن تبحث في حيز معطيات البيئة والمناخ والموقع الجغرافي والمصالح الاقتصادية والتشكيلات الاجتماعية والمعتقدات والبنى الذهنية التي تنتج عنها وتعكسها من ناحية، والتي تمكننا العلوم الاجتماعية المعاصرة من فهمها وتقييمها بشكل علمي من الناحية الأخرى.

وأما عناوين تلك المحاضرات فهي كالتالي: المراكز الحضارية الأولى على أطراف الجزيرة العربية، على



طريق القوافل التجارية - مكة، قريش مجتمع الاستقرار الحضاري والسياسي، المجتمع القبلي في الجزيرة العربية قبل الإسلام، الدعوة الإسلامية وتوازن النقائض التاريخي، حفظ التوازن ومسألة الخلافة في الإسلام، اختلال التوازن - حروب الردة، الفتوحات الإسلامية، حفظ التوازن وبناء الدولة الإداري، اختلال التوازن - الفتنة على عثمان والصراع بين علي ومعاوية.

ومن هنا يعتني بشير إلى قراءة تاريخ المراكز الحضارية كمملكة الأنباط (عاصمتها البتراء)، ومملكة تدمر (عاصمتها تدمر)، دولة المناذرة (عاصمتها الحيرة)، دولة الغساسنة (عاصمتها الجابية) من خلال المقومات التاريخية كالبيئة المناخية، والموقع الجغرافي، والطابع القبلي، وتأتي دراسة مكة المكرمة عبر دورها السياسي والاقتصادي السابق للدعوة الإسلامية.

وظهور الدعوة الإسلامية أدى إلى مجموعة من التوازنات الجديدة كما بدت بعض النقائض من التعامل مع الدعوة عند من رأى فيها مصالح لا ديناً خالصاً.

يقر بشير بمعطيات أساسية، ولعل أولها أن جغرافية الجزيرة العربية على (طريق الإمبراطوريات)، فالسيطرة عليها أمر ضروري للقوى السياسية والإمبراطوريات إما بتوسيع النفوذ وإما المحافظة على نفوذها، إذن فهي محل صراع قوى سياسية.

وثانيها أن جميع ممالك ودول المنطقة كانت تجد نفسها جزءاً من ميزان قوى وتحالفات دولية نبعت عن صراع تلك الإمبراطوريات لتلك السيطرة وارتبطت به في علاقاتها مع بعضها بعضاً. وثالثها أن محاولات توحيد تلك المنطقة تصطدم بمصالح ونفوذ تلك القوى وانهيار هذه الأخيرة وتقليص نفوذها (بالنسبة لأوروبا العصور الوسطى على الأقل) عقب الفتوحات الإسلامية.

وأما على المستوى الاقتصادي والاجتماعي، فإن جفاف المنطقة من ناحية ووقوعها على خطوط التجارة الدولية من الناحية الأخرى أدى إلى أن تنشأ المراكز الحضارية الأولى كمحطات على طريق قوافل تجارة الترانزيت وحيث توفر الماء في الأساس.

يقدم بشير ملاحظات مهمة على مكونات المجتمع العربي في نهاية عصر الممالك العربية وبداية الدعوة الإسلامية، واستحكامها في التاريخ اللاحق.

فمن ملاحظاته أن التعصب للقبيلة يشكل الوجه الآخر (الأخلاقي إذا صح التعبير) للحاجة في الإبقاء عليها كوحدة عسكرية مقاتلة ومتماسكة، الأمر الذي يعطي رابطة الدم بالنسبة للبدوي قدسية مطلقة. وأن الدور السياسي الذي بدا يشكل التاريخ اللاحق اتسم بالازدواجية انعكست على تطور البنية الاجتماعية لتلك المراكز الحضارية من البداوة القبلية حضارة الاستقرار في ذلك الوقت.

ولعل الدور القبلي الذي تحول إلى سيولة بشرية مؤثرة في أحداث سياسية مثل معركة ذي قار، ثم في حرب الفجار. وهذا ما استفادت منه قيادات قريش وفروعها المؤسسة للخلافة الإسلامية التي استلهمت أن السيطرة السياسية لأرستقراطية المدن التجارية تقوم على بنى اجتماعية عشائرية تكون لها استمداداتها داخل مدن المشرق وتجمع بين امتيازاتها العقارية (أو حتى الرعوية) في تلك البيئة ونشاطها التجاري.

وينتهي بشير إلى أن التعصب القبلي هو الذي أفضى إلى كثير من النزاعات التي استمرت في التاريخ الإسلامي حتى عندما تمددت الخلافة الإسلامية إلى حواضر جديدة مثل دمشق وبغداد التي نقلت الصراع القبلي إلى واجهة جديدة اتخذت صوراً طائفية وأخرى عشائرية تمددت في القاهرة حتى غرناطة والحمراء في الأندلس. ويعزو إلى أن الكثير من القضايا العالقة في التاريخ الإسلامي سببتها الكثير من المرويات التاريخية التي تحكمها أهواء مؤرخيها على أنها تتناقض ولا تتوازن.

الإداري الشاعر
عبد الله القرعاوي (1933 - 2006)

تأتي الكتابة عن هذا الشاعر الذي حمل لقباً ثانياً إلى لقب شاعر أي مقل بحسب الوصف الدارج عنه وذلك ليس لأنه شاعر مقل، ولا لكونه إداري من الرعيل السعودي الأول، ولا لكونه إعلامي من ذات الرعيل أيضاً جمع بين العمل الإداري والكتابة والاستمرار شاعراً..

إن ما يميز عبد الله القرعاوي أنه عاش حياته كما يمكن أن تكون على كثرة العراقيل التي مر بها وتعنت أصحاب القرار من إضاعة فرص دراسته أو حتى وظائف استحقها لكنه حظي بمجموعة من التربويين السعوديين والمصريين سواء في مدرسة تحضير البعثات حين درس بين عامي 1942- 1950 مثل الأستاذ عبد الله عبد الجبار أو عبد الله بغدادي، أو في جامعة الإسكندرية بين عامي 1952 - 1959 على يد كبار المعلمين.

وقد استطاع أن يترك سيرة مهنية إدارية وإعلامية حافلة أنتجت تلامذته فكبروا على يديه، وأثمرت منذ بداية كتاباته النقدية (للحقيقة والتاريخ) (مجلة صوت البحرين 1950)، وانطلاق زاويته الصحفية الشهيرة (قوس قزح) التي تنقلت بين الصحف والمجلات، ومذكراته التي نشرها، بالمجلة العربية، حلقات منجمة في 45 حلقة ثم جمعها في (ذكريات نصف قرن) (2003)، والديوان الشعري الذي أعده مخطوطاً بعنوان (نورة الخزامى) وظهر ضمن الكتب المعدة للنشر في دار الصافي عام 1989 إلا أنه لم ينشر، فتولى جمع قصائده ابن خالته عبدالعزيز الخويطر في ديوان معد وقتها بعنوان (صدى البوح) (2006)..

تسجل قصائده البواكير عن تأثره بالتيار الرومانسي الذي تمثله مدرسة أبولو المصرية، كذلك حركة شعر الحداثة العراقية، ولأنه لم يكن شاعراً غزيراً إلا أن شعره شاهد على جيله ثقافياً، وقد سجل ذلك في مذكراته في الحلقة (27) بعنوان (ذكريات البدايات)، وخلال عقود الأربعينات والخمسينات كتب الشعر متقطعاً ثم توقف لفترة منذ عام 1980 حتى نهاية عقد التسعينات.

وحين كرِّم في اثنينية عبد المقصود خوجة عام 1995 تحدث عنه الكثيرون منهم المربي عثمان الصالح، ورضا عبيد، وعبد الله مناع زميل الدراسة في جامعة الإسكندرية، وحمد القاضي زميل الدراسة في مدرسة تحضير البعثات، وخصص له عدد من الجزيرة الثقافية عام 2003 كتب عنه الكثير ممن زاملوه منهم الأستاذ عبد العزيز السالم زميله في مدرسة تحضير البعثات، والأكاديمي منصور الحازمي الذي زامله في جامعة الملك سعود وآخرون..

وقد درس عبدالله القرعاوي في المدرسة السعودية بعنيزة عام 1939 ثم أكمل في المدرسة السعودية الابتدائية بمكة المكرمة (1941)، وأتم تعليمه المتوسط والثانوي في مدرسة تحضير البعثات بمكة المكرمة (1950)، وبعدها انتقل إلى الدراسة عام 1952 ما بين جامعة القاهرة والإسكندرية وتخرج بالثانية بدرجة ليسانس الآداب من قسم الاجتماع والفلسفة وعلم



النفس عام 1959، ثم أكمل دراساته العليا ما بين ألمانيا (1960) والولايات المتحدة الأمريكية (1965)، وبريطانيا (1976).

وتسلم وظائف عدة أولاها في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية عام 1962، فمركز التدريب المهني، فجامعة الرياض ثم إلى وزارة الصناعة والكهرباء، واختير عضواً في مجلس الشورى في دورته الأولى.

ابتدأ العمل في الصحافة منذ يفاعته فقد اشترك في تحرير مجلة الشباب، أثناء دراسته في مدرسة تحضير البعثات عام 1942 وترأسها محمد الفريح وحررها عبد الله النعيم وحمد القاضي وصالح المتروك والقرعاوي نفسه الذي نشر أشعاره المبكرة التي اختير منها قصيدتان في كتاب (المسامرات الأدبية) لعبد الله بغدادي، لكن مقاله (للحقيقة والتاريخ) المنشور في مجلة صوت البحرين، لفت النظر إليه ليس بين زملائه بل في المشهد الثقافي وقتها ثم شارك أثناء دراسته في الإسكندرية منذ العام 1952 في صحيفة (المرآة) التي يحررها عبدالرحمن التونسي وعبدالله الجهني ونشرا مختارات من النصوص في كتاب (طلبة البعثات السعودية في المرآة)، فأعاد عبد الله بن إدريس نشر مختارات من نصوصه في كتاب (شعراء نجد المعاصرون)، وبدأ الاحتراف الإعلامي حينما عمل مديراً عاماً لمؤسسة اليمامة الصحفية (1962 - 1977) وبدأ ينشر زاويته فيها بعنوان (قوس قزح)، ونقلها إلى مجلة اليمامة، ثم إلى المجلة العربية عام 1996 التي نشر فيها مذكراته في 45 حلقة جمعها في كتاب (ذكريات نصف قرن) (2003) بالإضافة إلى استمراره في كتابة القصائد ونشرها، منذ عام 1980 في صحيفتي الرياض والمدينة، وفي مجلة اليمامة والمجلة العربية والفيصل والتوباد حتى آخر ما كتب عام 1998، وأعد ديوان (نورة الخزامى) ولم ينشر، واعتنى بنشر ديوانه مجموعاً ابن خالته العم عبد العزيز الخويطر في ديوان بعنوان (صدى البوح) (2006).

درس شعره في كتاب (التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية) (1959) لعبد الله عبد الجبار، وفي كتاب (شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب) (1979) لعبد الكريم الحقيل، ويبقى أن تجمع زاويته (قوس قزح) بالإضافة إلى قصائده الأخرى لتشكل أكثر من مجلد إلى جانب مذكراته التي نشرها في حياته..

بَعث

شيرين طلعت: مصر

تعالت الأصوات وتدفـق من الحناجر لون أحمر، تناهى إلى سـمعه صوتها مبللاً رطبـاً على قلبه، تطبق عليه فتنـز مـن بين أصابعهـا كل ما هو أسـود، تطهر قلبه، وتزداد نبضاته شـوقاً لتواصل الإطبـاق عليه ولا تتركه، يرتعش نشـوة بهذا الصوت يرتفع النشـيج في صدره، ويهمس زينب... زينب... زيييينب.

يغمض عينيـه هنيهة، ويزفر بقوة.. يكاد يُقسـم تلك الشجرة البعيدة طولياً إلى نصفين.

تفرّس الوجوه كاد يلمسـهم، يمد يديه أكثر فأكثر ولا يستطيع، أصابعه تستطيل بلا جدوى، ويعلو الصوت.

تجحـظ عيناه، لتلتقـط صورتها من بينهـم كي يحظى بها، فيفر الدمع ولا يراها بينهم.

ترتفع الأصوات متزاحمة، ينتقي صوتها ويستند عليه، يتأوه..

تسقط أوراقه واحدة تلو الأخرى..

ريـاح تعصـف بذاكرتـه.. ورقـة ميـلاد يتقدمها اسـمه وتتبعـه بعد ذلك أسـماء مجهولة لم يشـاهدهم، لا يربطهما سوى حبر!

أبـوه الـذي لم يره طـوال الأربعيـن عامـاً المنصرمة، جـاء إلى الدنيا من احتمال ضعيف، توقعوا وفاته فور ولادتـه ولم يحدث، أصدر صوتـاً عالياً أخبروه فيما بعد أنه لم يتوقف عن البكاء وصوته كان مزعجاً وغريباً.

كان يحاول أن يلفـت نظرهم له ولكن مع مرور الوقت خفـت صوته، تضـاءل حجمه بينهم وهـو ينمو ويحبو على أربع ويتحرك دون مسـاعدة، ها هو يحاول إخراج صوت من بين الأصوات، فلا أحد يسمعه!

تعلـو الأصوات لإسـقاط ورقـة وفاة والدتـه التي لم يشـم رائحتها، فقـط كفنها الذي لم تكن فيه سـوى رائحـة الموتـى الذيـن اعتـاد أن يجـري لهم إجـراءات الدفن وتزكم أنفه بها.

لـم يبكِ عليهـا مثلما فعل على زوجهـا عم محمود.. قالـوا إنه يشـبهه كثيراً، لم يشـاهده إلا وهو يحتضر، ضمـه بقوة آنـذاك.. وحـاول العـم محمـود أن يضمد جرحـه، يلقي عليه بعض الرسـائل التـي كتبتها أمه له ولا تود إرسالها، أخبره أنها ستفسر كل شيء له.

أوصت بأن يقرأها بعد وفاتها، زادت الرسـائل من عمق جرحه.

كانـت كلماتهـا منتهيـة الصلاحيـة ورائحتهـا قديمـة أصابتـه بتحسـس مزمـن مـن كلمة الرسـائل، لـم يعد يسـتقبل أي رسـالة، غيّر عنوانه مرات ومـرات، وبقي في قيد اسمه.

جـاءت ورقة زينـب التي ارتطمت بقلبه ومازال يسـمع دويهـا، أخذته مـن كل ما حوله، فبمجـرد أن اقترنت به سـحبت من دمه كل الذكريات المؤلمـة لم يجرِ تحاليل على ما مضى.

زينـب مثل الموج الذي يضرب الصخـر بقوة ولا يؤذيه، تعلن عن وجودها، تفجر أحاسيسـه، تشعره بأن الحياة بها أجمل، وبدونها أعقد.

من أيـن جاءت؟ وكيف رحلت؟ ظلت أدوات الاسـتفهام تلاحقه، وهو يدور في فلك الأسئلة بلا جدوى.

صـار الصـوت قريباً أكثر، ظـل يردد اسـمها زينب زينب.. يرد عليه نبضه هنا.. هنا، تتدفق في شـرايينه، يشـعر بحـرارة وسـخونة، يخرج منديله، يمسـح ما يسـيل من أذنيه، فيتخضب المنديل بالأحمر.

يزيـح الأصوات بيديه، فتظل الوجوه جامدة مسـتغربة حالتـه، تخفـت الأصـوات وتتعالـى أبـواق السـيارات والباصـات، تصعـد الأرواح، يقترب من البـاص يحاول أن يمسـك بالباب وسط الحشود، ما أن يقترب حتى يغلق الباب في وجهه.. يتحسس حنجرته، يشير للباص بيديه، فيبتعد عنه..

تدهس عجلاته الأوراق.. ويبقى وحيداً.

الإعلام العربي بين الحيادية والموضوعية

د. محمد محمود العطار: الباحة

اتسع مفهوم الإعلام في عصرنا الحاضر ولم يعد قاصراً على الأخبار السريعة فحسب بل توسع وأصبح علماً قائماً بذاته ومن هنا تنوعت تعريفاته.

والإعلام هو نقل الرسالة من مرسل إلى مستقبل دون مبالغة وأنه يرتبط بنقل الحقيقة دون تضخيم أو تشويه إلى نقل الصورة الواقعية، والإعلام ضرورة إنسانية لأن النفس البشرية جبلت على التواصل، وقد ظهرت أدوات إعلامية للتعبير عن عقلية الجماهير وميولها، والعالم اليوم في حاجة إلى الصوت الإعلامي الواعي الذي يقدم النصح والإرشاد للجميع في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية والثقافية وغيرها.

والإعلام اليومي هو الذي يحصل عليه كل مواطن في وطنه إما عن طريق منزله أو عمله أو أثناء سيره في الطرقات العامة أو جلوسه في المنتديات أو اختلاطه بالآخرين بطريق الوسائل الإعلامية الطبيعية التي يخضع لها خضوع غيره من المواطنين في الوطن أو البيئة التي يعيش فيها.

والإعلام المعاصر تشوبه بعض الشوائب من الضروري معرفتها وانتقاء الصالح منها وتقويمه وإحلال الصحيح محل الخطأ حيث لا توجد حيادية ولا موضوعية فيما تنقله وسائل الإعلام المختلفة حيث عوامل كثيرة تتحكم في ذلك منها الأهواء والمصالح الشخصية ورغبات أصحاب القنوات وأصحاب الصحف والمجلات، كذلك تحكم رأس المال وغياب الشفافية والمصارحة وتصفية الحسابات وغيرها كثير.

فالإعلام تارة يكون هادفاً، وتارة يكون مغرضاً، فالهادف منه غالباً يصنع رأياً عاماً واعياً، لا يقبل الخضوع للظلم، ولا تنطلي عليه المكائد والمؤامرات، ويجعل الطريق أمام الفرد والمجتمع واضحاً وجلياً، مما يسهل عليه اختيار ما ينبغي اختياره واجتناب ما ينبغي اجتنابه.

أما الإعلام المغرض فغالباً ما يصنع رأياً عاماً متفككاً ومهزوزاً، نتيجة للأفكار المشوشة وغير الصحيحة التي ينقلها، فإذا تأثر بها المجتمع وتطبع عليها، فإنه بلاشك سوف يعمه الجهل والتخلف مما يساعد على اختراق المجتمع وتسميم الأفكار.

وفي الإعلام قد يفهم أن الموضوعية هي مرادف للحيادية، ولكن هناك فوارق بين الموضوعية والحيادية، فالموضوعية هي المصداقية والالتزام بالواقع والبعد عن الخيال وكذلك البعد في التأثير على الرأي العام والبعد عن الأهواء والمصالح الشخصية، بينما الحيادية هي المساواة والعدل والبعد عن الانحياز لطرف على آخر.

ولا يختلف اثنان على أن هناك علاقة بين الرأي العام والإعلام بشكل كبير ووثيق، فكلما تقدم الإعلام في أسلوب صياغة الرسالة ومعرفة رجع الصدى كان تأثيره في الرأي العام أكبر وأوسع، وكلما زادت الثقافة والتنشئة والتنمية السياسية كان تفاعل الجمهور أكبر مع الإعلام السياسي.

وتضم الرسالة الإعلامية الأخبار والبرامج والتغطيات والتصريحات والضيوف كلها تقع تحت بند الرسالة الإعلامية،

وكذلك البرامج الإعلامية لها تأثير كبير على الجمهور في تشكيل الرأي العام، ويمكن توضيح تأثير الإعلام على الرأي العام فيما يلي:

- يعمل الإعلام على الحفاظ على الوضع القائم وإبقائه على حاله وهذا يشير إلى بث الاستقرار.
- تختار وسائل الإعلام ما تراه هي مناسباً للجمهور وتطرح من خلاله فكرها وفلسفتها ورؤيتها للأحداث والمواضيع.
- تحديد الأولويات في إبراز أو تجاهل بعض الموضوعات.
- اختيار أحداث ومواضيع وإعطاؤها التغطية الإخبارية والأهمية.
- يستطيع الإعلام أن يغير الرأي العام باختيار نوع الأخبار التي يعرضها وطريقة عرضها والتعليق عليها أو تغيير الاتجاهات بشكل معاكس أو المحافظة على الاتجاهات كما هي.

ونحن بحاجة إلى إعلام إسلامي يهدف إلى نشر كلمة الدين وإعلائه ومعالجة القضايا الدينية، والعمل على إعداد رأي عام إسلامي يعي الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها في معتقداته وعباداته ومعاملاته.

وأخيراً.. وليس آخراً.. إن للإعلام دوراً فعالاً في صناعة الرأي العام، وخصوصاً في عالمنا اليوم، حيث يحتل أهمية بالغة، ويعد أحد المرتكزات الأساسية في صناعة القرار والتحكم في آراء الناس وكسب عواطفهم، فنحن بحاجة إلى الصدق والأمانة والإخلاص والشفافية والصراحة والتعاون وكلها قيم دينية ينبغي الالتزام بها في إعلامنا العربي والإسلامي، وكذلك نحتاج إلى قلوب وعقول صادقة ومخلصة للعاملين في مجال الإعلام حتى نصل للحيادية والموضوعية في الإعلام العربي.



أسرار الحرف عند العرب

عمر الحسني: المغرب

إن كل أمة وحضارة عاشت على هذه البسيطة منذ الأزل سعت إلى تحقيق الخلود الأبدي، وفكرت في اتخاذ رموز ومعالم لها تتوارثها البشرية جيلاً بعد جيل في ما يعرف بالتراث الإنساني، فالحضارة المصرية القديمة بنت الأهرامات التي تعد من عجائب الدنيا السبع، والتي خلدت بها عبر التاريخ، واليونانيون اتخذوا من الفلسفة رمزاً دالاً على حضارتهم استمرت باستمرار التفكير البشري وإعمال العقل في العلوم والنظريات وتطبيقها.

أما الحضارة العربية فقد اتخذت من الحرف العربي رمزاً لها، واختارت من حروفها الثمانية والعشرين حرف الضاد، وأصبحت اللغة العربية تكنى بلغة الضاد، وإن للحرف عند العرب أسراراً، وهو ما جعلهم يعتمدون دون غيرهم من الشعوب لكل حرف عدداً يقابله، سمي بحساب الجمل الكبير وحساب الجمل الصغير، وقد استعمل هذا الحساب للتأريخ للأحداث الجسام وحشدت في الشعر الذي اعتبر ديوان العرب والجامع لثقافتهم. وهي طريقة استبدلت الأعداد بالحروف. وفي علم الفلك عند العرب أيضاً، وظفت الحروف بأسرارها في الجداول والطلاسم كالمثلث المعروف عند الغزالي، والذي يكتنز كنوزاً من أسرار الحروف. ويروي صاحب كتاب (نزهة المجالس) قصة الصبي الذي جاء إلى الشاعر أبي العلاء المعري، وسأله: أأنت القائل:

إني وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل

فقال أبو العلاء: أجل. فتحداه الصبي بقوله: إن العرب جاءت بثمانية وعشرين حرفاً فأت بواحد. فضحك أبو العلاء في وجه الصبي.

فهذه القصة تلخص لنا العناية الكبرى التي يوليها العرب للحرف ولصورته والإعجاز الذي يجمعه، وهو ما حدا بهم إلى التفنن في أنواع الخط أو الرسم، وجعلهم في عصر التدوين يكرمون أفضل الكلام وأجمله بأفضل الخطوط وأجملها في اختيار تسديس الخط لتدوين القرآن الكريم، كما نقل أبوحيان التوحيدي عن ابن مقلة.

ويكتسي الحرف العربي رمزية نابعة من تقديس العرب للحروف الهجائية، إذ بواسطتها مجتمعة تتمكن من بناء خطاب مكتوب ومحرر بخط اليد أو الآلة، ومن منا لم يستهوه الخط أو الرسم الجميل بريشة كاتب فنان بموهبته؟. وأولى علماء اللغة العربية كامل اهتمامهم لرسم الحرف العربي، إذ من الحروف ما يستقيم على السطر من أعلى كالألف والفاء والقاف...، ومنها ما يبدأ من السطر فينحدر إلى أسفل كالزاي والراء...، ومنها ما يأخذ من الأعلى والأسفل نصيباً مفروضاً كالهاء والسين...

وفي المدارس التعليمية الرسمية ومدارس تحفيظ القرآن الكريم، أولى معلمو اللغة العربية ومدرسوها اهتماماً فائقاً لكيفية رسم الحروف الهجائية العربية، وكانت أولى المهارات التي يتعلمها الأبناء وطلاب العلم الخط، ومن منا لم يذكر الخطوات الأولى لتعلمه الكتابة باللغة العربية، بدءاً برسم الحرف ثم الكلمة وانتهاء بالجملة كمستوى أرقى، وكذا الجهد الجهيد الذي بذله المعلم من أجله ليصل إلى استبطان صورة كل حرف على حدة تمييزاً بين مقاماتها وتمييزاً بين المنقط وغير المنقط منها وموطنها من الحرف. ثم إن هذا الحرص من المعلمين منح اللغة العربية مكانة بين لغات العالم، لكونها حافظت على أصلها وأصالتها، واستمراريتها. فبدأ الطلاب يتنافسون آنئذ فيما بينهم للكتابة بخط جميل وللاقتداء بخط المعلمين والمدرسين الذين كانوا بدورهم شديدي الحرص على



صـورة الحـرف فـي التحريـر الكتابـي، وكانـوا يستعملـون عبارات لتقدير وتقييم أعمال طلابهم وتلامذتهم من قبيل (حسـن خطك) تنبيهـاً للطالب على ضـرورة احترام صورة الحـرف العربـي وإعطائـه حقه في الصعـود أو الانحـدار أو الامتثال للسطر أفقياً.

أمـا الآن وقـد غـزت الآلة كل مجـالات الحيـاة وجوانبها، فظهـرت الآلات الكاتبـة أو الراقنة، ثم الحواسيب والهواتف الذكيـة والسبـورات التفاعلية، فبـدأ الاهتمـام بخـط اليـد يتهـاوى، وبـدأت العنايـة فـي المدارس التعليميـة تضمحل لدرجـة أن الطفـل يبـدأ تعلـم الحـروف وأبجديـات القراءة والكتابـة على اللوحـات الذكية التي تمكنه من الكتابة عليها وإعادة استعمالها لفترات دون الحاجة إلى استبدالها بأخرى كالكراسـات والدفاتـر والكتب الورقية. وحتـى المعلمون لم يعـد لديهم اهتمـام بتدريس الخـط والإمـلاء لطلابهم، إذ أصبحـت الآلة هي المعلـم الأول والأخير للقـراءة والكتابة. بل حتى السواد الأعظم من المعلمين أنفسهم أصبحوا غير فنييـن في رسم صورة الحرف العربي، أو بالأحرى الحفاظ علـى صورته دون فنية، فأصبح منهم من يكتب حرف الظاء بنقطـة علـى يسـار الرقبـة، ويكتـب السيـن والشيـن بأربعة أسنان أو سنين وغيرها من التجاوزات التي استباحوها على الحروف.

إن أخشـى ما أخشى على اللغة العربيـة أن توأد على أيدي أبنائها وما تخطه، بسبب تبخيس صورة حروفها وتحريفها حتى يختفي رسمها (ما بلي من الديار والتراث)، وإن كانت المعرفـة اليقينية أن تستمر اللغة العربية باستمرار القرآن الكريم إلى الأبد ما دامت السماوات والأرض.

الدراسات الاجتماعية.. إشكالية المصطلح وتطور المفهوم

د.إدريس سلطان صالح: مصر

تتنوع المصطلحات المستخدمة في التعليم العربي حول طبيعة الدراسات الاجتماعية وموضوعاتها في المنهج المدرسي، فالبعض يطلق عليها العلوم الاجتماعية، تمييزاً لها عن العلوم الطبيعية، أو المواد الاجتماعية والاجتماعيات. ورغم هذا التنوع إلا أن مفهوم الدراسات الاجتماعية هو الأكثر استخداماً في نظم التعليم العالمية وبعض الدول العربية، باعتبار أنه مفهوم شامل ويحقق تكامل فروع المعرفة الاجتماعية والإنسانية المتنوعة، وترابطها، بهدف دعم قيم المواطنة والكفايات المدنية لدى الطلاب في التعليم العام، أكثر من مجرد التركيز على مواد أو موضوعات دراسية منفصلة كما في المواد الاجتماعية.

الدراسات الاجتماعية والعلوم الاجتماعية

تُعرف العلوم الاجتماعية في قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية بأنها الدراسات التي تستخدم المنهج العلمي في دراسة مظاهر النشاط الإنساني على مستوى الفرد أو الجماعة أو المجتمع. وتتنوع فروعها لتشمل التاريخ، والجغرافيا، والسياسة، والاقتصاد، والاجتماع، وعلم النفس، والأنثروبولوجيا، وعلم الجريمة، والقانون، والفلسفة، والدين، والتربية.

في حين نجد أن الدراسات الاجتماعية تعني الدراسة التكاملية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، من أجل دعم الكفايات المدنية، وأنها جزء من المنهج المدرسي الذي يعنى بدراسة العلاقات الاجتماعية ووظائف المجتمع وأدواره، من خلال دمجها لفروع العلوم الاجتماعية والإنسانية معاً من منظور تكاملي شامل.

ورغم التشابه بين الدراسات الاجتماعية والعلوم الاجتماعية في مجال الدراسة، واعتماد الدراسات الاجتماعية في محتواها على بنية العلوم الاجتماعية من حقائق ومفاهيم ومهارات وغيرها؛ إلا أن الفرق بينهما يتضح في مستوى التناول، والهدف الذي تسعى إليه كل منهما. حيث تتناول الدراسات الاجتماعية الموضوعات والقضايا التي تتناولها العلوم الاجتماعية في مستوى بسيط يناسب تحقيق أهداف تربوية محددة لدى المتعلمين في التعليم العام، بهدف إعدادهم كمواطنين فاعلين في مجتمعاتهم.

موضوعات الدراسات الاجتماعية

ولتحقيق الهدف من الدراسات الاجتماعية، فإنها تتناول موضوعات أساسية حددها المجلس القومي الأمريكي للدراسات الاجتماعية على النحو التالي:

الثقافة: من خلال دراسة الثقافة والتنوع الثقافي، يفهم التلاميذ كيف تنتج البشرية وتبتكر وتتعلم وتشارك وتتكيف مع الثقافة، وتقدير دور الثقافة في تشكيل حياتهم ومجتمعاتهم، وحياة ومجتمعات الآخرين. ويظهر هذا الموضوع في الوحدات والمقررات التي تتناول الجغرافيا والتاريخ والاجتماع وعلم الإنسان، كذلك موضوعات الثقافات المتعددة عبر المناهج الدراسية.

الزمن والاستمرارية والتغير: من خلال دراسة الماضي والتراث المتعلق به، يدرس الطلاب عادات وتقاليد وقيم ومعتقدات الناس في الماضي، واكتساب مهارات الاستقصاء والتفسير التاريخي، وفهم تشكيل الأحداث والتطورات التاريخية للعالم المعاصر. ويظهر هذا الموضوع في مقررات التاريخ وفروع الدراسات الاجتماعية التي تعطي أهمية لمعرفة الماضي.

الناس والأماكن والبيئات: يساعد هذا الموضوع في تطوير الطلاب لمنظورهم المكاني للعالم، وفهم موقع الناس والأماكن والموارد، وتفسير هذه المواقع، واكتشاف العلاقة بين البشر والبيئة. ويظهر هذا الموضوع في المقررات التي تتناول الجغرافيا والدراسات المساحية.

التطور الفردي والهوية: تتشكل الهوية الشخصية من

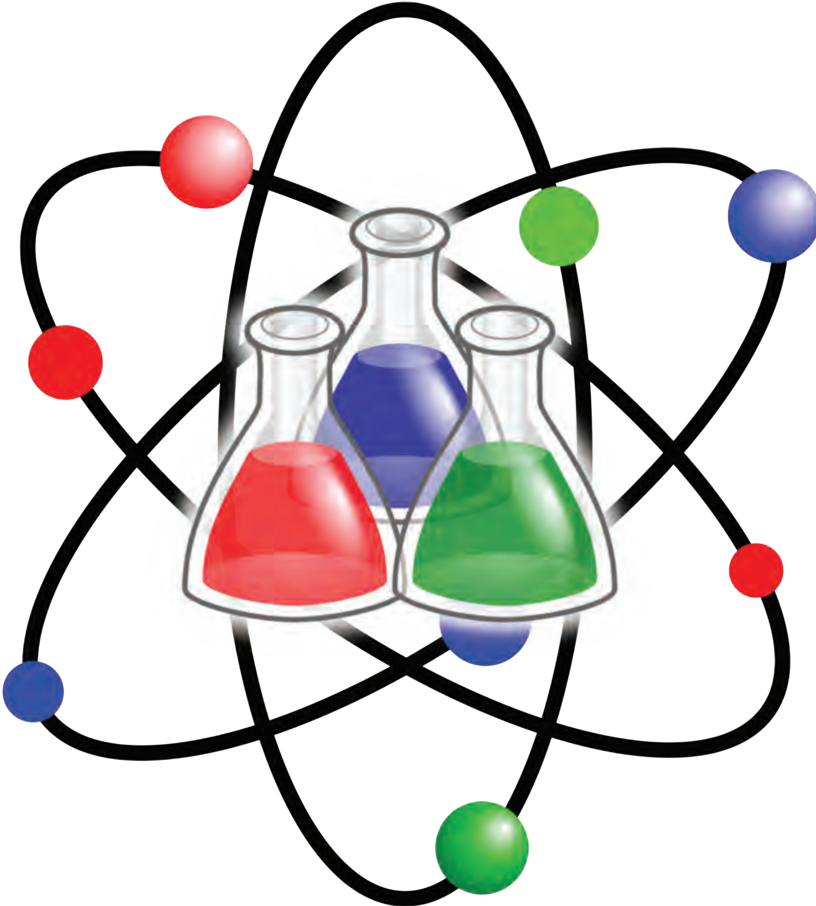
خلال الأسرة والأقران والثقافة والتأثيرات المجتمعية من عادات وتقاليد وقوانين..إلخ، ومن خلال هذا الموضوع يدرس الطلاب العوامل التي تؤثر في الهوية الشخصية للأفراد، وتطورها وأحداثها. ويظهر هذا الموضوع في المقررات والوحدات التي تتناول علم النفس وعلم الإنسان وعلم الاجتماع. الأفراد والجماعات والمؤسسات: تؤثر الأسرة والمؤسسات الأخرى مثل: المؤسسات المدنية والتربوية والحكومية والدينية في حياة الناس، وهذا الموضوع يسمح للطلاب بفهم كيفية تشكيل هذه المؤسسات، والمحافظة عليها، والتغيرات التي تطرأ عليها، وتأثيراتها المتنوعة على الناس وحياتهم. ويظهر هذا الموضوع في الوحدات والمقررات التي تتناول علم الاجتماع وعلم الإنسان وعلم النفس وعلم السياسة والتاريخ. السلطة والحكم: من المكونات الأساسية للتربية، من أجل المواطنة؛ القدرة على فهم التطور التاريخي والأشكال المعاصرة للسلطة والحكم، ومن خلال هذا الموضوع يعرف الطلاب أغراض ووظائف الحكومة، ونطاق وحدود السلطة، والفروق بين النظم السياسية الديموقراطية وغير الديموقراطية. ويظهر هذا الموضوع في الوحدات والمقررات التي تتناول الحكومة والتاريخ والتربية الوطنية والقانون والسياسة وعلوماً اجتماعية أخرى.

الإنتاج والتوزيع والاستهلاك: يقدم هذا الموضوع دراسة لكيفية تنظيم الناس لإنتاج وتوزيع واستهلاك السلع والخدمات، وإعداد الطلاب لدراسة القضايا الاقتصادية المحلية والعالمية. ويظهر هذا الموضوع في الوحدات والمقررات التي تتناول المفاهيم والقضايا الاقتصادية، ومواد الدراسات الاجتماعية الأخرى التي تهتم بدراسة الأبعاد الاقتصادية. العلم والتكنولوجيا والمجتمع: من خلال اكتشاف العلاقة بين العلم والتكنولوجيا والمجتمع، يطور الطلاب فهمهم لمستحدثات العلم والتكنولوجيا في الماضي والحاضر، وفهم تأثيراتها. ويظهر هذا الموضوع في مقررات الدراسات الاجتماعية المتنوعة، مثل: التاريخ والجغرافيا والاقتصاد والتربية الوطنية والحكومة.

العلاقات الكونية: يتطلب الاعتماد الكوني المتبادل فهماً للأهمية المتزايدة والمتنوعة للعلاقات الكونية بين مجتمعات العالم، ويساعد هذا الموضوع في إعداد الطلاب لدراسة القضايا الناتجة عن العولمة. ويظهر هذا الموضوع في الوحدات والمقررات التي تتناول الجغرافيا والثقافة والاقتصاد والتاريخ وعلم السياسة والحكومة والتكنولوجيا.

المُثل والممارسات الوطنية: يُعد فهم المثل والممارسات المدنية أمراً بالغ الأهمية في المشاركة الكاملة في المجتمع، وعنصراً أساسياً من التربية على المواطنة، ويتيح هذا الموضوع للطلاب التعرف على حقوق ومسؤوليات المواطنين للديموقراطية، وتقدير أهمية المواطنة الفاعلة. ويظهر هذا الموضوع في الوحدات والمقررات التي تتناول التربية الوطنية، والتاريخ، والعلوم السياسية، والأنثروبولوجيا الثقافية، ومجالات مثل الدراسات العالمية، والتعليم ذي الصلة بالقانون، والعلوم الإنسانية.

ويتضح من الموضوعات السابقة تنوعها وشمولها للجوانب الإنسانية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والجغرافية والتاريخية والوطنية التي تشكل قيم المواطنة، وتسهم في إعداد مواطنين قادرين على تحمل مسؤوليات أوطانهم، والمساهمة في تطورها. وهو الأمر الذي يدفعنا إلى مراجعة مفهومنا وتصوراتنا لمفهوم الدراسات الاجتماعية وطبيعتها ومجالاتها في عالمنا العربي، وما تتضمنه من موضوعات دراسية، والعمل على تطويرها بما يواكب التطورات العالمية، ويساير رؤى النظم التعليمية المتطورة للدراسات الاجتماعية، حتى تحقق لنا الهدف المنشود من تربية أبنائنا، وتمدهم بالمعارف والمهارات والقيم التي تؤهلهم لمستقبل متغير، يتطلب منهم فهم كل متغيراته ومتطلباته.



اللغة العربية في ظل اللهجات المحلية

محسن عبد الله زردان: المغرب

اللغة العربية، هي الهوية، هي التاريخ، هي الفكر. فكثيراً ما يتم الحديث عنها، عن واقعها ومستقبلها، عن دورها في الرقي بالمجتمعات العربية، عن سبل استثمارها كتراث مشترك بين ساكنة مهمة من العالم.

على الرغم من مرور فترات انحطاط العالم الإسلامي والعربي، عاشت من خلاله الدول العربية تحت نير الاستعمار؛ فإن اللغة العربية مع ذلك ما زالت تفرض نفسها بوصفها إحدى اللغات الحية الأوسع انتشاراً في العالم، فهي لغة القرآن، الشيء الذي يمنحها قداسة مميزة، تدفع المتعبدين إلى تعلمها وبذل مجهود أكثر لفهم ألغازها ومنطق بنيتها وقدرتها على الاتساع. فضلاً على حرص باقي المجتمعات الأجنبية على دراستها وتعلمها، إدراكاً منها بأهمية ساكنتها اقتصادياً وتجارياً وإستراتيجياً، حتى أن بعض المدن العربية الخليجية أضحت مصنفة ضمن المدن الاقتصادية العالمية التي تستقطب الاستثمارات الضخمة.

من الواضح، أن اللغة كلما اتسع مدى انتشارها على ربوع رقعة جغرافية معينة، كلما ارتفعت نسبة تغيرها وتحولها إلى لهجات محلية، والتاريخ زاخر بنماذج جلية للعيان، من أبرزها اللغة اللاتينية القديمة، التي تجزأت إلى لهجات بسبب انتشارها في مناطق متعددة، فظهرت منها لهجات من قبيل الفرنسية والإيطالية والإسبانية، التي ستغدو فيما بعد لغات قائمة بذاتها.

في السياق ذاته، اللغة العربية لن تحيد عن هذه القاعدة، فمنطق الاتساع أظهر لهجات محلية تختلف من دولة لأخرى ومن مدينة لأخرى، بل من قرية لأخرى.

صحيح أن هذا الاختلاف في جانب منه مطلوب ومحمود، لكونه أولاً من سنن الحياة، وثانياً لأنه يعبر عن تزايد ثقل الساكنة ديمغرافياً، وتفرع اللغة العربية الأصل وامتدادها ثقافياً وفكرياً.

وإذا تأملنا المشهد اللغوي الحديث، نستطيع القول إن هناك نزوعاً متزايداً إلى هيمنة اللهجات أو ما يصطلح عليه باللغة العامية، التي هي لغة متداولة بين الناس في حياتهم اليومية، ومازالت غير مكتوبة ومقروءة بشكل أكثر تقعيداً من حيث النحو أو الصرف، حيث دخلت هذه اللهجات في سباق محموم لفرض ذاتها من خلال عرض المسلسلات والأفلام على نطاق واسع في ربوع العالم العربي، مما آثر سلباً على اللغة العربية الفصحى السليمة وسبل تعلمها وانتشارها.

ظاهرة تزايد استعمال اللهجات المحلية في المنتوجات الإعلامية، يمكن قراءتها على عدة مستويات، قد نجزم بدخول الدول العربية في سباق إقليمي حول تفوق لهجة على أخرى، سعياً إلى إبراز الذات وإعلاء قيمة قيمها الثقافية ونموذجها المجتمعي من جهة، ومن جهة أخرى قد يكون الأمر يتعلق بتراجع إتقان وإجادة الحديث باللغة العربية الفصحى من لدن شرائح كبيرة من المجتمعات العربية، فكان اختيار الحلول السهلة واستعمال اللهجات المحلية في الإعلام على نطاق واسع، وهو مطمح مشروع لكنه لا يمكن أن يكون على حساب اللغة العربية القائمة بذاتها من حيث المكانة والتقعيد. علماً أن ذلك قد تكون له خسائر فادحة على أجيال كثيرة لا يدرك مداها إلا العارفون، فاللهجات المحلية ليست لغة علم وتدريس لافتقارها إلى ما لا يعد من المصطلحات العلمية والفنية، والمفردات المستحدثة، التي تتطلبها مستلزمات التطور الحضاري والتقدم التكنولوجي، الشيء الذي سيخلق لدى المتعلم خلطاً وتشتتاً في الذهن، فهو يتحدث باللهجة العامية في حياته اليومية لكنه بمجرد انتقاله إلى المدرسة يجد اللغة العربية لغةً للتدريس، من حيث المقروئية والكتابة.



كما أن تنامي مطالبة بعض اللهجات القديمة كالأمازيغية على ضرورة الاعتراف بها ودسترتها كمطلب حقوقي لمواجهة هيمنة اللغة العربية؛ قد كانت له نتائجه بسلك طريق اختيار اللهجات المحلية كحل وسط يتم التركيز عليه وإظهاره كمكون لغوي بديل للغة العربية الفصيحة، حتى أن الأمر ذهب أبعد من ذلك من خلال المطالبة باستبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني بذريعة تيسير اكتساب اللغة. فخيار تنامي مد اللهجات المحلية يكرس تقوقعاً لدولة على أخرى ولمجتمع على آخر، مما يؤدي إلى الفرقة والشقاق والتشرذم والضعف والوهن على المستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي.

ثمة اتجاه متزايد في العالم العربي، يختزل أزمة التعليم في التدريس باللغة العربية، ويدعو إلى إدخال اللهجة العامية في التدريس، الأمر الذي خلق ومازال يخلق جدالاً بين المؤيدين والمعارضين، فالفريق الأول يعتبر اللغة العربية الفصحى بمثابة لغة أجنبية بالنسبة للمتعلمين في المدارس لكون التلميذ لا يتحدث بها في حياته اليومية، بل يتحدث بالعامية، في حين فريق آخر يدافع عن اللغة العربية بشكل مستميت ويعتبرها لغة للوحدة والهوية والأدب الرفيع، ومجرد التفكير في التخلي عنها سيكون جداً مكلفاً على مناح عدة، فعلى الرغم من دعوة اليونسكو إلى تبني اللغة الأم، فإنها تهدف من ذلك أساساً إلى محو الأمية والتعليم الحرفي، مما سيفضي في نهاية المطاف إلى تكوين طبقة عاملة رخيصة تحت الطلب لن تكون لها القدرة على إدراك مفاهيم أكثر تعقيداً، فضلاً عن إحداث قطيعة مع الموروث الثقافي العربي، كما أكد على ذلك المفكر العربي عبدالله العروي، عندما دخل على الخط دفاعاً عن اللغة العربية، وقدم أمثلة من قبيل اللغتين المالطية والسواحلية، اللتين انسلختا وانفصلتا عن الارتباط بأصلهما العربي.

من جانب آخر، هناك دولة كالهند هي أنموذج أبرز للمجتمع الذي يتوافر على أكبر عدد من اللغات واللهجات التي يصل تعدادها إلى 860 لغة منها 22 لغة معترف بها لغة رسمية، في حين أن حوالي 200 لهجة محلية مهددة بالاندثار، نظراً لكونها مغمورة ولا يتحدث بها سوى عدد أقل من عشرة آلاف مواطن.

هذا المعطى، أحدث مشهداً لغوياً مشتتاً ومضطرباً لا يستقر على لغة موحدة في الهند، أدت في الأخير إلى هيمنة لغة المستعمر وهي اللغة الإنجليزية على مناحي الحياة في الاقتصاد والتجارة والتعليم والسياسة.



بين تركية العمري وصديقتها سارا

مفيد فهد نبزو: سوريا

من المحطات التي توقفت عندها في العدد (478) من مجلتنا العربية محطة في باب إبداع، تضمنت ست أغنيات أرسلتها الشاعرة المبدعة برهافة الحس وانسياب الخيال، لصديقتها الباسمة سارا، الكاتبة المشحونة بعاطفة متأججة بنيران المعاناة، والمتفاعلة مع حالة القهر والحرمان بهذه الأغنيات التي باحت بها تركية العمري ابنة الدمام، لتعرفنا من هي صديقتها الباسمة رغم حجم المأساة، ومرارة الموت، فتعلن قصة سارا حيث تقول:

هناك
تقف سارا
بجوار ليمون طفولتنا
تتأمل سياج شقاوتنا
فتفر دمعة حرف حزين..

ولأن الشاعرة تدرك حموضة الطفولة فقد جعلت بجوارها الليمون، وتدرك الحزن المؤطر فوضعت للشقاء سياجاً، وتركت الحروف الممزوجة بدموع الأسى والألم كي تعبّر بصدق عما ينتابها من مشاعر في لحظة التأمل المنكسرة المبعثرة بين طفولة الأحلام وسراب الأوهام، وتنتقل بعدئذ لتعرفنا على مزايا صديقتها سارا، وكيف خصها الله سبحانه وتعالى بخصال وصفات لا أحلى ولا أجمل، فهي التي تتحلى بغنج جورية، وتهب الفجر بسمة بيضاء نقية تفترُّ بعبق الياسمين:

كانت صديقتي سارا
تغرس بين شعرها
الكستنائي
الغجري الطويل
غنج جورية
وكانت تهدي الصبح
بسمة الياسمين..

ولم تكتف بكل هذا التصوير الساحر الخلاب بل تتابع تشكيلها بألوان الإبداع وريشتها الخاصة، لتصوِّر لنا صديقتها بفستانها الأصفر القصير، وكأن الشاعرة تركية العمري أرادت أن تفضح العتمة، وذلك من خلال الشغب والإثارة، فالعقول المغلقة ترفض هذا التمرد من سارا، ولكن سارا هي الشمس عندما تكون الأرض نهراً وتيناً:

أتذكر عندما ارتدت سارا
فستانها الأصفر القصير
بحزامه المشاغب المثير
زجرتها بلدتنا المعتمة
أرعبت صبا عطرها
ولكن سارا كانت شمساً
والأرض نهر وتين..

وبرمزية شفافة توضح الشاعر الحالمة رغبتها من خلال صديقتها، فتعلن مباشرة أن صديقتها سارا تحلم بحب فيه الثورة والمغامرة، وفيه الغناء الذي يتحول من حلاوة عينيها إلى لحن باريسي على فم أبيض ناصع كالصباح البهي بأول إطلالته على وجه النهار.

وتتابع الشاعرة برؤياها وذائقتها قصة سارا الصديقة الباسمة رغم التزوير والتزييف، ورغم ما تعرضت له من لصوص الضوء، وممن حاولوا أن يشوهوا الصدق والجمال، ولكن سارا ظلت تغني مع فيروز أغنية الحنين:

ولكن سارا ظلت تغني
وتغني مع فيروز
(أنا فيني حنين
ما بعرف لمين).

وفي الختام لا تبقى إلا الذكريات، وصدى الصوت ينوح، وبعض قصائد نزار السرية. ألا بوركت الشاعرة المجلية المتفردة بخصوصية فلسفتها تركية العمري، وبارك الله بشاعريتها الرقراقة الصافية ببراءة الطفولة، وطروحاتها الجادة التي تنتمي للخير والحق، وتنتصر للحب والنور والجمال.


صاحبي

ممدوح عبدالستار: مصر

المكان دائماً هو البطل

محمود سلامة الهايشة: مصر

جاءت عبارة (يا أيها المدرس تعلم أن الانتظار يقتل الموهبة، والحب أيضاً، كما كنت تقول لي دائماً) في قصة (صاحبي) للكاتب المصري ممدوح عبدالستار، والمنشورة بالمجلة العربية- العدد (478) ذو القعدة 1437هـ- أغسطس 2016م.. قصة قصيرة جميلة، تحكي عن طفل بالمدرسة وصاحبه الذي يلازمه، فالقصة لها بطلان أساسيان وهم الطفل الراوي وصاحبه، وبطلان مساعدان معلم التربية الرياضية وأمه العجوز، والمكان الذي تدور فيه أحداث القصة، هو فناء المدرسة، ظل الراوي يحكي مدى حبه لكرة القدم وموهبته الفذة فيها، وكيف أنه يستطيع أن يكون هو عنصر الفوز لفريقه ومدرسته، وينتظر أن يضمه المعلم للفريق ولكن دون جدوى، رغم الخسارة التي يمنى بها فريقه في كل مرة، يظن القارئ أنها قصة عادية بين طفل وصديقه، بها علاقة الحب والالتحام والمرافقة الدائمة والألفة، ولكن تأتي الصدمة وفك اللغز الدرامي، بأن صاحبه هو الكراسي المتحرك الذي يجلس عليه الراوي طوال القصة يشتكي من إعطائه الفرصة ليكون ضمن تشكيلة فريق كرة القدم، ويعتبر المدرس مقصراً في حقه!! بالطبع تم اختيار الصورة بذكاء شديد، حيث إنها ترسم الصورة لشخص يمشي وبجواره صديقه الذي لا يمكن أن تتوقع قبل الوصول لقرب نهاية القصة أنه كرسي للمعاقين!.

وفي قصة (مسألة شخصية) والمنشورة بنفس العدد للكاتبة الأردنية جميلة عمايرة، كان الراوي أنثى ولها جار عجوز قد مات في بداية أحداث القصة، ولكنها تروي طوال قصتها كيف تحولت علاقة الجيرة إلى صداقة وحكاياته معها، حديقة وصالون منزله هما المكان الذي صارت فيهما أحداث القصة، أما الزمان الذي تدور فيه أحداث القصة فكان خلال فصل الشتاء. حكى لها ذلك العجوز قصة ابنه حسام الذي اشترى له الألعاب الكثيرة ووفر له كل وسائل الترفيه، إلى أن مرض بنقص الصفائح الدموية، وبعد موته وضع صورته ببرواز وجعله متشحاً بالإشارة السوداء، وظل يبكي وهو يحكي ذكرياته عنه، إلى أن فوجئت تلك الصديقة الراوية للقصة بصورة ذلك الابن عندما أمسكت بالبرواز، صورة كلب صيد أسود وضخم!!.

وتختلف الأنواع القصصية طبقاً للمذاهب المتبناة في كتابة القصة، وبهذا الاختلاف يختلف توظيف المكان، وتميل القصة القصيرة الحديثة إلى النفسي والذهني أكثر من ميلها الواقعي، وعن هذا الموضوع كتب الصادق قسومة في كتابه (طرائق تحليل القصة): (يعمد أهل القصص الذهني أو النفسي إلى الترفع عن عالم الأشياء الواقعية وإلى ربط الأماكن وصفاتها بعالم الفكر والثقافة من جهة وبأغوار النفس من جهة أخرى، فتكون سمات المكان -في هذه الحالة- نائية عن الواقع، حبلى بالأبعاد، مشحونة بإيحاءات وأبعاد متباينة).


مدينة المدائن
في مواجهة التهويد
د. يوسف مكي: الدمام

إثر نكبة فلسطين عام 1948م جرى شطر المدينة إلى قسمين: قسم بقي خارج الاحتلال الإسرائيلي وضم مع الضفة الغربية لنهر الأردن إلى المملكة الأردنية، وهو القسم الشرقي من المدينة وعرف بالقدس الشرقية، وقسم آخر سقط تحت سيطرة الاحتلال في عام النكبة، وعرف بالقدس الغربية.

بقيت القدس الشرقية محافظة بقوة على هويتها العربية، ولم تتعرض معالمها لأي تغيير ديموغرافي حتى نكسة الخامس من يونيو عام 1967، وتضم القدس القديمة التي يطوقها سور من جميع جهاتها.

أما القدس الغربية فإنها ضمت جالية صغيرة من العرب اليهود قبل صدور وعد بلفور المشؤوم عام 1917م. لكن المرحلة التي أعقبت نهاية الحرب الكونية الأولى شهدت هجرات يهودية واسعة إلى الجزء الغربي من المدينة، وقد تضاعفت هذه الهجرة بعد صدور قرار هيئة الأمم المتحدة رقم 181 القاضي بتقسيم فلسطين إلى ثلاثة أقسام: دولة ... وأخرى يهودية، ووضع المدينة المقدسة تحت ... المدينة عشرات الآلاف من

الإسرائيلي مرسوماً حول الحكومة ... الإسرائيلية بما فيها القوانين القضائية ... المدينة المقدسة. ومنذ شهر يوليو ... في بناء المستوطنات بالقدس الشرقية ... الغربية وقطاع غزة. وقد واصلت ... لكيان الصهيوني نفس النهج بقضم ... الفلسطينية وهدم البيوت ومصادرة ...

والهدف الرئيس من هذا النهج ... مدينة القدس وإلغاء هويتها العربية ... عناصر ومقومات من شأنها تثبيت فكرة ... المستقلة على الأراضي التي احتلتها ... يونيو 1967 التي عرفت بالنكسة.

وفي حينه، وتحديداً في 22 مايو ... الأمن الدولي قراراً أبطل فيه جميع ... إسرائيل بضم القدس الشرقية، ... ومعهم العرب والمسلمون متمسكين ... القدس العربية.

الخطوة الأخيرة التي أقدم ...

يا قدس..
سلام..

يحيى السيد النجار: مصر

طالعت مقال (مدينة المدائن.. في مواجهة التهويد) للدكتور يوسف مكي بالعدد 476 من (المجلة العربية).. ولو نظرنا لقضية فلسطين وهي قلب الأمة العربية.. وعاصمتها القدس.. ولم ينقطع تاريخ العرب في فلسطين بحكم فلسطين إلا في الفترة من عام 1099 - 1187 ميلادية.. وجاء انتصار صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين في معركة حطين عام 1189 م.. ومع عهد المماليك 1250 - 1517 كانت فلسطين عربية وجزء من الدولة التي شملت: مصر وبلاد الشام والحجاز وجزء من ليبيا.. ومع الحكم العثماني 1516 - 1918 م.. ظلت فلسطين تابعة للدولة العثمانية.. لكن الإمبراطورية العثمانية فتحت أبوابها أمام مئات الآلاف من اللاجئين اليهود الذين فروا من الاضطهاد المسيحي في أوروبا وإسبانيا.. وفي العام 1878م.. تم إنشاء أول مستعمرة صهيونية في فلسطين هي مستعمرة (بتاح تكفا) وفي العام 1917 جاء وعد بلفور.. وكانت فلسطين تحت الاحتلال البريطاني.. ويهدف الوعد بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.. ورفض المؤتمر الفلسطيني الأول وعد بلفور.. وطالب بالاستقلال.. وجاءت أول عملية للمقاومة الفلسطينية المسلحة ضد قوات الأمن البريطانية في نوفمبر عام 1931م واستشهد خلالها الشيخ عز الدين القسام قائد العملية.. وشهدت الأرض الفلسطينية قبل تلك العملية انتفاضة البراق في العام 1929م.. وبدأت أولى الحلقات المفقودة في قضية فلسطين بتقسيم فلسطين في العام 1947م.. بتوصية من الأمم المتحدة.. وفي العام 1948م أعلن قيام دولة إسرائيل.. وبعد حرب العام 1948 وهزيمة العرب.. وقعت اتفاقية هدنة بين: مصر وسوريا والأردن ولبنان.. وإسرائيل.. وفي العام 1975م أصدرت الأمم المتحدة قراراً باعتبار الصهيونية حركة عنصرية.. وعنصرية الصهيونية تفوق عنصرية النازية.. واليهود استقروا في فلسطين في فترات الضعف والتمزق والتفرق العربي.. والخضوع في الماضي للمستعمر الأجنبي الذي كان يمثل عوناً لليهود.. وجاءت حرب العام 1967م لتضيع أرض فلسطين كاملة بما فيها القدس العربية.. وفي العام 1976م أعلن الرئيس الأمريكي السابق جيرالد فورد أن تأسيس إسرائيل المعاصرة هو تحقيق للنبوءة التوراتية.. ومن هنا ارتفعت حدة سياسات الاستيطان اليهودي لتهويد القدس العربية بل واحتلال أرض فلسطين كاملة.. واليهود يمتلكون من الفكر العنصري الكثير.. وقال تعالى: (إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ) غافر 56.. بل من كلمات العنصرية الصهيونية قول موشي ديان: (إذا كنا نملك التوراة.. وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة.. فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأراضي التوراتية).

ومن القول ما قتل


حُسن القول يعفي من القتل

د. عبدالله ثقفان - الرياض

مصطفى أحمد البواب: مصر

طالعت «المجلة العربية» عدد 477، ووقفت عند مقال (حُسن القول يعفي من القتل)، للكاتب د.عبدالله ثقفان الذي استقاه من كتاب بدائع البدائه لعلي بن ظافر الأزدي، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ص 337-338. حيث أوضح كاتبنا أن حسن قول تميم التغلبي وجمال منطقه أنقذ رقبته من سيف المعتصم. ولمّا كان الكثير من الناس لا يقدرون اللسان حق قدره، ولا يدركون عظم خطره، ومدى أثره؛ فهو إما منج ومحي، كما سبق، أو مميت وقاتل كما سيأتي، فكم من لسان رفعَ صاحبه درجات، وكم من لسان هوى بصاحبه دركات، وأرقده القبر. ولذا قيل في اللسان الكثير، مثل: (لسانك حصانك إن صنته صانك، آفة الإنسان اللسان، القول ينفذ ما لا تنفذ الإبر، وأيضاً اللسان أجرح جوارح الإنسان). وقال الشاعر:

وقد يرجى لجرح السيف برء
وجرح الدهر ما جرح اللسان

وقيل:

جراحات السنان لها التئام
ولا يلتام ما جرح اللسان

ومن أفضل الأمثلة على جناية اللسان على صاحبه ما حدث لأبي يوسف يعقوب ابن السكيت، حيث كان يؤدب أولاد المتوكل، وروي أنه جاءه المعتز والمؤيد، ولدا المتوكل، وكان في حضرة المتوكل، فقال له المتوكل: يا يعقوب، أيهما أحب إليك، ابناي هذان أم الحسن والحسين؟ فقال له يعقوب: والله إن قنبراً خادم علي بن أبي طالب خير منك ومن ابنيك. فقال المتوكل للأتراك: سُلّوا لسانه من قفاه، ففعلوا ذلك، فمات. ومن العجب أنه كان قبل ذلك بيسير قد أنشد ولدي المتوكل، وهو يعلمهما:

يصاب الفتى من عثرة لسانه
وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته بالقول تذهب برأسه
وعثرته بالرجل تبرأ على مهل

وقال الشافعي رحمه الله:

احفظ لسانك أيها الإنسان
لا يقتلنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه
كانت تخاف لقاءه الأقران

اللهم اجعلنا وإياكم ممن ينجيهم لسانهم في الدنيا والآخرة. والله من وراء القصد.

ديانة الجغرافيا

حتى نلتقي

عادل حوشان: الرياض



فـي إحـدى الرحلات، تلك الرحـلات التي كنّا نقوم بها أيام الشـباب، كنّا في منطقة (تاريخيـة)، المنطقة مكان، أي جغرافيا. بالمناسـبة، إحـدى مناطق الدرع العربي في الجزيرة العربية، منطقة شـحيحة المياه، حسـب التوزيع المائي في الجزيرة العربية، هكذا تصنّف علمياً وزراعياً.

منطقـة مليئـة بالكهوف بحكم وجود صخـور جرانيتية متساقطة ومهملة تاريخياً وطبيعيـاً، بنفس الوقت ربما لأن تاريخها لم يعد يهم أحداً، أو لأنه فعلاً لم يكن مهماً.

فـي هـذه المنطقة شحيحـة المياه، كنّا نعـرف بئرين عميقين، إحداهما بـدت بئراً بدائية وضـع عليها جذع شجرة متشـكّل ليسمـح بوضـع «رشـاء» (الرشاء: الحَبْـل، أو حبل الدَّلـو ونحوهـا..)، وتدليته في البئـر لتسهيل عملية استخراج المياه، وهي طريقة اتبعتها البادية بأدوات بدائية.

البئـر الثانيـة عرفنا اسمها منذ طفولتنا باسـم (الجيولوجية)، لا عمّي يعرف معناهـا ولا أبي ولا نحن، كان الاسم موحشاً بالنسبة لنا لكننا حفظناه.

بئر مطوية بحجر وأكثر اتساعاً من الأولى التي لا يتعدّى قطرها مترين، بما يقارب عشرة أمتار. محفوفة بالإسمنت وأعمدة حديدية لتسهيل عملية وضع (الرشاء)، ببكرة حديدية متقنة الصنع والتركيب.

كان الكبار يشيرون إلى أحد الكهوف المكشوفة، وهو مكان كنّا نجلس فيه لأوقات قليلة، ولا يوجد سبب مقنع لذلك غير أننا اعتدنا الجلوس في أماكننا الخاصة، ويسمونه (غار الشيوخ).

سبـب تسميتـه حسب ما عرفنا بعد (عمر طويل) أن الملك فيصل (الملك الثالث للمملكة العربية السعودية)، اتخذه مكاناً لعزلته في سنوات المملكة الأولى، وهي الفترة التي سبقت توليه للحكم بعد الملك سعود (رحمهما الله).

وحسـب مـا عرفنا أيضاً فيما بعد أن سبب تسمية البئـر بهذا الاسم أن من حفر البئر هم مجموعة مختصة في (علم الأرض)، ويبدو أنها إحدى البعثات الخاصة بالتنقيب عن النفط، أو إحدى بعثات المستشرقين الذين يبحثون عن كنوز الجزيرة العربية، إذ لم يحدّد لنا معلمونا أي تاريخ حفرت به هذه البئر المطوية بالحجر.

مـرّت سنـوات طويلة متكـررة الزيارات لم يتطـوّر فيها أي شـيء، غير معرفتنـا القليلة لمناطق «الخلـوَة» ، التي احتفظت بآثار سُكناهم، وغار زايد، الذي لا يمكن أن يدلّه طائر القطا دون معلّم، ولا منابع المياه التي تنبع بالحفر في وسط بطحاء تنبت تحت الأحجار المخبأة حتى عن الريح.

في إحدى المرات التي لا زلت أحتفظ بصورها حتى الآن، كنت وحيداً أكتشف المكان، كانت آثار دخان نيران قديمة، آثـار رائحـة شجر الطلح لا تزال ملتصقة بالأحجار الكبيرة المقوّسة، والممرات تفضي إلى أماكن محاطة بالخوف والتاريخ.

ظهـرت لي وقتهـا رموز ورسوم تشبـه الزرافات وخطـوات الطير وخطوط أقـرب إلى تقوّسات الأحجـار. التقطت الصور بشغف مكتشف لم يطو بئراً في حياته، إنما ضربته الشمس حتّى اسمرّ ونبتت في أذرعه الريح.

أخفيـت هـذا السرّ طويلاً حتى تسنّت لي فرصة جمع المال لـ(تحميض) الصور، وركضت بعد أسئلة كبيرة لإحدى الجامعات مكتشفاً سراً من أسرار الجبال والأرض.

سألـت عـن قسم الآثار، ودخلت علـى رئيسه، قلت له إنني اكتشفت سـراً، وأعطيته (ألبوم) الصـور. لبس نظارته الطبية، وقلّب الصور كعالم ومكتشف، وسألني: (أنت مهتّم بالآثار) قلت له: (لا)!

قال: (إذن ...عليها)، لدينا منها الكثير!

لا تـزال صـور الكهـف لديّ، ولا زلـت أذهب يومياً إلـى (دورات الميـاه) والجيولوجية اختفـت، والمنطقة محاطة بالأسرار وأحجار الجيرانيت والأساطير.

لكنني لم أعرف بعد أيهما مدينٌ للآخر...الجغرافيا أم التاريخ.



د. عبدالرحمن السويداء - أديب ومؤرخ

المجلة العربية

منشورات

العربية













